قوثامي

ما روته الشجرة

أساطير وخرافات وحكايات وطقوس زراعية
لنبط العراق الكسدانيين، كما وردت في كتاب
الفلاحة النبطية

ترجمه عن الكسدانية
ابن وحشية

اختارها وقدّم لها
د. قيس ياسين

منشورات الجمل

هذا الكتاب

ليس ينبغي لطالبي العلم والحكمة أن يتهاونوا بكلام الكسدانيين ولا بخرافاتهم؛ فإنهم يأتون بالحكمة البالغة في صورة الخرافة التي معظمها كذب ومحال، حيلة بذلك منهم على الأغبياء، لينفرونهم عن العلم إن كانوا جُهَّلاً، فأما إن كانوا عُقَّلاً فإنهم لاينفرون نفير الحمير ولا البهايم من أدنى صوت وحركة، بل يثبتون ويصبرون ويتأملون فحينئذ يقفون على ما يسرون به وينتفعون به أيضاً منفعة بليغة.

ISBN 978-9933353780

قوثامي: ما روته الشجرة

قوثامي

ما روته الشجرة

أساطير وخرافات وحكايات وطقوس زراعية
لنبط العراق الكسدانيين، كما وردت في كتاب
الفلاحة النبطية

اختارها وقدّم لها

د. قيس ياسين

منشورات الجمل

قوثامي: ما روته الشجرة، اختارها وقدّم لها: د. قيس ياسين
الطبعة الأولى ٢٠١٧
كافة حقوق النشر والترجمة والاقتباس
محفوظة لمنشورات الجمل، بغداد ـ بيروت ٢٠١٧
تلفون وفاكس: ٠٠٩٦١ ـ ٠١ ـ ٣٥٣٣٠٤
ص.ب: ٥٤٣٨ ـ ١١٣ بيروت ـ لبنان

© *Al-Kamel Verlag 2017*
Postfach 1127 - 71687 Freiberg a. N. Germany
www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

(إن كتاب تاريخ كلّ الشعوب تقريباً،
يفتتح بالصراع بين الراعي هابيل والفلاح قابيل).

جيلبير دوران

- الفلاح:

«أيْ إنانا، الكتان المزروع الذي ينمو
وتملأُ بذوره الأثلام
أيْ أختي، أنتِ التي جعلتِ الأشجار الكبيرة تنمو
أيْ إنانا، أنتِ التي جعلت القصب الممشوق يتكاثر بسرعة
أريد أن أعزق للحصول من أجلك على هذه النبتة.
وسوف أجلب لكِ الكتاب المزروع، أي أختي...
أيْ إنانا، سوف أجلب لكِ الكتاب المزروع».

- إنانا:

«إنه الرجل القريب إلى قلبي
الذي سلب مني روحي

والذي تطفح عنابره، دون أن يضطر للعزق
والذي في صوامعه لا يتوقف فيها سكب الحبوب
إنه الفلاح...
الذي امتلأت عنابره حبّاً...»

ـ الفتاة:

«أنا الفتاة الصبية، أريدُ الاقتران بالفلاح
الفلاح الذي ينتج بكثره زروعاً كهذهِ».

ـ الفلاح:

«أنا وأنت ـ أيها الراعي، أنا وأنت
ما الذي يدفعني للتنازع معك؟
دع أغنامك تقضم عشب الضفة
دع أغنامك ترعى في حقولي المزروعة
دعها تأكل شعيري وهو على ساقهِ
دعها تقضم نباتي الحبيّ عبر ريف
أوروك المنور!
ولترتوِ جديانك وحملانك من قنوات المياه».

من ديوان الأساطير الرافدينية

هذا القصص الذي كأنه خرافة، تحته علم كثيرٌ لهم، رمزوا عليه بهذا، وجعلوه في صورة خرافة، ظنّاً منهم بكشف معناه، وحرزاً له أن يناله الجهلة على حسب آرائهم واعتقاداتهم.

كتاب: الفلاحة النبطية، ج١، ص١٤٩

ليس ينبغي لطالبي العلم والحكمة أن يتهاونوا بكلام الكسدانيين ولا بخرافاتهم؛ فإنهم يأتون بالحكمة االبالغة في صورة الخرافة التي معظمها كذب ومحال، حيلة بذلك منهم على الأغبياء، لينفرونهم عن العلم إن كانوا جُهَّلاً، فأما إن كانوا عُقَّلاً فإنهم لاينفرون نفير الحمير ولا البهايم من أدنى صوت وحركة، بل يثبتون ويصبرون ويتأملون فحينئذ يقفون على ما يسرون به وينتفعون به أيضاً منفعة بليغة.

كتاب: الفلاحة النبطية، ج٢، ص٨٧٧

هذا الكتاب

إطلالة جديدة مع كتاب «الفلاحة النبطية» بعد كتابنا السابق[1] فقد ارتأينا أن نجمع ما دوّن فيه من الأساطير والخرافات والحكايات والطقوس الزراعية، التي ضمّها الكتاب بين دفتيه، عن الأشجار والنباتات والثمار والمحاصيل الزراعية، وما نسج حولها وعنها من مادة في هذا الشأن، وبمناسبات مختلفة، دينية وعقائدية وسياسية واجتماعية وشعبية. وكذلك طبية وسحرية لاتخلو من العجيب والغريب والطريف من خرافة وأسطورة، وماتحمله من معرفة علمية وطبية وفوائد غذائية، مع معرفة دقيقة بخصائص وفوائد كلّ شجرة، ونبتة وعشبة وثمرة، وماتجلبه من فوائد جمّة للإنسان والحيوان على حدٍ سواء.

إن الهدف الذي نتوخاه من جمع هذه المادة: «الأساطير والخرافات والحكايات والطقوس الزراعية» كما وردت في كتاب «الفلاحة النبطية»، هو تسهيل المهمة على القارئ أن يطلع بيسر وسهولة على هذه المادة

---

(١) ينظر كتابنا السابق: الموروث العراقي في الحضارة الإسلامية، كتاب الفلاحة النبطية - المنسوب إلى ابن وحشية أنموذجاً. منشورات الجمل - ٢٠١٤. وفيه الكثير من المعلومات حول محتويات الكتاب.

الفريدة في مادتها وبابها، والتي تناثرت في مدونّة الكتاب[1]. لأنه يتعذر مطالعة الكتاب بذاتهِ لعدّة أسباب؛ منها: موضوع الكتاب الذي يختص بالفلاحة والعمران الزراعي بصورة عامة. ومايحتويه من تفاصيل دقيقة عن خصائص وصفات وأنواع وفوائد وغيرها، بتفاصيل غاية في الدقة. وكذلك حجم الكتاب واستطراداته الكثيرة في الموضوع، وتناثر هذه المادة بين سطوره، مما يتعذر معه على غير المختصين أن يستمر إلى نهاية الشوط معه. على الرغم من أن كتاب الفلاحة النبطية يحتوي على معلومات شيقة وعلمية قيمة متعددة الأوجه في فائدتها وجدّتها ومتعتها، إلا أنها من المواد التي تحتاج إلى نفس طويل في معايشة مثل تلك الكتب من خزانة التراث القديم.

أما الهدف المعرفي والعلمي الآخر، من غايتنا في جمع هذه المادة في كتاب، هو تعميق المعرفة وزيادة الاطلاع على كتاب الفلاحة النبطية بعد الحيف الكبير والطويل الذي لحق به، ومن عدّة جهات[2]. وظل في خانة المهمل من التراث على الرغم من أنه كتاب تأسيسي وفريد في نوعه وموضوعه ومحتواه ومادته؛ حيث تأسست عليه مجمل كتب علم

---

(١) ينظر: كتاب الفلاحة النبطية في ثلاثة أجزاء، يضم المجلد الأول والثاني أصل مدوّنة الكتاب، أما المجلد الثالث فيحتوي على الهوامش ودراسات باللغة الفرنسية، ويقع الكتاب في (١٦٠٠صفحة من القطع الكبير) المجلد ١، ٢ أما الثالث (٥٠٠ صفحة) وقد حققه: توفيق فهد، وصدر عن (المعهد الفرنسي للدرسات العربية، دمشق، المجلد الأول سنة ١٩٩٣ والمجلد الثاني والثالث ١٩٩٧.

(٢) ينظر: كتابنا السابق (الفصل الثاني: الملف الاستشراقي حول ابن وحشية وكتاب الفلاحة النبطية، ص٦٧ ـ ٨٩).

الفلاحة الإسلامية ونهلت منه كتب الطب والصيدلة وصناعة الأدوية والأغذية والعقاقير ومشاريع الإرواء والري[1].

وكذلك نرى سبباً جوهرياً آخر، حيث إن هذه المادة: (الأساطير والخرافات والحكايات والطقوس الزراعية)، لم تأخذ نصيبها من التداول الثقافي والمعرفي ضمن حقل الانثربولوجيا وعلم الأساطير والحكايات الخرافية والعجيب والظريف والغريب، كما لمثيلاتها من آداب وفنون الأمم الأخرى (لاسيما عن الأشجار والنباتات) حيث نشط الاهتمام بمثل تلك المواد بعد انفتاح العلوم الإنسانية عليها، ودراستها وإصدار الكتب عنها دراسةً وجمعاً وتصنيفاً؛ لهذا رأينا أن هذه المادة التي دوّنها كتاب الفلاحة النبطية جديرة بأن تكون محط أنظار المختصين (لاسيما في الدراسات حول نبط العراق قبل الفتح الإسلامي) بهذا المجال الحيوي في الدراسات المعاصرة.

وربما يدفعنا سبب وسبب آخر، في نشر هذه المادة من الكتاب، لأن كتاب الفلاحة النبطية كتاب عراقي بامتياز، رغم كلّ الطعون والتشكيك الذي طاله حول تاريخ وزمن تأليفه وصحة ما ورد فيه من معلومات، وحول مؤلفي الكتاب، من تهمّ التزوير والانتحال وغيرها من التهم الكثيرة. إلا أن الملاحِظَ يرى أن كتاب الفلاحة النبطية قد دُوّن في إقليم بابل الكبرى وما حولها آنذاك[2]؛ حيث تُذكر في الكتاب أنهارها

---

(١) ينظر: كتابنا السابق (الفصل الثالث: موروث علم الفلاحة القديم وعلاقته بنشأة علم الفلاحة العربي الإسلامي، ص٨٩ - ١١٧).

(٢) أخذت في الآونة الأخيرة الدراسات الحديثة تطل برأسها عن كتاب الفلاحة النبطية شرقاً وغرباً، ولعلّ أشهرها: =

وأماكنها وأشجارها وأنباتها وأنبياؤها وحكماؤها وأطباؤها وسحرتها وفلاحوها، وكذلك تُرِدُ بعض الإشارات التاريخية التي تلمع هنا وهناك في الكتاب، وسيبقى محور الاهتمام بين قطبي الإيجاب والسلب من الآراء التي قيلت، وسوف تثار حوله[1].

إن كتاب الفلاحة النبطية يعدّ أهم ما وصلنا من إرث عن نبط العراق قبل الفتح الإسلامي، الذين كانت لهم ريادةٌ في مجالات حضارية سبقوا بها الأمم الأخرى. ولكنْ تعرض إرثهم وتأريخهم إلى الطمس والإهمال والإغفال، على الرغم من أنه يلوح في كل ما أنتج لاحقاً. وما زالت هناك مجالات مغفلة عنهم وغامضة ولا تشكل صورة واضحة يُستند إليها في الدرس التاريخي، ولاننسى ما تعرض له إرث النبط من تهميش وطمس (يذكر صاحب الفلاحة ذلك)[2]. ونعتهم الفاتح العربي بالنعوت السالبة والدونية، حتى أصبحت لفظة (نبطي) تطلق للتحقير على فلاحي نبط العراق لأنهم ببساطة ووفق معايير الفاتح الصحراوي: أهل زرع وأشجار ونباتات وخضرة وماء ومحاصيل زراعية وعمران زراعي، ومعاشهم من عمارة الأرض وليس تحت ظلال سيوفهم وغاراتهم في

= ١ ـ كتاب: العقل المستقيل في الإسلام، جورج طرابيشي، دار الساقي، ٢٠٠٤.
٢ ـ كتاب: حراثة المفاهيم: سعيد الغانمي، منشورات الجمل، ٢٠١٠.
٣ ـ كتاب: أضواء جديدة على الصابئين، ملحم شكر، منشورات الجمل، ٢٠١٦.
ويورد ملحم شكر في كتابه المذكور أعلاه دراسة حديثة للمستشرق جاكو هيمان أنتيلا عن كتاب الفلاحة النبطية مع مختارات منه (ص:٤٢٨).

(١) ينظر كتابنا السابق: فيه معلومات وافية حول هذا الموضوع.

(٢) ينظر الفصل الأول من كتابنا، اكتشاف ابن وحشية لعلوم وكتب قومه النبط الكسدانيين وترجمتها ص٤٥.

الغنيمة والسلب والنهب، لذا نعتوا بـ «فرسان المحراث»[1]. ونسوا مساهماتهم الجليلة في حركة المعرفة والمدنية والعمران والمهن والصنايع والأدوات الحرفية وحركة التجارة والأسواق وشغفهم بالمعرفة والعلم وتفوقهم في مجالات عديدة[2].

وقد رأينا، أن مجالات ومعارف نبط العراق عن الأشجار والنباتات والمحاصيل الزراعية... إلخ. قد تضمنت مجالات معرفية في حركة الكواكب والنجوم ومواقيتها، لاسيما النيِّرين (الشمس والقمر) والكواكب الخمسة السيارة (المشتري، زحل، المريخ، عطارد، الزهرة) ضمن نسق معرفي قديم، وكذلك ضمن منظومة اعتقادية دينية أطلق عليها (تأليه الكواكب)[3]؛ لما لها من أثرٍ بالغٍ وفاعلٍ في مجرياتها ومواقيتها وتبدل مواقعها، على عمارة الأرض والزرع... حتى أُطلق من ضمن النعوت السالبة عن كتاب الفلاحة النبطية «الفلاحة التنجيمية»[4]، دون التمحيص في أثر النجوم والكواكب على علم الفلاحة وعمارة الأرض. ولكن نبط العراق أدخلوا الثقافة الفلكية ضمن علم الفلاحة،

---

(١) هناك إشارات في كل كتب التاريخ المدوّن حول حقبة فتح العراق وما بعده حول هذا الموضوع، وهي واضحة وجلية.

(٢) كان لنبط العراق (السريان) دورٌ في ازدهار الترجمة والطب والصيدلة والفلك والفلسفة والمنطق وغيرها على طول الحضارة العربية الإسلامية.

(٣) ينظر كتابنا السابق، الباب الثاني، الفصل الثالث: فاعلية الكواكب والتنجيم (تأليه الكواكب)، ص: ١٥٣ ـ ١٧٣.

(٤) من النقد الذي وجه إلى كتاب الفلاحة النبطية أنه كتاب يربط أسباب عمارة الأرض بأسبات كوكبية ـ نجمية ـ ينظر كتابنا السابق: (فصل: تأليه الكواكب، ص١٥٣ ـ ١٧٣).

وأدخلوا الكواكب والنجوم بخصائص نجمية ـ كوكبية، وأطلقوا على ما يصيب النباتات والأشجار من آفات الآفات النجمية الكوكبية، لعلو شأو معارفهم وعلمهم بهذا المجال. ومن ثم نرى في هذه المنتخبات تسميات بعض الأشجار والنباتات والثمار بأسماء نجمية وكوكبية.

إذاً، نرى أن أساطير وخرافات وحكايات وطقوس كتاب الفلاحة النبطية تُروى بلسانٍ أخضر ووحي أخضر من قبل رموز الثقافة الزراعية من أنبياء وحكماء وأطباء وسحرة وشعراء وفلاحين[1]. ليكون محور اهتمامهم الأشجار بأنواعها المختلفة، والنباتات بخصائصها النافعة، والثمار والمحاصيل بفوائدها الجمّة، كما توسعوا في معرفة نوع الأراضي الصالحة لكل زرع والمناسبة له وإصلاحها[2]. والمياه وأنواعها[3] إن شغفهم وعشقهم للعمران الزراعي حثهم لينسجوا حولها الأساطير والحكايات العجيبة والظريفة والخلابة لتبقى متداولة وحاضرة في ذاكرتهم الجمعية.

بعد قراءة هذه الحزمة من المنتخبات من كتاب «الفلاحة النبطية» عن الأساطير والخرافات والحكايات والطقوس الزراعية عند نبط العراق الكسدانيين، سوف ندرك عالم الطبيعة من أشجار ونباتات وثمار

---

(١) ينظر كتابنا: الباب الثالث، طبقات رموز الثقافة الزراعية، في كتاب الفلاحة النبطية، ص١٨٧ ـ ٣١٣.

(٢) ينظر كتابنا: الباب الرابع، مكونات البيئة الطبيعية وأثرها في النبات والفلاحة، ص: ٣١٣ ـ ٤١٢.

(٣) ينظر كتابنا: الفصل الثاني من الباب الرابع، الأرض، أنواع الأراضي، ص٣٥١. وكذلك أنواع المياه (الفصل الأول الباب الرابع)، الأنهار وأنواع المياه وطرق الاعتدال عليها).

بأنواعها كافة بصورة مختلفة؛ وسوف تتغير نظرتنا السطحية المألوفة والبسيطة والبديهية، وربما اللامبالية إلى عالم الأشجار والنباتات والثمار والمحاصيل الزراعية.

أخيراً، إن مادة هذا الكتاب المستقاة من كتاب الفلاحة النبطية قد رتبناها حسب ما ارتأينا مناسباً لها، وليس وفق ما وردت في الكتاب، وأوردنا النص كما هو مدوّن في النسخة المحققة والمنشورة دون تغيير يذكر، حفاظاً على أصل الكتاب. وربما يسعفنا الوقت في إنجاز دراسة عن هذه المادة تحت عنوان: ميثولوجيا الأشجار والنباتات في كتاب الفلاحة النبطية، لأنه من المواضيع الحيّة والمهمة في ثقافتنا الحديثة، عَكَسَ ما نرى من اهتمام كبير بها في كتب التراث لاسيما القواميس التي صنفت حول أسماء الأشجار والنباتات وأنواعها وفوائدها وغرائبها وعجائبها، وما ترمز إليه في الأحلام والرؤيا والمنامات، وكذلك في الأديان والمعتقدات ورموزها في الجنة والجحيم (الشجرة المباركة) أو (الشجرة الملعونة)، وما ترمز إليه في شعائر الحضارات القديمة وأعيادها الموسمية وطقوسها الإجتماعية والدينية. وما تزال توجد حتى الآن رواسب مهمة في ثقافات العالم حول الأشجار والنبات والزرع والثمار، وتقام الاحتفالات والأعياد والطقوس لها، وقد درسها مختلف علماء الأنثروبولوجيا في كل العالم، ولكن الدراسات ما تزال قاصرة لدينا في هذا المجال.

نتمنى أن يكون لهذه المنتخبات منتخبات أخرى حول مصنفات من التراث في الموضوع ذاته.

د. قيس ياسين

بغداد/ ٢٠١٦م

بيان الشجرة:

«إنّ الإنسان شجرة مقلوبة وإنّ الشجرة إنسان مقلوب»

الشجر جنس لأنواع كثيرة تحته، وهو مختلف اختلافاً كثيراً في القدود والكبر والصغر والطباع والقوى والأفعال. وقد كنّا قلنا في موضع من هذا الكتاب إن الإنسان شجرة مقلوبة وإن الشجرة إنسان مقلوب. فالرأس من الإنسان أعلاه، والرأس من الشجرة أسفلها، غايص في الأرض، وأطراف الإنسان إلى الأسفل، وأطراف الشجرة إلى فوق. والمنافع والمضّار في النبات منه في الجنسين الآخرين الذين هما الحيوان والمعدنيات. فلذلك صار أغذية الناس وغيرهم من الحيوان كلّها من النبات أو أكثرها. وإذا كان الأكثر الأغلب من الشيء فالحكم له، وجاز لقايل أن يستعمل في العبارة عنها لفظة الكلّ. وقد نرى العقاقير والأدوية، أكثرها وجلّها من النبات، فكان ذلك مضافاً إلى الأغذية والأدوية، والسموم القتالة كلها من النبات، كما كان جلّ الأغذية منها. وذلك وجب أن يقال إن أكثر المنافع للناس والمضار لهم من النبات، لكن المنافع منه أكثر عدداً من المضار. وما كان هكذا قيل عليه إنه نافع على الإطلاق. فإن قال قايل إنّا نرى السموم المهلكة جلّها من النبات، وقد قلت ذلك أنت، يا متكلم، قبيل هذا الموضع، قلنا إنّا لم نقل إنه

نافع لأنه لا مضرّة فيه البتّة، لكنا قلنا، لمّا كانت المنافع منه وفيه أكثر عدداً من المضار، قلنا من أجل هذا إنه يستحق أن يسمى نافعاً على الإطلاق. وبعد، فإنه لمّا كانت الأغذية والأقوات التي هي مواد حياتنا من النبات وحده، وكانت الأدوية التي هي مخلّصنا من الأسقام، وربما من الموت، أكثرها من النبات، كانت هاتان المنفعتان والفايدتان توفي على ضرر السموم وغيرها مما هي في النبات. وإذا كان هذا هكذا، وكان الحكم على كل شيء بالأغلب عليه، وجب أن يُحكم على النبات أنه نافع على الإطلاق من أجل ما وصفناه وبما قيدنا هذا الحكم بما قيدناه به، فصار حكمنا بذلك على النبات مربوطاً مقيداً محكوماً به على شرط وصفٍ ما. وليس شيء من أشخاص أنواع الأجناس المركبات الثلثة إلا وهو يضر بالكمية مع ضرره بالكيفية. والضرر الواقع من هذه الأشياء المتناولة المأكولة من طريق الكمية ضرر واقع بالناس من جهة أفعالهم واختيارهم. وذلك إنما يكون من طريق الإكثار من ذلك المأكول والمستعمل، فإذا أكثروا منه وقع الضرر بهم، وإذا أقلوا منه لم يضرهم، فمن هذا الوجه قلنا إنه ضرر واقع بهم من جهة اختيارهم، لأنهم يقدرون على الإقلال، فهذا فيما يأكلونه ويستعملونه مما أشبه الاغتذاء، مثل التداوي وما جرى مجراه، ومع هذا الضرر الواقع من هذين الوجهين، الكمية والكيفية، فإن المنافع في النبات أكثر وأعم من المضار فيه وبه. (ص: ١١٣٢ ـ ١١٣٣).

وقد تنقسم المنابت كلها، صغارها وكبارها وبُقولها وشجرها أقساماً من وجوه كثيرة، أحدها من جهة الأماكن، ومعنى الأماكن هي البَرّ والبساتين. فهذان يختلف فيهما ضرر الشجر والمنابت الصغار اختلافاً قريباً غير بعيد، وتختلف في المقادير من جهة الصغر والكبر، وتختلف

في الطباع والفعل من جهة غلبة الحر أو البرد أو الرطوبة أو اليبس فتختلف أفعالها لذلك إذ كانت الأفعال في الأكثر تابعة لهذه الكيفيات الأربع، وتختلف في القوام، لأن فيها الخشن واللين والملزّر والمتخلخل والمكتنز والمتفرق، وهذه تابعة للكيفيات أيضاً خاصة، فتختلف لذلك في الثقل والخفة، فيكون الملزز والمكتنز ثقيلين والمتخلخل والمتفرق خفيفين، وإن كان الثقل والخفة الحر والبرد فإن خشب الأنبوس والزيتون والجوز ثقيل، وخشب الغرب والسرو والبطلم خفيف. (ص: ١١٣٣ ـ ١١٣٤).

وتختلف المنابت في الألوان والطعوم والأراييح واللمس، فإن العود والصندل طيّبا الريح، وخشب الخردل والبطم كريها الريح. وإنما نذكر المتضادات ها هنا في الحقيقة، فافهموا هذا واعلموا أنّ التضاد ألوان وضروب، فأعظم التضاد عندنا في الأجسام المركبة التضاد في الطبايع وفي أصل التكوين. هذا على العموم، فأما ما يخص المنابت فالتضاد في اصل التكوين. فعلى هذا قسّمنا هاهنا ما ذكرنا من الكلام على ما تكلّمنا عليه. (ص: ١١٣٤).

وقد تختلف المنابت من وجوه، غير هذه التي عددناها، كثيرة يطول تعديدها وفي هذا الذي قدمنا كفاية في الدلالة على اختلافها، وإن كانت جنساً واحداً. (ص: ١١٣٤).

وفيما قدمنا، بل هو أول ماذكرنا، اختلاف المنابت في المواضع التي تنشوا فيها، وذلك هو موضعان، البر والبساتين، وقلنا إنها تختلف في هذين الموضعين والمكانين في الصور والطبع، وهو كذلك، ولما كانا، هذان الموضعان، قد يكثر فيهما نشو الأشجار العظام والمتوسطة

والصغار، وينشو فيها جميع الضروب من المنابت الصغار، أما في البر والقفار، فإن نباتها فيها لأنفسها، وأمّا في البساتين والضياع فباتخاذ الناس لها وزرعهم وإفلاحهم وقيامهم عليها، رأينا أن نعددها من الأشجار خاصة دون المنابت الصغار، وماينشوا منها في البر وماهو أصل مايتخذه الناس في بساتينهم، وإنما تركنا ذكر المنابت الصغار، لأنّا قدّمنا في هذا الكتاب من ذلك شيئاً كثيراً، إلا الرياحين، فإنّا ما عددنا منها ما ينشوا في بلادنا مثلما عددنا من غيرها. فلذلك عدلنا عن ذكر البقول والحشايش التي غيرها إلى ذكر ما ينشوا في البر من الشجر والرياحين نابتاً لنفسه بعقب نزول الأمطار ومجيء السيول والثلوج. وتقديمنا لذكر ما ينشوا في البر لشيئين، أحدهما أنّا بدأنا في أول كلامنا على اختلاف الأشجار، اختلافها في نشوها في البر والبساتين، والثانية أنه حكي لنا عن أدمى حكاية تأدت إلينا بالخبر ولم يذكرها في كتابه ولا في غيره من صحايفه التي علّم الناس فيها الفلاحة، اللهم إلا أن يكون ذلك في كتابه الذي علّم فيه وعدّد أسماء الأشياء كلها من المنابت وغيرها، إلا أن ذلك مفصل، فإن هذا الكتاب لم يصل إلينا في زماننا هذا تاماً كاملاً، بل متقطعاً، فقد يجوز أن يكون ذلك ولم نقرأه نحن لأجل تقطع هذا الكتاب (ص: ١١٣٤ ـ ١١٣٥).

بيان أدمى حول الأشجار وأصولها:

إن جميع ما اتخذه الناس في بساتينهم وضياعهم من الشجر والبقول والرياحين والأزهار كلها أصلها من البراري ومما ينبت لنفسه، وإن الناس جلبوه من منابته واتخذوه وأفلحوه وتعاهدوه، فأفلح عندهم، وهذا إن كان كذلك، وهو عند أدمى كذلك، فكل شيء يزرعه الناس أو

يغرسوه أو يتخذوه أصله مجلوب من البر، إما بزراً زرع أو أصولاً وقضباناً غرست، واذ هذا هكذا ففي البر مثل جميع ما عندنا في البلدان وضياعنا وبساتيننا، ويكون أيضاً الشاهد على صحة ذلك،

إن الناس جلبوا جميع الشجر والمنابت من البراري، قول آدم أن جميع ما اتخذه الناس في بساتينهم وضياعهم من الشجر والبقول والرياحين والأزهار جميعاً أصولها من البراري ومما ينبت لنفسه، وأن الناس جلبوه من منابته واتخذوه وأفلحوه وتعاهدوه فأفلح عندهم، فكأنني أتشكك في هذا القول وأن يكون آدم قاله، لأنّ فيه معنى موجبه هو عندي خلاف رأي آدم، ولا أجوّز عليه أن يكون مثلُه يحكم في شيء بخلاف رأيه، وذلك أن هذا القول يوهم أن الناس قد كانوا في وقت ما غير متخذين لهذه المنابت، ثم اتخذوها بعد، أو لم يكونوا متخذين لها، وهذا محال، لأن الناس لم يزالوا وهذه المنابت لم تزل، الناس يتخذونها. وإذا كان اتخاذهم لها لم يزل فكان ليس للدهر تناهٍ من جهة أوّله ولا من آخره. وكان غير جايز أن يكون ما لا يتناهى محدوداً من جميع الوجوه، وجب أنه لم يزل الناس يتخذون هذه الأشجار والمنابت، مع أنها لم تزل تنبت لنفسها، ولا فرق بين هذين في القدم، فلم يكن البتّة للناس وقت ولا زمان هم فيه غير زارعين ولا غارسين للتي هي في بساتينهم وضياعهم، كما أنها لم تزل تنبت لنفسها، فعلى هذا إنه لا معنى لقول آدم إن جميع الشجر وغيره ينبت في البر وإن الناس جلبوه بعد واتخذوه في بساتينهم وأفلحوه فأفلح عندهم، بلى يكون هذا المعنى صحيحاً وهذا القول حقاً على رأي من رأى أنّ هذا العالم كان بعد أن لم يكن وأنّ له ابتداء زمانياً، وهذا لم يره آدم قط ولا أحد من قدماء الكسدانيين غيره، وقد يجوز أن يكون قول آدم وجه آخر

مع اعتقاده القدم، إن الناس شاهدوا في وقت ما منابت حدثت لنفسها لم يكونوا عرفوها من قبل، فنقلوها إلى البساتين بعد نقلهم قبلها أشياء كثيرة غيرها، فإن هذا الحدوث جايز كونه في الأجسام المركبة من العناصر وغير جايز مثله في العناصر، إذ حُكم البسيط غير حكم المركّب، فيصح هذا من قول آدم على هذا السبيل. (ص: ١١٣٥ ـ ١١٣٦).

نرجسية شجرة:

قصيدة إلى شجرة الزيتون (شجرة زحل)

أنا أطولكن عمراً، وأقواكنّ قوة، وأصبركنّ على الجدّب.

وأقواكنّ على ضّرر القشف الكاين من العطش، لأن عودي صليب دهني وورقي ثابت لا ينسلخ عني، كما تنسلخ أوراقكن عنكنّ، ولا يتغير الأخضر منه عن خضرته على ممرّ السنين...

بل إن أصغر بعضه أخلقت مكانه أبداً.

وأنا التي لا يكاد يضرني عدم سقي الماء ليّ كما يضرّكنّ، وأنا التي لا يخيب

زارعي وغارسي من نجابتي وثباتي وصحتي، وأنا التي إن أحرقت النار شيئاً من أجزائي كان في رماده من المنافع والعوض ما هو أكثر من عدمي.

وأنا الدهنية التي دهني يشبه لون الذهب، وفيه شفاء من ثمنية وتسعين علّة ومرضاً. وليس في الأدهان ما يقوي القلب ويشدّ المتن ويسّرُ النفس غير دهني.

وأنا المباركة التي من اقتنى من أغصاني وورقي وثمرتي شيئاً فخزنه في منزله،

لا يرى بؤساً ولا غماً ولا هماً، وعاش هو وأهله في أنعم عيش، وأطرد عنه

الوحشة والوسواس السوداوي والخيالات الردّية.

وأنا المباركة التي من نظر إلي في كل يوم عند طلوع الشمس، واحتضنني بيديه

وانضم إلي، سررته وفرّحته ودفعت عنه بإذن الإله، يومه ذلك جميع الأوصاب والهموم والعاهات والأحزان كلها والخيالات الردية.

أنا الباقية أبداً إذا وجدت الغذاء، وأنا أم البقاء والدلملماتي. وأنا الثقيلة الثابتة الصابرة الدهر كله. أنا شجرة زحل الثقيل البطيء الحركة السرمدي،

الذي يمدني من حياته بحياة ومن بقايه ببقاء، ومن ثقله بثقل ومن سواده بسواد ومن رايحته في الثرى برايحة الحياة، فلي في كل الهواء مثوى وفي

الأرض منزل. أطرد عن مجاوري تعدي السكاين وأختارهن على أبناء البشر.

أنا اسم إلهي زحل الأعظم الأكبر، أنا التي سكنت في كل أرض مقدسة

مباركة، ومن أجلي ولموضعي تقدست بعض البلدان وتباركت بعض البقاع.

أنا التي يأنس بي كل مستوحش، وأنا التي أزيل عن المشؤوم شؤمه.

أنا صنم زحل الذي مَن سجد لي في كل يوم ثلث سجدات وصلّى لي ثلث صلوات

وقرّب لي ثلث قربانات أحييته مع إلهي حياة الكشونا، وأدرجته

وقت إدراجه جوف المشتى بلا دبيب ولا بلى ولا تقطيع، ولأنه وقت يدفن،

إن دفنت معه في مدفنه، من كل جزء من أجزائي جزء من أجزايه، لم يبل جسده أبداً.

أنا التي عمّرت الخرابات، وبي فضل إقليم بلاد فارس وساكن الجرامقة والسورانيين.

وبي ارتفع ذو اللون الفاضل الشأن للناس، حتى صار معبوداً ممجداً مخزوناً مكرماً

في سائر الأمم معظماً، ذاك الباقي السرمدي الذي لا يضمحل ولا يبيد ولا يتغير

أبد الأبد، خالد كخلودي، سرمدي، كسرمدية إلهي، تبهج النفوس به وتفرح القلوب عند

رؤيته وتحن المُهج إليه حنين الناقة على طفلها.

ومن يرحل إليّ معظماً لي، وبقدري عارف، أحييته أبداً حياة، طول عمره في لذاذة عيش ورغد حياة. لي من الأيام أولها ومن المساكن أجلها ومن الحفاير أقدمها ومن الزريابات أصفرها وأحمرها ومن الخضر أبقاها وأثبتها ومن الأنهار أكبرها وأمدّها ومن الرياح أبردها ومن الجهات

أصفاها ومن الأفلاك أعلاها ومن الذوايب أطولها ومن الأحوال أغناها وأجلّها.

فهل يداني شرفي شرف،

أم هل يقرب مني موصوف،

أم هل يرى مثلي في الأرض مستودع ومستقر،

أو هل في الهواء ذاهب ومستقيم؟

حزت الشرف كله، وكمل في الفضل وتم لي الكمال.

فمن عبدني فاز ومن أعرض عني خاب[1]. (ص: ٥٢ ـ ٥٣).

---

(١) تنسب هذه القصيدة كما ذكر صاحب الفلاحة النبطية للشاعر: طالى كرناش: ويقول: «وقد ذكر هاهنا طالى كرناش لشجرة الزيتون مدايحاً كثيرة في شعره الذي ألفه في الفلاحه، لو أردنا حكايته لطال، حتى انه قال ان هذه الشجرة فاخرت جميع الشجر وافتخرت على جميع النبات» يراجع الفلاحة النبطية، ج١، ص٥١ ـ ٥٢.

النخلة (أخت آدم):

إن جميع أولاد آدم من النبط مجمعين على تسمية النخلة أخت آدم، وقد ذكر ذلك ماسي السوراني ولم يقل ما معناه ولم سمّيت النخلة أخت آدم، ولا فسر لنا أحد من الحكماء المقتدى بهم ما معناه. فالناس في زماننا هذا يقولون فيه أقاويل مختلفة. منهم من قال إنما سمّيت أخت آدم، لأنها لم تكن ولم تر إلا عند ولادة آدم. قالوا فلما ولد وترعرع ظهرت النخلة فسميت أخته لذلك، وهذا كذب.

وقال قوم إنما سميت بهذا الاسم لأن آدم كان يحب ثمر النخل ويأكله دايماً، وكان لهجاً بتلقيح النخل وغرسها والقيام عليها، ولما قدم من بلاد الهند أخبر في أحاديثه هناك أنه كان أشد ما عليه فقده ثمرة النخل، وما أشبه هذا، وهو كذب. (ص: ١٣٣٩).

وقال قوم: كان لآدم أخت اسمها نخلة وكان شديد الميل إليها، فقال الناس «نخلة أخت آدم» على عهده، فلما مضى الدهر بعده نسوا ذلك على شرحه، فقالوا «النخلة أخت آدم»، وهذا أيضاً كذب مثل

الأول، وقالوا فنوناً كثيرة مثل هذه الخرافات يطول تعديدها، ولا فايدة في ذكرها. (ص: ١٣٣٩).

والصحيح أن آدم لما وضع في الناس أشياء كثيرة نافعة لهم، من اللغة التي سمى بها كل شيء على وجه الأرض، حتى أدخل في ذلك حركات أصوات البهايم والطيور، وأفادهم من القسم والمقادير وأصول الحساب ما صاروا به علماء في أمر تجارتهم ومعاملاتهم وتقدير أخذهم وعطايهم وتحصيل كثير من أمورهم، وأفادهم من فلاحة الشجر وعلاجات أدوايها والقيام عليها، وكذلك كلّ المنابت من صغارها إلى كبارها. وأفادهم من التكوينات والطلسمات النافعة ما لم يكونوا عرفوه. (ص: ١٣٣٩).

قال قوثامي: وجدته في كتاب لبعض قدماء الكسداينين، ألّفه في النخل والكروم فقط، مجهول لم يذكر اسمه على الكتاب، فقال فيه: إن أصل وجود النخل في جميع الأرض إنما كان من بلدة يقال لها اليمامة، قال وهي البلدان التي غلب عليها العرب على قديم الدهر فسكنوها بعد فناء أمة كانت تسكنها، يقال لهم البابانيون، فهناك، في بعضهم ما يحيط باليمامة من البقاع، وجد النخل وقد نسبت لنفسه بعد سيول تتابعت على تلك البلاد كثيرة دايمة، عليه سنون، فنشأ وكبر وحمل فأكلوا حمله، فلما ذاقوه وعرفوا موقعه اتخذوه وأفلحوه، وانتشر في البلدان. (ص: ١٣٤٣).

والأخبار عن أصل وجود النخل فيه خلاف وأشياء وردت كورود الأخبار التي هي محتملة للحق والباطل والصدق والكذب. وليس هذا مما يحتاج الناس إليه في إفلاح النخل وتربيته، فنتقصى الأخبار عنه.

فإنه قد ذكر قوم أصل وجود النخل غير ما حكيناه، وهو حكايات يطول شرحها لا فايدة لأحد فيها. إلا أننا أحببنا أن نبتدي من أول الكتاب على النخل بأخبار النخل. فأما ما مضى فإنما هو أخبار النخل فقط، والذي نرى أن نخوض فيه بعد ما مضى، ذكر كيف يزرع النخل وكيف يغرس ويفلح، فإنّ في هذا فايدة للناس في هذا الباب. (ص: ١٣٤٤).

النخل يشبه الناس:

قال ينبوشاد: العلة في هذا التغيير السريع أن النخل يشبه الناس، كأن في نوعه في النبات شبيه بنوع الناس في الحيوان. وليس في الحيوانات كلها أسرع تغييراً وانقلاباً من الإنسان، وكذلك النخل ليس في النبات أسرع تقلباً وتلوناً منه. فأسرع ذلك إليه لأجل الشبه بالإنسان، والنخلة تناسب الإنسان، فصارت لذلك آنس من جميع النبات للإنسان، فإن الإنسان تسكن نفسه إليها عند نظره وتأمله لها. وهي تشاكل الإنسان في مدة البقاء فعمرها مثل عمل الإنسان وأطول منه قليلاً. وفيها الذكر والأنثى والخنثى كما في الإنسان سواء. ورائحة الكش من الفحولة والطلع إذا انشقّ من طلعته الحاملة له مثل رائحة منى الإنسان سواء. فأما الخنثى منه فهو الذي يسمّيه أهل بابل الخنثى، ويسميه أهل الأسافل الصنبرا، وتسميه الفرس الكاردوكن. وهذه لم تبلغ في التذكير أن تلقح بها الحاملات ولا في تمام التأنيث أن يحول طلعها إلى البلح والبسر والرطب، فهي الخنثى، إذا كانت بهذه الصفة. (ص: ١٣٥٨).

وقد يقال في النخلة إذا فسلت فعلاً فسيلها: أول ما يخرج الفسيل يسمى أبكار فسيل النخل وإذا قلع البكر ثم فسلت أيضاً سمي ذلك الفسيل الثواني، وربما كان لها ثوالث وروابع فأشبهت في هذا أيضاً

الإنسان. فإذا حملت النخلة ذات الفسيل حملها اشتغلت بالحمل عن إنبات الفسيل وأنصرفت تلك القوة من أصلها إلى أعلاها، فانقطع خروج الفسيل في أصلها كالمرأة التي تحيض، فإذا حملت انقطع حيضها ولم يجر منها الدم. فإنّ الدم يصير غذاء للجنين، فينصرف إليه كما ينصرف الغذاء في النخلة من أسفلها إلى أعلاها، فإذا حملت فلا تفسل، بل يكون غذاها كله منصرفاً إلى حملها دون غيره. (ص: ١٣٥٨).

وأيضاً فإنّه لمّا كان أفضل ما أعطيه الإنسان عطاء اتفاق العقل وكان العقل من أجزاء بدنه في أعلاه وفي راسه ودماغه، كان لبّ النخلة وجمارتها وحملها في أعلاها ورأسها وكان في راس الإنسان وفيما اتصل براسه ووجهه الحواس الخمس، أربعة منها في وجهه، وحاسة اللمس أصلها الدماغ، وهي في راس الإنسان. وأيضاً فإن في النخل ما يموت فجأة ويبس بغتة كما يموت بعض الناس فجأة، ويموت بعضه بعقب مرض يتقدمه، وكذلك موت أكثر النخل إذا كان موتاً طبيعياً عن مرض، فإنه يتقدمه المرض ثم يقع الموت بعقبه. والحامل من النخل يشبه المرأة في حملها: إن المرأة ما دام الجنين لم يكبر فهي خفيفة، فإذا كبر وثقل ثقل بدنها، فإذا بلغ غاية كبره في الرحم خرج، وكذلك النخلة يبتدي حملها في لبّها وباطن جذعها، وهي لا تخلو منه، فلا يزال منه يخرج ويتولد في باطنها وينمى على الأيام، فإذا عظم وكبر تضاغط وتزاحم فرفعته الطبيعة، وهي القوة المدبرة لبدن النخلة، إلى فوق وتزايد ارتفاعه حتى تقذفه طبيعتها، فيطلع في راسها طلع له قشر كالمشيمة للجنين، فإذا ضاق القشر لنمو الطلع انشق، فبرزت الطلعة، كذلك المرأة إذا ضاقت المشيمة عن الجنين لكبره انشقت فخرج الولد

منها وتحرك حركة عنيفة فخرج من الرحم. ويموت النخل من شدة الحر وشدة البرد، كما يموت منها الناس، وتقتلها الرياح الردية الكيفية كما يقتل الناس الوباء، وهو يعرض للناس من فساد الهواء، فإذا صارت كيفية ردية واستنشقه الناس قتلهم، فكذلك النخل إذا هبت عليه ريح ردية فاسدة قتله كما يقتل الناس. (ص: ١٣٥٩).

والنخلة إذا خصبت وسمنت جمارتها امتنعت من الحمل، مثل المرأة إذا سمنت صارت عقيماً وإذا عظم هزال المرأة لم تحمل لضعف رحمها، كذلك النخلة، إذا نالها قشف شديد من انقطاع الماء عنها هزلت هزالاً مفرطاً، فلا تحمل شيئاً حتى يذهب عنها الهزال بالخصب، فتحمل حينئذ. وأحوال التحيّل في الحمل كأحوال النساء في الحمل، يشبهون النخيل ويشبهم. فإن في النساء من تحمل من أدنى شيء يحصل، وربما حملت من اشتمام الرحم المنى فقط، وفيهن من لا تحمل إلا عن حصول مقدار من المنى كثير لها، ومنهن من تحمل من مقدار متوسط، وكذلك النخيل فيها ما يتلقح برائحة كش الفحل ولا يحتاج أن يماسها من حملها شيء، وفيها ما يحتاج إلى اليسير من الكش فتصلح ثمرتها به، وفيهن من يحتاج إلى كش كثير يربط في حملها حتى يستوي. وفي النخل ما يحتاج إلى شد الكش مرتين وثلثة في حمله حتى يصلح، فهي على ذلك مختلفة كاختلاف طباع النساء سواء في قبول الولد والحمل به من الرجال. (ص: ١٣٥٩).

وقد يعرض للنخل أكثر الأدوآء التي تعرض للإنسان، وللحيوانات غير الناطقة مثلها. وتلك الأدوآء هي الهرم والجرب واليرقان والدق والسل والجذام وموت الفجأة. وزيادة قوتها هو أحد أدوايها العارضة لها المانعة لها من الحمل. ويصيبها من الأدواء غير ما ذكرنا مما يطول

تعديده. وقد يجوز أن نتأوّل نحن قول الناس «النخلة أخت آدم» لما يعرض لها جميع ما يعرض للناس من هذه الأدواء وهذه الأسباب المشاكلة لعوارض أبدان الحيوان. وقد تقدم لدواناي الفاضل، الذي من ترادف فضله سمي سيد البشر، قول في جميع ما ذكرنا، لكن الذي وقع إلينا من كلامه في ذلك جمل غير مفصلة تحتاج إلى التفصيل حتى ينتفع بها المتعلم. وتلك الجمل ينتفع بها العالم فقط، والعالم في الناس قليل جداً والمتعلمون أكثر كثيراً. وما عمت منفعته جماعة من الناس أصلح للناس مما خصت منفعته. (ص: ١٣٦٣ ـ ١٣٦٤).

ويذكر صاحب كتاب الفلاحة النبطية أمراض يتشابه بها الإنسان والنخيل مثلاً: الجذام والنخلة المصابة تسمى نخلة مجذومة والإنسان المصاب بالجذام كذلك: يقول:

وأما الجذام فعلامته أن كربها يتحاتّ وينتثر وينتفخ لبها وترى جمارتها كأنها قد سمنت، إلا أن لونها حايل إلى الصفرة، وربما شابتها زرقة مع الصفرة، وينجرد جذعها انجراداً حاداً، وذلك أن في النخل ما يكون في أصله كربة، ومن طبعه أن كربه ينجرد عنه، فيكون بلا كرب. ومنه ما يكون ذو كرب جيد، ثم يتحات وينتشر ويسود ويسترخي. فهذا هو الذي قد أصابه الجذام. وإن كشف عن عروقها أصيبت سوداً قد غلظت واسودّت، وترى بعض كربها وعليه شبيه يرشح رطوبة وربما كانت هذه الرطوبة الراشحة من كربها سوداء. (ص: ١٣٦٨).

وللجذام في النخل علامة دالة صحيحة، لكن ليس إذا ظهرت فيها وحدها، بل إذا انضمت إلى جميع الأشياء التي قدمناها من الدلايل، وهو أن يظهر في أصول السعف الصغار التي تحيط بلبها سواد يضرب إلى حمرة. فإذا رأيتم هذا مع تحاتّ الكرب والليف وغيرها من الدلايل

التي وصفناها، فأيقنوا لا محالة أن بها جذاماً. وفائدة هذه الدلايل أن يعرف العارف أي داء بالنخلة ليقصد إلى علاج بعينه، فيعالجها به، فإنّه متى عولجت علّة، في حيوان تلك العلة أم في نبات، بغير علاجها، فسد ذلك الشخص وتضاعف عليه البلاء، ففي هذه الدلائل أكثر الفوايد. (ص: ١٣٦٨).

واعلموا أن النخلة المجذومة ليس يمنعها الداء من الحمل، لكن يكون قليلاً متفرقاً، يسيل من الشماريخ فلا يثبت إلا القليل منه، كما يصيب العذق أدنى شيء ينتثر الحمل منه. وهذا الحمل رديّ على من يأكله، يورث أدواء ردية، فينبغي أن يجتنب أكله خاصة (خلالاً أو بسراً أو رطباً)، فإن دفعت ضرورة إلى أكل حمل النخلة المجذومة فليؤكل تمراً، فإنه لا يكاد يضر ولا يورث ما يورث غيره من مثل الرطب والبسر. (ص: ١٣٦٨).

واعلموا أن هذا الداء ينال الناس فيأكل أطرافهم من حدة الدم الذي يخالطه مرار أسود رقيق حرّيف حار. فإذا بلغ بهم الأمر إلى هذا من تمكن هذه العلة بهم، فإنهم لابرء لهم، بل أحسن أحوالهم أن تقف العلة فلا تزيد عليهم. وكذلك إذا اعترى هذا الداء النخل فإنه يتأكّل كربها ويصفر سعفها ويناله سواد في داخله يظهر إذا كسرت السعفة، ويخرج طلعها إذا طلع منها فتاً متناثراً له ريح كريهة. ورايحة طلعها هو أحد الأدلة على أن بها هذا الداء، وسواده إذا مضى عليه أيام، فإنه يضرب إلى سواد إلى أن يصير بلحاً، فإن خضرته تكون فيها كمودة. (ص: ١٣٦٩ ـ ١٣٧٠).

ويذكر صاحب كتاب الفلاحة النبطية أمراض يتشابه بها الإنسان مع النخلة، مثل مرض البرص، (يراجع صفحة ١٣٧٢). ويقول: وهذا

الكلام على هذه الأدواء العارضة للنخل إنما أحوجنا إليه تشبيهنا النخلة بالإنسان وأنه يعرض لها مثل عوارض الناس. فقد ذكرنا من ذلك ما قد مضى، وقد يعرض لها مما يعرض للناس أدواء، وهي أكثر مما ذكرنا.

وكذلك يذكر مرض اليرقان، ومن أدواء النخل، وما يشارك فيه الناس والشجر انقطاع النسل، وكذلك داء يسمى «تمرد الطبايع» أو «الموت المفاجئ» وكذلك داء المشتارا ويسمى: نسيج العنكبوت[1].

وقد توهم قوم من قدماء الكسدانيين أن سبب حموضة الثمرة في النخلة من بول الخفاش عليها، وليس الأمر كما توهموا، بل هو من أدواء النخلة لظهر في تمرتها منه الحموضة. (ص: ١٣٧٢).

فقد أشبهت النخلة الإنسان في ذاتها وطبيعتها وأمراضها وأعراضها وجوهرها. وقربها في جوهرها من جوهر الحيوان شيء ظريف دال على أشياء أهمها وأنفعها للناس أن ثمرتها لمّا كان لطيفها يجتمع في راسها كانت هي على الحال التي ذكرنا من شبه الإنسان، كانت ثمرتها التي هي لطيفها أغذى للإنسان وأشبه وألزم وأقرب انقلاباً إلى الدموية من كل الثمار، وصار في ذلك قريباً من طبع لحوم الحيوان التي يأكلها قوم من الناس وتعافها نفوس قوم فلا يأكلونها، إلا عابري سبيل ويتدين قوم بتركها. فأما من عدل عن أكلها فإن ثمار النخل تقوم له مقامها، لأنها تالية لها في التقوية والأغذية. (ص: ١٣٨٨).

إن الإنسان شجرة مقلوبة والشجرة إنسان مقلوب. أفلا تعلمون أن هذا إذا كان هكذا فراس النخلة كأسفل الإنسان وأسفل الإنسان كراس

---

(١) (يراجع كتاب الفلاحة النبطية باب النخيل، ج٢ صفحة: ١٣٣٩ وما بعدها).

النخلة، وأسفل النخلة كراس الإنسان. فإن هذا هكذا...، فإن قاس على هذا الأصل وعكس المعاني كلها فيه من الإنسان على النخلة ومن النخلة على الإنسان، استخرج من ذلك منافعاً كثيرة وعلوماً جمة، فإنّا قد أومأنا إلى الطريق وزدنا على الإيماء ففتحناه. ونحن نزيد في فتحة ها هنا. (ص:١٣٩٦وما بعدها).

النخلة عاشقة:

النخلة تشبه الإنسان في العشق والهوى:

وتشبه النخلة الإنسان في العشق والهوا. وهذا معنى، أول من فطن له وابتداه برعبلا الساحر على قديم الدهر. فهذا الثابت عندنا، إلا أن قوماً ادعوا ذلك لدواناى. لست أعرف صحة أيهما بدأ. فإنّه قال إن النخيل يهوى بعضهن بعضاً ويتعشق بعضهن بعضاً، إلا أنه على غير سبيل عشق الناس بعضهم بعضاً ولا يشبهه إلا من اشتراك في الاسم. (ص: ١٣٦٠).

فأما الأسباب التي يقع هذا الداء منها في الناس من بعضهم لبعض فلا تعرف. ومعرفة ذلك من النخيل من جهة المحاذاة من المنبت على خط مستقيم، والاستواء في القدّ، فإنه كثيراً يدل على الاستواء في العمر. فمتى عرض لنخلة الدقّ، وهو يعرض للنخل كما يعرض للناس، فامتنع حملها من الظهور فيها وتبيين النقصان في لبها وسعفها دلّ ذلك على أنها عاشقة. وأكثر ما يكون هذا في النخل من فحل لذات حمل أو من ذات حمل لفحل، وربما عرض هذا من ذات حمل لمثلها من ذوات الحمل وذلك قليل جداً. (ص: ١٣٦٠).

وهذا داء من أدواء النخل قاتل لهم في الأحيان. وطب النخيل من هذا الداء كطب الإنسان منه. فالإنسان دواؤه الاجتماع مع من يهواه. والنخلة دواؤها أن تلقح بشيء من طلع الفحل الذي هويته. وإن هويت حاملة مثلها فليؤخذ من طلع المعشوقة فيجعل في جوف طلع العاشقة، وإن لم تطلع المعشوقة طلعاً لبعض الأسباب المانعة من ذلك، فليقطع من سعفها سعفة مع كربتها ثم تعلق على العاشقة، وربما علق عليها من سعف المعشوقة أربعة في أربعة جوانب النخلة العاشقة، وربما كشطوا من ليفها فحبّلوا به العاشقة، ومن أجود ما يعمل في هذا أن تؤخذ قصبة طويلة فيجعل أحد طرفيها في أصل هذه والطرف الآخر في أصل الأخرى، ويشد في جذع هذه حبل غليظ وطرفه الآخر في جذع العاشقة، فيجمع هذين على نخلتين، الحبل المشدود والقصبة، من الأصل إلى الأصل، وفيه وجوه من الحيل، ليزول على النخلة الذي اعتراها الهزال من العشق، كثيرة، وهي من نحو ما ذكرنا. (ص: ١٣٦٠).

وليس يعرف النخلة العاشقة من الأخرى، حتى يحكم بأن ما قد لحقها من النقصان إنما هو لعشق أصابها، إلا شيوخ الفلاحين المتدربين المدمني علاج النخل وتفقد أدوايها، فإن هذا الداء يتفصل لهم فيقفون عليه ويعالجونه. وأما أرباب الضياع وغيرهم من أبناء الناس فإنهم لا يعرفون هذا ولا يفصلونه من الهزال، لأن هذا ينال النخيل منه نقصان وهزال وذوبان، وقد ينالهن مثل هذا من غير عشق، فيحتاج هذا إلى تفقد جيد وفطنة ثاقبة حتى يميّز بينهما، فيقصد لعلاج كل واحد منهما بما يخصه من العلاج. (ص: ١٣٦١).

وقد قال برعبلا في كتاب عمله في فلاحة النخل ليعمل منه ما يدخل في أعمال السحر، فقال في باب علاج أدواء النخل: علاج العشق

العارض لهن أن يؤخذ كساء صفيق النسج غليظ الغزل، إن كان جديداً فهو أنجع في أشفايه، فليلف حول المعشوقة، فحلاً كان أو حاملة، من وقت إلى وقت، وهو أربع وعشرين ساعة، ثم يقلع عن تلك ويلفف حول العاشقة من الوقت إلى الوقت، ثم يقلع عن تلك ويلفف حول جذع المعشوقة، ثم يرد فيلف حول العاشقة. قال ويدمن هذا العمل هكذا سبع مرار إلى أربعة عشرة مرة، فإن النخلة السقيمة تبرأ إذا كان أصل مرضها العشق. (ص: ١٣٦١).

قال ومن علاج النخلة العاشقة أن يؤخذ من ماء قد وقف في أصل المعشوقة، ويرش على لب العاشقة، وليس في هذه الوجوه كلها، مع أنها صحيحة حق كلها، أبلغ في شفاء العاشقة من ترك شيء من طلع المعشوقة بحيث يماس طلع العاشقة ويشد فيه بخوصتين وثلثة في موضعين وثلثة، أو يؤخذ من عراجين الفحل عرجون فيجعل في لب النخلة العاشقة أو بعكس هذا العمل، إن كان الأمر بالعكس. (ص: ١٣٦١).

وذكر ينبوشاد في هذا الباب أنه جرب أن أخذ حجراً مربعاً فجعله في لبّ المعشوقة ثلثة أيام بلياليها، ثم نقله فجعله في لب العاشقة ثلثة أيام بلياليها، ثم نقل إلى المعشوقة، ولم يزل يكرر هذا العمل حتى صلحت العاشقة وزال هزالها ورجعت إلى الحمل. قال ينبوشاد: ومن أوضح الأدلة الدالة على أن النخلة عاشقة لنخلة أخرى أن ترى العاشق قد أمالت رأسها قليلاً إلى ناحية المعشوقة، ثم يظهر بعقب هذا هزال بين وذوبان ونقصان عن صورتها الأولى. فإذا ظهر هذا بعقب هذا فلا تحتاجون معه إلى دليل، فإن النخيل تعوج روسها من الفزع من الكراهة ومن المحبة... وليس تحتاجون إلى تفصيل هذه بعضها من بعض لشهرتها عند الفلاحين وعند كثير من أرباب الضياع، فإنهم يعلمون أن

النخلة إذا كانت تحمل دايماً ثم بني على جانبها بناء طويل يظل عليها لم تحمل وحالت دايماً، فإذا هدم ذلك البناء عادت إلى الحمل. وإن النخلة متى وقع بالقرب منها صاعقة، ولو على أذرع كثيرة، انزعجت وارتعدت كما يرتعد الإنسان عند الفزع من ورود هول عليه، وربما عند وقوع مثل هذا كما يموت الإنسان من ورود الأهوال عليه من شدة ما يناله من الفزع. وقد تميل النخلة برأسها إذا بني إلى جانبها حائط، أمالت راسها إلى خلاف جهته، كما يكره الإنسان شيئاً فينحرف عنه كذلك قد تميل النخلة راسها إلى جهة النخلة التي قد هويتها. فإذا رأيتهم نخلة قد مالت رأسها إلى ناحية ما وليس إلى جانبها بناء هايل ولا أسطوانة غليظة مركوزة، فأعلموا أنها قد هويت نخلة مليحة غضة خصبة شكلة في النخل، وكانت الإمالة نحوها، فتلك المعشوقة لا تشكون فيها، فاعلموا ذلك واعملوا في علاج العاشقة كما وصفنا لكم.

وفي هذا المعنى كلام كثير أكثر من هذا وأشياء هي أوسع.... (ص: ١٣٦٢).

الحنطة (خبز الحياة):

رحلة آدم لإقليم الشمس

يذكر كتاب الفلاحة النبطية:

إن قوم ذكرهم أدمى يسكنون حول إقليم الشمس، ذكر أن غذاهم اللحمان فقط مع الزبيب والعنب، لأنه قال إن الكروم في موضع سكناهم كثيرة، قال فهم يجففون أصناف اللحوم وخاصة لحوم الطيور، لأن عندهم طيوراً كباراً جداً، فيذبحونها ليذكّونها بالذبح، ويقدّدون لحومها ولحوم الأغنام، لأن لهم غنماً وبقراً وغير هذه الحيوانات، قال

فهم يقددون كثيراً من تلك اللحمان حتى تجف جيداً، ثم يجففون الزبيب جفافاً جيداً، ثم يخلطون اللحمان بالزبيب المجففين، ثم يطحنوها في أرحية مختلفة. وذكر أنهم أحذق الأمم بأعمال الطاحونات، وأن لهم منها ما ليس لأحد من الأمم، وأن حذقهم بها يفوقوا به على جميع الأمم، وأنهم إذا طحنوا اللحم المجفف مع الزبيب خبزوها، قال، في غير تنور بل في حفاير في الأرض، وربما طبخوها، تؤكل بحسو وكبولا، ويأكلونها، فتغذوهم، وأبدانهم بهذه الأغذية أعبل وقوى من أبدان أهل الهند والصين. (ص: ٤٤٩).

قال ولولا، أن بينهم وبين بلاد الهند برية واسعة بعيدة عن البلادين، لقد كانوا يجلون أهل الهند عن بلادهم لفرط قوتهم وعظم شدتهم. وإن علف حيواناتهم من حشايش تنبت في بلادهم، ويجففونها ثم يعلفون بها غنمهم وبقرهم وخيولهم وحميرهم من تلك الحشايش، يابسة ورطبة. (ص: ٤٥٠).

وأخبر أيضاً أن الحنطة والشعير ينبتان في تلك البلاد حتى يصيران شجراً طولها قامتين وثلاث قامات، وأنهم يمتنعون من حصادها وأخذ حبها ومن إفلاحها أيضاً، لأن في بلادهم حيات لها أجنحة تطير بها كالطيور، أجسامها كبار في قدر أعظم البزاة، وإن تلك الحيات تأوي في أنبات الحنطة والشعير وتأكل حبوبها وتأكل اللحمان وتصيد ما صغر من الحيوان فتبتلعه. وإن هذه الحيات قد حالت بينهم وبين أكثر ثمارهم وأشجارهم، وقال وذاك أن هذه الحيات ذوات سموم قاتلة للوقت بلا تأخير وقتلها لهم بنفخها عليهم، فإذا أحس الإنسان بالنفخة قد نالت من جسمه موضعاً أيقن بالموت وأخذ أهله في تجهيزه إلى المقبرة. ولهم

علاج يتعالجون به من سم هذه الحيات، ويسقى منه للوقت، إلا أنه كريه جداً فمنهم من يؤثر الموت على استعمال ذلك العلاج، وأنهم نهوا أدمى أن يتقرب إلى شجرة الحنطة والشعير شفقة عليه من تلك الحيات، لأنهم ينفخون على كل شيء يقفون عليه، ويبيضون ويفرخون، وذلك أن سمّهم هو في ريقيهم الكاين في أفواههم، فمتى عضت حية منهم شجرة أو غصناً منها أو ثمرة أو شيئاً قبضت عليه بفيها، فماسّ ذلك بدن الإنسان، مات إما في الوقت أو بعد ساعات يسيرة. (ص: ٤٥٠).

قال أدمى: فلما نهوني عن الدنو منها، بعد أن أخبرتهم أن غذاي في بلدي هو الخبز المتخذ من الحنطة والشعير، وأن نفسي تنازعني إلى العادة وأن بدني لا يقوى ولا يقوم على ما يقيم أبدانهم إلا بعد أن تألفه طبيعتي، قالوا لي: فاحتل لنفسك في أخذ شيء من حب الحنطة واجهد إن أمكنك جمعه. (ص: ٤٥١).

قال أدمى: فقلت لهم سأريكم كيف أحتال لذلك، قال فعمدت إلى الرصد إلى أن رميت واحدة من تلك الحيّات الطيارة بنشابة عملتها، فوقعت على بطنها فانصرعت، فلم تزل تضطرب حتى ماتت، وذلك أن تلك الحيات كلها لا تموت أبداً حتف أنفها، فلما ماتت، أخذت تلك النشابة فرميت بها حية أخرى فصرعتها، فلم تزل تضطرب حتى ماتت واسودّت النشابة سواداً شديداً من حدة السم، لأنه نفذ فيها، لأن النشابة غاصة في بطني الحيتين، فأخذتها فدفنتها في الأرض، وأخذت نشابة أخرى فرميت بها حية أخرى. فكان حالها حال ما قبلها. ثم عمدت إلى نوى تمر نخل ينبت في بلادهم فاستخرجت نواه، ثم أحرقته وبللته، لما صار فحماً بعد طحنه، بدهن يكون عندهم، وطليت به أبدان الثلث

حيات، فاسودّت حتى صارت كالقار، ثم صلبتها على ثلث قصبات، من غير أن أمسها بيدي البتة. وجعلتها حول شجر الحنطة. ففزعت الحيّات الأحياء كلها إلى بعيد من ذلك الموقع فزعاً من الحيات الموتى السود المصلوبة على القصب. (ص: ٤٥١ ـ ٤٥٢).

وذلك أن تلك الحيات ما أن رأت قط حية منهنّ مصلوبة ميتة، وكان هناك فراسخ كثيرة فيها نبات الحنطة والشعير شيء عظيم، وقد وقع بين تلك الأشجار من حب الحنطة والشعير شيء عظيم كثير، فعجبوا من فزع تلك الحياة وهربهن من ذلك الموضع إلى بعد منه بعيد، وفرحوا فرحاً عظيماً، حتى إنهم جعلوا يسجدون لي كلما رأوني في طريقهم ومتصرفاتهم. ثم صبرت قليلاً حتى جاءت مطرة عظيمة، فغسلت تلك الأشجار وتلك الحبوب، فلما مضى ثلثة أيام وجفت الأرض والشجر، أمرتهم بجمع ذلك الحب، فجمعوا منه شيئاً كثيراً وهم يتفزعون من سم الحيات، وأنا أونسهم وأشجعهم. ثم أمرتهم أن يطحنوه في طواحينهم، ثم عملت لهم تنوراً كبيراً وعجنت وخمّرت العجين وخبزت الخبز وأكلت فأكلوا معي وطاروا فرحاً واستبشروا وجعلوا ذلك اليوم عيداً لهم، فهم يقيمونه أبداً، وزادوا في السجود لي، وعملوا كل شيء عملته، فرموا الحيات بالنشاب فقتلوا منهن شيئاً كثيراً، وعملوا بهن مثل عملي، وتعلموا جمع الحب بعقب المطر، وتعلموا زرع الحب بتعليمي ذلك لهم، وصار غذاؤهم الحنطة، واستطابوها ورجعت عقولهم إليهم، وذلك أنهم كانوا مغفلين شبيهاً بالبهايم. فلما اغتذوا بخبز الحنطة عقلوا وصار لهم أفكار جيدة. وكانوا يمشون عراة، فحدث لهم حياء من بعضهم البعض، وصاروا لهم عقول خلاف عقولهم التي كانت لهم، إذ

كانوا يغتذون ذلك الغذاء. ثم علمتهم لقط القطن، لأن بلادهم تنبت كل شيء من النبات الذي في ساير الأقاليم التي على الأرض، وأريتهم غزله ونسجه، فتعلموا ذلك. وإنما كانت ثيابهم جلوداً رقاقاً يعملونها لذلك، ومن أوراق شجر عظام، تستر رجلاً ومعه آخر، إن أراد ذلك، فلما غزلوا ونسجوا ولبسوا الثياب فرحوا وعقلوا وفهموا، فأجمعوا على أن يملّكوني ملكاً عليهم وأن يجعلوني ملكهم. فحسدني ملكهم حسداً عظيماً وجعل يحتج عليهم يقول لهم: «لم تخلعوني وتملّكون هذا الذي قد ضركم وما نفعكم، لأنه أفادكم الغذاء الذي صرتم به عقلاء فهماء تغتنمون أكثر مما تفرحون ويستحي بعضكم من بعض؟»، فأرادوا قتله فنهيتهم عن ذلك وأمرتهم بطرده إلى البرية، ففعلوا ذلك. (ص: ٤٥٢).

وكنت قد أزمعت على المقام في ذلك الإقليم، لأنه أطيب بلاد على وجه الأرض وأكثره عجايباً. ثم بدا لي الرجوع إلى الوطن ونازعني النفس إلى العودة. فخرجت عن بلادهم وأخذت من طرايف ما هناك أشياء كثيرة، لأن العجايب في بلادهم كثيرة جداً، من حيوانات ونبات ومعدنيات، تنبت لهم نباتاً كالشجر والنبات. فخرجوا بين يدي مشيعين لي، يضربون بالآلات التي عندهم مثل ما نحن عندنا من ذلك، لكن الذي عندهم أعظم وأعجب كثيراً. (ص: ٤٥٢ ـ ٤٥٣).

طقوس: في صناعة الخبز وعجائبه:

يذكر صاحب كتاب الفلاحة الكثير من المعلومات المهمة في باب الحنطة والشعير ولاسيما الحنطة ومنها طقوس تتعلق بعجن طحين الحنطة وسوف نورد منها طرف.

ـ طقس (١):

ـ عجن الطحين بماء بايت تحت القمر والنجوم.

قال جاء في كتاب الفلاحة النبطية:

وأحذروا أن تعجنوا بماء قد سخن في الشمس كل الحذر، فإنه مضر بكل أحد والماء البايت في القمر وتحت النجوم صالح نافع. ومن أكل دايما من خبز قد عجن عجينه بماء منجّم تحت القمر زاد ذلك في ذكايه وحفظه ومعرفته، وبخاصة ما كان بايتاً تحت القمر، فإن لهذا خواص أفعال ظريفة. فإن أبانا آدم قد علمنا في ذلك تعليماً نافعاً، وذلك إنه قال:

من اعتاده نقصان شهوة الطعام ورأى في هضم معدته تقصيراً وانقطعت عنه أكثر شهواته التي جرت بها عادته، ونقصت قوة بدنه في حركاته وبطشه، فليأخذ من حب الكزبرة فيعد منها على عدد مضروب أحد عشر في اثني عشر، وهو ماية ونيف وثلثين حبة، فيجعلها في إناء من زجاج أو غضار ويصب عليها، بعد أن يدهنها بزيت بمقدار ما يتغرّق الحب كله بالزيت، من الماء، ما يكون كيلة سبعة أرطال، ثم يترك الأناء في القمر من أول طلوعه إلى آخر الليل. وليجعل على الأناء الذي فيه الماء وحب الكزبرة قضيباً كهيئة المغزل من فضة، معترضاً من جانب الأناء إلى الجانب الآخر، ويتابع ذلك ثلث ليال، ويرفعه بالنهار تحت سقف مغطى بخرقة نظيفة محكم التغطية. فإذا طلع القمر جعله تحته وكشفه من غطايه، والقضيب الفضة معترض عليه، فإذا كان صبيحة اليوم الرابع، فليصف الماء وليأخذ الحبات فيجعلها على مقلي خزف، ويكون تحته جمرات فيها نار إلى أن تتحمص حبات الكزبرة

قليلاً وتشتم لها رايحة مع رايحة الزيت، ثم يسحقها في هاون ناعماً ثم يلقيها على ذلك الماء ويعجن به عجيناً ويخبره خبزاً ثم يأكله. ويفعل ذلك دايماً إلى أن ترجع شهوته وتزول تلك المكاره عنه. قال وإن أراد أدمان ذلك فالوجه في أدمانه أن يجعل في أواني عدة من حب الكزبرة، في كل إناء مثل ذلك العدد، ومن الماء مثل الكيل، ليكون له ماء كثير يخبأه ويعجن به دايماً ويخبزه ويأكله. فإنه ليس يصلح في إناء واحد أكثر من ذلك العدد من الحب ولا أكثر من ذلك المقدار من الماء، فإذا رجعت قوته وشهوته فليقطع أكل ذلك الخبز، وإن أحب أن يعمل ذلك دايما ويأكل خبزه دايماً فليفعل. هذا آخر كلام أدمى. (ص: ٤٣٨ ـ ٤٣٨).

ـ طقس (٢):

ـ الحذر من ماء بات في أواني المسّ والرصاص.

قال قوثامي قال صغريث: واجتنبوا أيضاً العجن بماء قد بات في أواني المسّ والرصاص، فإن ذلك يضرُّ بالمعدة، إذا أدمن، فأمّا أن يكون شاذاً في وقت، فلا بأس به. واعلموا أن الخمر الفاسد إلى نحو الحموضة والمرارة، إذا عازكم الخمير فخلطتهم منه تعجنون به العجين شيئاً يتبين طعمه فيه، ثم عجنتم به العجين ودثرتموه، أختمر وطاب طعم خبزه، وإن دخن موضع، فيه عجين قد عجن بخمير، بكبريت وحرمل، أسرع اختماره واحتدت حموضته. فكان خبزه مريّاً جداً، وكذلك ودخان القير والنفط يفعلان ذلك ويحمضان العجين، وإن أكثر من تدخين هذه وإن قللت عملت بحسب ذلك، وإن شم العجين ريح البطيخ أو قرب منه أو الموز والأجاص والشاهلوك والخيار أو تقربت

منه امرأة حايض، لم يختمر. وإن شم منه ريح اختمار فليس ذلك حقيقة مختمر من اختمار صحيح، بل طبع ذلك العجين طبع الفطير وخبزه يكون فطيراً. وهذا كله من خواص الحنطة، فإن فيها من عجايب الأفعال ما لا يمكننا إحصاوه كله ولا ندرك ذلك ولا نعلمه. (ص: ٤٣٩ ـ ٤٤٠).

ـ طقس (٣):

ـ فساد الخبز من مس امرأة حايض.

فمن عجايب خواصه أنه إن عجنت امرأة حايض اختمر العجين ولم يفسد، وإن عجن العجين رجل أو امرأة غير حايض، ثم وضعت امرأة حايض يدها على العجين فسد وتغير إلى رخاوة. ومتى تقربت مرآة صدية إلى جفنة العجين أو وضعت فوق غطا العجين أسرع اختماره. وإن كان بقرب العجين زعفران تبلغ رايحته إلى العجين أسرع اختماره، وكذلك الحلتيت. وإن نقع السندروس مع الملح في الماء يوماً تاماً أو ليلة كلها، ثم عجن به بخميرة أسرع اختماره وأصلحه وأطاب طعمه. وإن فرش تحت جفنة العجين نورة وزرنيخ مخلوطين أسرع اختماره وأصلحه. وإن نقع العاقر قرحاً في ماء حار ساعة، ثم عجن به عجيناً أسرع اختماره، ولينقع مع الملح إن كان العاقر قرحاً جيداً، وإن كان ردياً فلينقع نصف يوم وأرجح. وإذا عجن الدقيق بماء قد طبخ فيه حمص وباقلى وحمص وشعير وأصول السلق وفلفل أو باقلّى مرضوض وبورق أسرع الاختمار وصلح. (ص: ٤٤٠ ـ ٤٤١).

شجرة الزيتون (شجرة كوكب زحل):

واعلموا أن كل حيوان أسود اللون فهو لزحل، وكل حجر كذلك فهو له، وكل نبات أسود رزين فهو له. واعلموا أن شجرة الزيتون قد اجتمع فيها السواد في ثمرتها والرزانة في خشبها والبقاء لشخصها والدوام في الأرض لها. فمن خواص منافع زحل في الفلاحة أن رجلاً أسودَ إذا أخذ بيمينه ملوها من الزيتون الأسود، وأخذ بيساره فأساً نصابه حديد، وحفر بذلك الفأس في أصل شجرة الزيتون التي قد نقص حملها أو حالت عنه أو تغير ببعض التغيرات المذمومة، وكان فعله لذلك في يوم السبت، ودفن الكف من الزيتون الأسود النضيج في أصل شجرة الزيتون، وغوصه في التراب مقدار ما يظن أن هذه الثمرة من الزيتون قد وقعت على العروق من الشجرة ودفنه بالتراب جيداً وصبّ عليه من أول الليل، ليلة الأحد، مقداراً من الماء فيه كفاية، ثم صب عليه كذلك ليلتين متواليتين، ثم تركه أحد وعشرين يوماً، يتبين في تلك الشجرة أشياء تخالف بها ساير أشباهها من شجر الزيتون. منها أن ورقها يكثر ويحسن ويشتبك عليها، وأن ثمرتها تزكو وتنمي وتكثر حتى تصير أضعاف ما كانت، وتجود وتجتمع مع ذلك وتحسن، وإذا بلغ ثمرها لم يسود كما غيره، بل يكون مسفر اللون في البياض الذي يشوبه غبرة، فافهموا، وأيضاً فإن أغصانها تكثر وتقوى وتشتد كثيراً، وعروقها تغلظ وتسمن في الغوص في الأرض، فيكون ذلك سبباً لطول بقائها وكثرة مكثها. وإن عدمت الماء لم يضرها كما يضر بغيرها ويكون لها صنوف من عجائب تركيبها، أعني تركيب أشياء من الشجر عليها، يظهر منها عجائب كثيرة. (ص: ١٢ ـ ١٣).

واعلموا أني بدأت بذكر شجرة الزيتون، قبل دخولي في الكتاب،

لعلّة بقائها، فإنها أبقى النبات كله، فيما يلينا. فلذلك أضافها قُدمانا إلى زحل، وقوم منهم أضافوها مع زحل إلى الشعري اليمانية، وهو الكوكب المضيء الذي هو على عنق صورة الكلب. فقالوا إنها لهذين الإلهين، فهما يمجدانها ويحوطانها. ولعمري إنهم أصابوا وأحسنوا. فبدأت بذكرها، لأن هذا الكتاب إنما حركني على نظمة إلهنا زحل لأن الفلاحة له كلها وعمارة الأرضيين وإصلاح النبات له أيضاً، فبدأت بها لذلك. (ص: ١٨).

تبرك الناس بشجرة الزيتون:

فأعرفوا مقدار هذه الشجرة وموقعها، فإن قدماءنا كانوا يأخذون من ثمرتها شيئاً ومن ورقها في أغصانه شيئاً منه عند نزول الشمس برأس الحمل وبرأس السرطان، وبرأس الميزان وبرأس الجدي، فيدعونه في منازلهم ويعلقونه عليهم وعلى نسائهم وأولادهم. فكانت منازلهم لا تخلو من ورقه وثمره وأغصانه، تبركاً منهم به وتفائلاً للبقاء والسلام من الآفات. فلقد كانوا لعمري طوال أعمارهم صحيحة أجسامهم. وها نحن في زماننا قد استعملنا ذلك، ونحن نستعمله دايماً فنجد من بركة هذه الشجرة ما نسر به، ونقتدي بمن مضى قبلنا فنجده صواباً من الفعل وصحيحاً في العمل. (ص: ١٨ ـ ١٩).

شجرة الزيتون والمرأة:

واعلموا أن هذه الشجرة لا يوافقها أن تمسها امرأة حايض ولا نجسة بإحدى النجاسات ولا رجل نجس أيضاً. وهذه النجاسات هي أن تكون المرأة أو الرجل قد مسوا ميتاً من أي الحيوانات كان، وأشدها نجاسة

الإنسان الميت، أو تقدموا إليه حتى ماسّوه، فلأنه متى مسّ هذه الشجرة امرأة أو رجل نجسان من أي ضرب من ضروب النجاسات كان مما ذكرت وما لم أذكر، لأن النجاسات كثيرة، فإن هذه الشجرة عند ذلك تحول عن الحمل. فإن حملت فيصير خناق ربما قتل آكله. (ص: ٣٣).

وربما نبت في أصل شجرة الزيتون فطر قاتل، وعلامته أن يكون أسود أو أغبر شديد الغبرة، فإذا كان ذلك ورأيتم هذه العلامة التي أخبرتكم بها، فاعلموا أن امرأة حايضاً قد مسّها، أو نجسة أو رجلاً نجساً، فينبغي أن تعالجوها بالعلاج الذي يزيل ذلك عنها، فإنّا نسمي هذا بهذا الاسم: نقول «إن شجرة الزيتون قد غضبت»، ونسمي علاجها أن «أرضوها حتى ترضى» فرضاها يكون أن يؤخذ من الزيت الصافي لكل أصل واحد أوقيتين، ومن الخمر الجيد أوقيتين، ومن بذر السذاب أوقية، ومن الشمع الصافي الجيد أوقية، فيدق بذر السذاب من الشمع حتى يختلطا، ويجعلا على نار فحم لينة في أناء، ويصب عليها من الخمر قليلاً ثم الزيت مثل ذلك أيضاً. (ص: ٣٣).

ويساط بخشبة من خشب الزيتون حتى يختلط الجميع جيداً ثم يؤخذ إناء من نحاس فيصب فيه ماء قد استقي من بير نظيفة ويطبخ حتى يغلي عليه، ثم يلقى ذلك المختلط أولاً عليها ويغلى غليتين ثلثة أخر، ثم يترك حتى يبرد أو يفتر، ثم يرش على هذه الشجرة وأغصانها حتى تعرق من كثرة الرش، ويقطر الماء منها إلى الأرض شيء منه كثير. يفعل بها ذلك غدوة وعشية، ثم يترك ويعاود عليها هذا بعد يومين، غدوة أيضاً وعشية فإنها لن تحتاج إلا إلى ذلك مرتين أو ثلاثة حتى يزول هذا الداء عنها. (ص: ٣٤).

وجاء في كتاب الفلاحة النبطية فصل ذكر الزيتون حول علاقة شجرة الزيتون بالمرأة من علاجات لا سيما زيت شجرة الزيتون من أنه:

وإن أخذت امرأة بها وجع الأرحام، أيّ أوجاعها كان، فشرّبت صوفة لينة أو قطنة خشنة الزيت العكر، وتركت القطنة ناحية من الزيت، ثم رددتها كذلك تسع مرات، وليكن ذلك في زيادة القمر في الضوء، ثم تحملتها في قبلها، وفعلت ذلك مراراً، أذهب هذا العكر كل علة وجد به وأبراها، ويصح بدن تلك المرأة. فإن تحسبت هذه المرأة، في حال تحملها في قبلها القطنة مقدار نصف أستار من الزيت الصافي العتيق، صح جسمها وكان أبلغ لذهاب الأوجاع عن رحمها، وذهب عنها جميع التشكي في ساير بدنها. وهو يمنع أعني الزيت، إذا تحملته امرأة قبيل الجماع، من الحمل، إن كان مزاج المراة حاراً أيّ الحرارات كان، فإن كان مزاجها بارداً شديد البرد، أعان على الحمل إذا تحملته قبيل الجماع، وأنجبت في الولادة. ففعله فيهن بحسب أمزجتهن. فاعرفوا ذلك واعملوا به تجربة تجدوه كما قلنا. (ص: ٣٩).

واعلموا أن كل ما يوحى إليكم به من هذا الكتاب من منافع شيء ومضاره أو خاصية فعل له أو تركيب شيء على شيء آخر، وغير ذلك من فنون المعاني، فأصل وقوعه إلينا وعلمنا به إنما هو مما قدمنا لكم ذكره من نعمة الآلهة علينا، إما بفعلها أو بإلقائها إلى الأصنام وتلقي ذلك الأصنام إلينا، واستنباطاً وجدناه بعقولنا التي وضعتها فينا الآلهة، أو شيء مأثور عن أسلافنا وحكمائنا، أخذوه أوليك من هذه الوجوه التي عددناها. فاعلموا. (ص: ٤٩).

الباذنجان (نبات زحل والقمر أو الخفاء والظهور):

ـ أسباب كوكبية:

هذا من المنابت التي تؤكل ثمرته وحمله وورقه وأصله. وهو مشهور في هذا الإقليم في زماننا هذا. فأما فيما قبله فإن الناس يقولون أقاويل ما أدري كيف هي. يزعمون أنه يبيد ويختفي ثلثة آلاف سنة ثم يظهر وينتشر مثلها. ويجعلون العلة في ذلك أفعال القمر بمعاونة الكواكب. والأصل في ذلك أنهم قسموا المنابت كلها ستة أقسام، أضافوا كل قسم إلى كوكب، أولها القمر. وهذا على أصل اعتقادهم أن الشمس فاعل الكل ومدبره، ثم يشاركه في هذا على العموم أحد الستة الباقية. وشرح هذا على التفصيل يطول، فلنقصد قصد الباذنجان خاصة، لأن كلامنا هاهنا فيه فنقول:

ـ صراع زحل (الغيبة أو الاختفاء) مع القمر (الظهور). (ص: ٨٧٤).

إن الباذنجان من المنابت التي هي فيما بين ما قام على ساق وما انبسط على وجه الأرض، كأنه في الوسط من الصنفين. فكذلك كان في حيز القمر وزحل وكان التغالب والاستيلاء بينهما في الباذنجان بالسواء. وإن هذا الخفآ من قبل زحل والظهور من فعل القمر، وإن زحل إذا غلب خفي الباذنجان وإن غلب القمر ظهر. وليس التغالب بينهما على حال مذمومة كالمعهود من تغالب الملوك والمنازعات الاختيارية على الدنيا في طلب الزيادة فيها، بل هو شيء نسميه نحن فيما بيننا تغالباً لشبهه بهذا التغالب بين الملوك وغيرهم على الدنيا. وهو شيء يحدث في هذه الأشياء التي في عالمنا هذا على سبيل العرض. (ص: ٨٧٤).

وفي شرح أمر الباذنجان في هذا الخفا والظهور كلام طويل كثير يجري مجرى الخرافات عندي فيما أظن، ولا فايدة لقاري هذا الكتاب فيه. فلنعدل عنه إلى نوع من الكلام آخر عن هذا النبات، إلا أنه لابد لنا مع ذلك من شرح موضع المنفعة في هذا الاختفاء والظهور وتفسيره وشرحه لتحصل، منه المنفعة وندع ما سوى ذلك من التطويل، فنقول:

ـ أصل الباذنجان:

إن الباذنجان نبات فارسي، أصل مخرجه إلى جميع أقاليم الأرض من بلاد فارس. وهو جنس تحته أنواع ستة، كل منها مخالف للآخر في اللون أولاً، ثم في الشكل والصورة، ثم في أصل الزرع. وهو متفق في الطعم والطبع، فاعرفه، والمنابت المنبسطة على وجه الأرض، مثل الكروم والبطيخ والقثا والقرع وما أشبه هذه فإن أشباهها كثيرة، إنما انبسطت على وجه الأرض ولم تقم على ساق لضعفها. وأصل ضعفها غلبة الجزء المائي على الجزء الأرضي فيها فالضعف كأنه السبب الأول وفعل المائية لذلك الضعف كأنه سبب ثان والباذنجان لما بين ما قام على ساق وما انبسط على وجه الأرض صار بالإضافة إلى ما قام على ساق ضعيفاً، إذ كان القايم على ساق أقوى منه. وقد مضى لنا في هذا الكتاب، في ندب الكلام على علل أشياء من المنابت تكلمنا على عللها، ومن هذه المعاني ما فيه كفاية للعاقل.

(ص: ٨٧٤ ـ ٨٧٥).

مقاصد الخرافات:

إذا لمع الكلام بطرق من الأخبار والخرافات الموضوعة للآداب

والحكم، تروحت النفس بذلك ورجعت إلى عمود الكلام وقد سلمت من الملل الذي يلحق، فيحول بين النفس والفهم والكلال المعمى عن النفس.

فلما حصل في الباذنجان هذه الصفات لزم أن يكون كلامنا عليه بحسبها. وإنما قصدنا في هذا الكتاب إفلاح هذه التي نذكرها وكيفية زرعها وتدبيرها في نشوها، وما يوافقها من الأرضين وغير ذلك من المعاني التي تشبه هذا، مما ينفع به الناس، إلا إننا هو ذا نخرج عن سنن هذا المعنى إلى غيره في بعض المنابت، لأحوال نفعها عن قصد، أحدها ترويحاً لقلب القاري، فإنه إذا لمع الكلام بطرق من الأخبار والخرافات الموضوعة للآداب والحكم، تروحت النفس بذلك ورجعت إلى عمود الكلام وقد سلمت من الملل الذي يلحق، فيحول بين النفس والفهم والكلال المعمى عن النفس. وأيضاً فإنا نذكر أشياء فيها دلالة على الإفلاح، وإن كانت كأنها خرافات، فيصير فيها مع تلك الفايدة هذه الفايدة الأخرى. وفيها فايدة ثالثة، أن نعلم من يأتي بعدنا كيف كانت صور أمور الأشياء قبله، وأين هي مما هي عليه في زمانه. وفي هذا فايدة كبيرة، فلمثل هذه الأشياء وأشباهها نخرج عن الكلام في الفلاحة إلى الأخبار والأقاصيص التي قيلت والتي تحدث بها الناس بينهم. (ص: ٨٧٦).

رد الشعوب الأخرى على خرافات النبط:

فإن قال لنا قايل من الفرس أو من الكرج أو من البيلقان والفهلوية أنكم زعمتم أن الباذنجان يغيب ثلثة آلاف سنة ويظهر، زعمتم، مثلها،

وليس نشاهد شيئاً من هذا في بلدنا، بل نرى الباذنجان ظاهراً لنا أبداً، نزرعه ونغرسه، ونفلحه، ونقلمه، ونلقط حمله فنأكله نيّاً ومطبوخاً، فإن أهل بلاد التتر يأكلونه طول السنة، وكذلك الفهلوية، وكذلك الكرج والمرج، فإنهم أكثر أكلاً له من التترية. وهم على هذا منذ سنة وثلثة آلاف سنة، ما يفقدونه ولا غاب عنهم قط؟ (ص: ٨٧٦).

رد النبط ودفاعهم عن خرافاتهم وسمو معاني وغموض أسرارها:

فإنا نجيب قايل هذا بأن قولنا «يغيب ويظهر» تحته معنى يفهمه الألبّاء العقلاء، ولم نخاطبكم أنتم معشر هذه الأمم بهذا، وأنا إنما وضعناه لأمثالنا من طايفتنا ولأهل البحث عن غوامض الأمور. وأنتم لعمري عقلاً لا نطعن عليكم، لكن لا علم لكم بهذه الغوامض من العلوم، فإن هذه الغيبة والظهور لم نقلها على هذا الظاهر، والدليل على ذلك أنكم تعلمون أنا نعلم أن هذا الباذنجان في بلدانكم لا ينقطع ظهوره وكونه، وأنتم تأكلوه دايماً بلا انقطاع ولا غيبة. فكيف تتوهمون أنا غفلنا عن هذا حتى قلنا أنه يظهر ويغيب، ونحن نشاهده عندكم دايماً لا انقطاع له. قد كان ينبغي أن تهديكم عقولهم إلى أن تحت كلامنا هذا معنى ما فيه الفايدة الجزيلة لمن فهمه. (ص: ٨٥٦).

فاعلموا الآن أن معنى قولنا «يغيب ويظهر» ليس هو عدمه من الأرض البتة، بل هو شيء نعرفه فيما بيننا ويعرفه أولوا العقل ومستنبطوا العلوم المفكرون فيها، الذين قد جرت عاداتهم بالأفكار والتفتيش من الأشياء. فأما الكرج والمرج والبيالقة، فإنهم لا يصبرون على فكر في

شيء البتة ولا علم بالأشياء التي هم مدفوعون إليها مما يحسونه ويدركونه بالمباشرة الحسية، فأما فكر عقلي واستخراج لشيء فإنهم ما أدركوه قط ولا يدركونه أبداً. (ص: ٨٧٦).

أسرار علوم النبط ورموزها:

واعلموا بعد ذلك، يا أهل العقل والبحث والاستنباط للعلوم المحبين للحكمة، أن البيالقة والتترية والكرج والمرج ليسوا بأهل أن يكشف لهم سر من أسرار العلوم ولا ظاهر من ظواهرها أيضاً، لأنهم ذوو عقول ضعيفة، والعقل الضعيف إذا ورد عليه ما لا يعرفه حيره وبلبله وأدهشه ووقع له فيه معاني وحالات ظريفة يضحك منه، إذا عبر عنها، لأنه غير مطبوع على فهم ولا يحس بعلم، فهو لا يعلم شيئاً ولا يعلم أنه ليس يعلم شيئاً، فهو والبهيمة في صفة واحدة. (ص: ٨٧٦).

وإن قول طايفتنا أن الباذنجان يظهر ثلثة آلاف سنة ويغيب مثلها قول صحيح، وإن هذه الغيبة والظهور فيها فايدة من جهة مضار الباذنجان ومنافعة لآكليه، وهو الذي يحتاج إليه من يأكله، وأكثر الناس يأكلونه وأكثر الناس يحتاجون إلى هذا العلم فيه، فأما من هجره وتركه البتة فلم يعرض لأكله، فإنه غني عن علم هذا، لكن العمل على الأكثر والجمهور الذين المنفعة لهم هي المنفعة الواقعة. وإن التاركين لأكل الباذنجان كالشذوذ الذي لا يعمل عليه، فقد صار الأخبار بمضاره ومنافعه أعم نفعاً وأعظم موقعاً. والكلام في ذلك متعلق بقولنا «اشترك في الباذنجان القمر وزحل»، فهو موضع الإشارة إلى طبعه، وطبعه دال على فعله. ولذلك كان سيد البشر دواناي يقول:

ينبغي أن ترددوا الفكر في كلامي وتبحثوا عن مرادي فيه ولا تمرون به صفحاً، فتفوتكم الفوايد التي تحته. وأنا قوثامي أقول لمن قرأ هذا الكلام في هذا الموضع:

لا تتهاونوا بخرافات وكلام النبط الكسدانيين فإنهم يأتون بالحكمة البالغة في صورة الخرافة

حيلة بذلك منهم على الأغبياء، لينفروهم عن العلم إن كانوا جهلاً، فأما إن كانوا عقلاً فإنهم لا ينفرون نفير الحمير ولا البهايم من أدنى صوت وحركة، بل يثبتون ويصبرون ويتأملون، فحينئذ يقفون على ما يسرون به وينتفعون به أيضاً منفعة بليغة. (ص: ٨٧٧).

تأويل خرافات النبط عن الباذنجان:

فالثلثة آلاف سنة التي نسبوها إلى الغيبة للباذنجان أضافوها إلى زحل، وهي مدة الضرر، لأن زحل نحس والنحس ضار. والثلثة آلاف التي أضافوها إلى القمر هي مدة زوال الضرر عن الباذنجان. وهذا الضرر فهو فعله في أبدان آكليه. وهذه المدة التي يكون فيها الامتناع من الضرر هي النافعة لآكليه، لأن كل غذا اغتذى به أبنا البشر ولم يضرهم فهو محمود لا ينبغي أن يحذر. فهذه الثلثة آلاف سنة هي رمز على ثلثة أشهر، التي هي فصل من فصول السنة، لأنكم تعلمون أن السنة أربعة فصول، كل فصل منها ثلثة أشهر، فالفصل الأول من السنة هو فصل الربيع الذي مبداه من أول نزول الشمس برأس برج الحمل، فهو أول، وكذلك زحل فهو أول، لأنه في أرفع الأفلاك. ونسبته أيضاً إلى أنه أول الأشياء يطول شرحها. (ص: ٨٧٨).

فكان هذا الفصل الأول من السنة للأول من الكواكب من هذه الجهة، وهو الفصل الذي يضر الباذنجان فيه آكليه، فكأنهم نهوا عن أكله في هذه الثلثة الأشهر المنسوبة إلى زحل، لأنه يضر بمن يأكله ضرراً بيناً، إذ كان هذا الفصل حار رطب والباذنجان حار رطب في الابتدآ يابس في العاقبة بالفعل، فضرره بهذا من جهة الطبع، وهناك ضرر بالخاصية له في هذا الفصل أيضاً لم يدخل بعد فصل الربيع فصل الصيف، وهو ثلثة أشهر، وهي ثلثة آلاف سنة لظهور الباذنجان، وهي المنسوبة للقمر السعد الذي يرتفع الضرر معه، فكأنهم قالوا: احذروا أكل الباذنجان في الربيع، وهو ثلثة أشهر، وكلوه في الصيف، وهو ثلثة أشهر، واحذروه في الخريف، وهو ثلثة أشهر، وكلوه في الشتاء وهو ثلثة أشهر. فكانت مدة غيابته هي الضارة ومدة حضوره هي النافعة، وعلى هذا الدهر كله. (ص: ٨٧٨).

تفسيرات أخرى...:

واعلموا أن هذا وإن كان شرحاً وتفسيراً فله شرح آخر وتفسير أيضاً يكون ذلك طويلاً. والشرح الذي هو الشرح إنما هو لمن صار يضر في الربيع وهو حار رطب، وينفع في الصيف وهو حار يابس، موافق لطبع الباذنجان الحار اليابس، فإنها مسئلة، لكن ليس ضرره ونفعه مبني على طبايع الفصول، بل مبني على أخلاط بدن الإنسان التي هي الدم والبلغم والمرّتين، لأنا قصدنا طلب منافع الإنسان ومضاره، لا مراعاة الأشياء في ذواتها، لا حاجة بنا إليه وأعمارنا تقصر عن بلوغ ذلك. (ص: ٨٧٨ ـ ٨٧٩).

وليت أمكننا إدراك منافعه خاصة ومضاره، فكيف نوغل في غيره.

فينبغي من أجل هذا أن ننظر في مثل هذه الأشياء النافعة للإنسان والضارة له إلى طبيعة الإنسان وأحوال جسمه ونفسه، وذكر الكواكب وغيرها في هذه الأشياء إنما هي سواتر وحجب على مواضع النافع لنا والضار. فهذا هو الحق المكشوف بلا ضن ولا تغطيه ورمز في باب الباذنجان خاصة، فإنه من الأطعمة الضارة، والقنبيط أضر منه وأشر، وكذلك الكرنب والقنبيط ضررهما أكثر كثيراً من ضرر الباذنجان، وليس الكرنب كالقنبيط، لأن في الكرنب منافع. وأما الذي هو ضرر كله بلا منفعة فالقنبيط، وهو بمنزلة الفطر الذي ما عرفنا فيه ولا في القنبيط منفعة، وهما ضرر محض. (ص: ٨٧٦).

فالباذنجان من الأطعمة المولدة للخلط السوداوي الرقيق الحاد. وهذا خلط ردي جداً. إلا أنه مع ذلك أحد المأكولات المألوفة. وقد يتصوره قوم من أهل زماننا هذا من الضرر على حال هي أعظم من ضرره وأكثر. وليس الأمر فيه كما يظنون بل فيه منافع كثيرة نحن نشرحها بعد ذكرنا ما ينبغي أن يقدم فإنا نقدم ها هنا القول على زرعه وإفلاحه...، ...، .... (ص: ٨٧٩).

شجرة الخطمي (صنم عطارد):

إن للكسدانيين في الخطمي خرافات كثيرة ذكروها، تحتها فوايد جمة، وأشياء عجيبة وإنما قدمت هذا قبل كلام أصحاب الكتاب وذكرهم تلك الخرافات ليتقدم علمك بذلك، فلا يخطر ببالك أنه كالهذيان الذي لا معنى له. بل لتفكروا فيه وتتبينوا ما قالوا فإن فهمتموه وجدتموه كما قلت... (ص: ١٥٥).

إن شجرة الخطمي لونان، أحدهما يورد ورداً أحمراً كباراً، والآخر ورده أبيض أصغر من الأحمر. وأكثر نباتها ونشوها في بلاد الجرامقة، وقد تنبت في إقليمنا كثيراً وتنتشر. وهي من النبات الفلكي، والمنابت الفلكية لا تفنى ولا تموت ولا تهرم أيضاً ولا تذبل ولا تتغير عن حال واحدة الدهر كله. (ص: ١٥٥).

وقد ذكر شباهي الجرمقاني إن شجرة الخطمي مما تحمل ورداً أحمر، بقيت في بلاد نينوى اثني عشر ألف سنة تحمل في كل سنة سبعة وعشرين وردة. وذلك مضروب ثلثه في تسعة، وتحمل وردة مفردة في رأسها، أكثر ورقاً من السبعة وعشرين كلها. (ص: ١٥٥).

قال شباهي: وكانت هذه الشجرة تحدثني كثيراً في النوم واليقظة، إلا أن أكثر حديثها لي كان في النوم، فإذا سمعت منها حديثاً كنت كما أنتبه من نومي أثبته في الجلد، كراهية أن أنساه، فأتتني ليلة في منامي فقالت لي: «اعلم أني صنم من أصنام عطارد، وأنت تظن أني شجرة خطمي فقط، وأنا شجرة خطمي، كما ترى، وأنا صنم جميعاً». (ص: ١٥٥).

وقد وقع بيني وبين اليبروح شر عظيم ومنازعات كثيرة، لأنه يدعي أنه أحق بمكاني مني وكل شيء على الأرض موضوع حيث وضعه إلهنا، لا يقدر أحدنا أن يتجاوز موضعه ولا لأحدنا استطاعه في الانتقال من حال إلى أخرى، كما لا يمكننا الانتقال من موضع إلى آخر، وكما لا يمكنننا الزيادة في قد وكبر والانتقال إليه من قماء وصغر، ولا أن نغير لنا طبعاً عن طباعنا فنعمل غير عملنا. واليبروح فجاهل عم بزعمه، أن جميع ما قلت إنه غير ممكن، يقول هو غير ممكن لنا أن نعلمه. (ص: ١٥٥).

وأنا أسألك، يا شباهي، أن تكتب إلى سحرة بابل أن يحكموا بيني وبين اليبروح، فإنك لا تعلم علمهم فَنحْتكِم إليك دونهم، لأني، كما تعلم، لا أستطيع مكاتبة أبناء البشر ولا إعلامهم شيئاً أريده، وإنما أعلمتك أنت بهذا، لأنني قد أصطفيتك من بين أبناء البشر، فلذلك أنت باق ببقائي الدهر كله. ثم تحللت الخطمية كما بلغت إلى هاهنا وصارت بخاراً صاعداً إلى السماء، فلم أرها بعد تحللها. وانتبهت فكتبت إلى سحرة بابل بذلك، فكتبوا جوابي يقولون:

«وصل كتابك وسرتنا سلامتك وسلامة الشجر قِبَلَك. وليس الخطمي عندنا كاليبروح، لأن اليبروح عندنا أعظم محلاً وأكبر منزلة في أفعاله في منافعنا ومضارنا. بل مضار أعدائنا النافعة لنا. إلا أنه مع ذلك مختل مراوغ، لا تطاق شدته ولا تقاوم قوته، فلذلك نمدحه ونستكفي شره. وليس بمضاد للخطمي، بل هما متفقان في طبع واحد، في البرد والثقل والبطاء ومنسوبان إلى كوكبين هما قويان قد تولياهما، وهما عطارد وأبوه زحل. وهذان النباتان جميعاً عاقلان، وقد عجبنا من وقوع الشر بينهما، إذ كانت المنازعات والشرور كثيراً ما تقع بين أحمقين، فأما بين عاقلين فما أقل وقوع الشر بينهما! وقد يقع بين العاقلين الشر والمنازعات، إلا أنه أقل من وقوعه بين الحمقى بكثير، وذلك أن العاقلين لا يقع بينهما إلا بسبب موجب لوقوع الشر والمنازعات، بفعل من فاعل يفعل ذلك بهما، وأما الأحمقان فيكون بذلك منهما، فلما صار للعاقلين وجه واحد لوقوع المنازعة، وللجاهلين، سببان، كان أكثر وقوعاً مما يقع من سبب واحد. (ص: ١٥٦).

وقد حكمنا لليبروح على الخطمي لكثرة استعمالنا له في السحر،

فهو عون لنا قوي على عملنا. وإنا نستعمل الخطمي في بعض المواضع وبعض الأحوال وبعض الأمور، في الوصلة والمحبة والعطف والتعطف وبعض الطلسمات التي هي منفعة محض. فأما اليبروح فإن عمله في الشر أبلغ». (ص: ١٥٦).

فمضيت بالكتاب إلى شجرة الخطمية فأعلمتها وصوله، ثم انصرفت فأتتني في منامي فأخبرتها، فقالت إنهم قد حكموا لي عليه لا له علي. بقولهم إني خيرة وهو شرير، وقولهم إنا إنما نمدحه ونفضله لشره. والدليل على صحة قولي إن كل حيوان شرير مخوف من البهايم، مثل السباع وأصناف الحيات، ومهيبة بشرّها، وهي شقية متعبة. والخيّرة مثلي التي تأكل الحشيش مرفهة مسعودة. وكذلك الحيّات مقتولة مطلوبة، والسمك والسلاحف موقاة سليمة، وقد حكموا لي بالخير والسلامة، وحكموا على منازعي بالشر والمخاوف منه، وأنا أفضل وأسعد، كما أن الأخيار من أبناء البشر أصلح حالاً من الأشرار كثيراً في أشياء ووجوه يطول تعديدها. ولو لم يكن بين الأخيار والأشرار من التفاضل إلاّ راحة قلب الخيّر وشغل قلب الشرير فإن المستريح القلب يلذّ بكل ما يأكله ويشربه لذّة لا يجد مثلها المشغول القلب أبداً. (ص: ١٥٧).

لذلك أمر شباهي حتى الجرامقة أهل بلاده أن يصوروا في هياكلهم صورة دواناي السيد قايماً قد عقد بأصابع يده اليمنى على ثمانية، والثلاث أصابع الباقية منتصبة، وهو متوكّ على غصن من شجرة الخطمي، مصور فيها العقد التي في خلقة شجرة الخطمي في أغصانها، وقد التفت على العصا حيّة عظيمة، وفي رأس العصا مصلب من ذهب، والحية فاغرة فاها نحو وجه دواناي. (ص: ١٥٧).

شجرة الغار (مكلمة الناطور):

وتسمى: صديقة الأترج والمليحة، ومكلمة الناطور والشفيعة وسميت كذلك شجرة: من رأى مثلي.

هذه الشجرة يوافقها من الأرضين الحمراء والسوداء أيضاً الرخوة، وربما وافقتها العلكة لا الرخوة من الأرضيين جميعاً. وهي شجرة تقوى وتنتشر وتغلظ بكثرة هبوب ريح الصبا، وتضعف وتذبل وتقمأ بكثرة هبوب الريح الغربية. ولا توافقها الأرض المالحة البتة، ولا التي خالط ترابها الرمل أكثر من السحيق الترابي فيها. وفعل الريحين فيها ما وصفنا، إذا اتفق هبوبها وقت أول نشوء هذه الشجرة، وأول ما تغرس وتوضع في الأرض، فأما إذا قويت وكبرت وكثر هبوبها أو كثر هبوب ريح الدبور عليها، فإنه لا يكاد يؤثر عليها أكثر ذلك شيء. (ص: ١٤٨).

وهي مليحة في منظرها. ولها منافع كثيرة وخواص أفعال طريفة، وسماها سقونيا صديقة الأترج، وزعم أنها ينبت أصل نباتها من غصن أخذ من شجرة الأترج. بحديث اقتصّه في ذلك طويل. ويعجبها أن تنبت بالقرب من أشجار طيبة الريح ومن بعض الرياحين، وأغصانها تسمى قلقيانا، وحبها نافع من أشياء كثيرة من أدواء أبناء البشر، ليس بنا حاجة إلى ذكرها هاهنا، لأن الأطباء قد فرغوا من ذلك في كتبهم وأطالوا الكلام فيه، إلا أنا نذكر هاهنا من خواصها ما كان خاصّيّاً غريباً لا يعرفه أكثر الناس. (ص: ١٤٨).

فمن ذلك أن أصلها، إذا جمع مع عروقها فوزن وأضيف إليه ربعه من حملها وجففا حتى يمكن سحقهما وسحقاً جميعاً جيداً وخلطا بعد

سحقهما بالزيت، ووضع ذلك على الجراحات المفتوحة، ودملها وألحمها ونقى عنها اللحم الميت وأسرع برؤها. وقد اقتصّ فيها أدمى النبي قصة طريفة ذكر أنها كلمت الناطور. (ص: ١٤٨).

مكلمة الناطور (حكاية):

قال وذلك أن بعض الأكرة في القديم كان نايماً في وسط ميدان حوله أربع أصول من شجرة الغار، فرأى في منامه أن إحدى الشجرات قالت له: «أيها الإنسان، هل في بستانك هذا أحسن مني ومن ذا الذي يقدر أن يقول إنه رأى مثلي؟» فقال لها الناطور: «وما معنى هذا؟» فقالت: «معناه أن تسميني من رأى مثلي ولا يحفوني بالتعاهد الذي به جميع الشجر. فإنك تقوم عليهم قياماً كثيراً. ولا تمر بناحيتي ولا بهؤلاء الذين هم أشكالي. فإن كنت تريد معرفة فضلي على جميع الشجر، لتنعطف بالمراعاة علي، والتعاهد، فقم، إذا انتصف الليل، ومعك من دهن الخيري شيء يسير، أو ما شئت، فادهني به أين شئت، ثم أرفع رأسك إلى السماء وانظر إلى المشتري وقل له: «يا سعد السعود، زدني في عمري من وقتي هذا خمس عشرة سنة». فإنك تكون على ثقة أنك تعيش من ذلك الوقت، أين كنت قد بلغت من السن، خمس عشرة سنة، تأمن فيها الموت، بعد أن تقول له: «إني استشفع عليك بهذه الشجرة» وجرب ذلك، أيها الإنسان، فإنك تجده صحيحاً وتنتفع به لنفسك وتعرف به فضلي وجاهي عند إلهك المشتري». قال «فسميت شجرة الغار مكلمة الناطور» وسميت أيضاً «من رأى مثلي». (ص: ١٤٩).

قال أبو بكر بن وحشية:

«هذه القصص الذي كأنه خرافة، تحته علم كثير لهم، رمزوا عليه بهذا وجعلوه في في صورة خرافة، ضنّاً منهم بكشف معناه، وحرزاً له أن يناله الجهلة على حسب آرايهم واعتقاداتهم. وهو رمز على أن في هذا الشجرة هذه الخاصية المذكورة. فإن صح هذا فيها بالتجربة فهو شيء طريف نافع. (ص: ١٤٩).

شجرة الدردار (شجرة البق):

قال أحمد بن علي، ناقل هذا الكتاب من النبطية إلى العربية، وهو المعروف بابن وحشية، إنما أنقل اسم كل شجرة ونبات أجده بالاسم الذي تعرفه عامة الناس، وهو مشهور به، ولو نقلت اسمه بالنبطية ما علم أحد ما هو. وذلك أن بعض النبات قد اشتهر بالاسم العربي، وبعضه بالفارسي، وبعضه بالنبطي، وبعضه بالرومي، كما غلب على كل واحد منها من الأسماء بالاتفاق. قال:

هذه شجرة لا منفعة فيها من ثمر تثمره ولا ورد تورده، بل تحمل حملاً مجوفاً فارغاً. إذا شق عنه تطاير منه بق كثير وقليل. وقد يسميها المختثون شجرة البق. وهي شجرة ظريفة في طبعها، فيها قبض ومرارة، وقبضها أظهر من مرارتها. وفيها خواص طريفة، منها أنه إن جعل شيء من أغصانها وورقها في موضع، اجتمع بق ذلك الموضع كله إليه فانتظم عليه، فهو جيد يجمع البق إلى تكونه وتولده. وإذا كان هذا هكذا فلا فايدة في ذكره، بل يضر.

ومن خواص هذه الشجرة أنها توافق نوعاً من أنواع الكرم، نحن نذكر ذلك في إفلاح الكروم وتراكيبها. وهي شجرة خسيسة. لا يتخذها

أحد لأنه لا فائدة فيها، إلا في استعمالها في الخواص التي فيها، وخواصها كثيرة، فلذلك لم نذكر من إفلاحها شيئاً. وينبغي أن يلقط بزرها في نيسان ويزرع من وقته بلا تأخير بالأجاجين، فإن هذا من طريف خواصها. وليكثر إفلاحها. وفي خشبها خواص وأفعال كثيرة تركناها، لأنها شجرة مهجورة لا يتخذها أحد ليعدها من المنافع، وما لا منفعة فيه فمطروح مرذول. (ص: ١٧٣ ـ ١٧٤).

شجرة الأرتج (الشجرة الطاهرة):

هذه شجرة مشهورة في كثير من البلدان، وهي تنشؤ في البلدان الحارة والباردة جميعاً، وليس توافقها شدة البرد ولا شدة الحر، بل البلد المعتدل أوفق لها، وإن كان الاعتدال بالحقيقة غير موجود، لكن نقول إنه يوافق شجرة الأترج من البلدان القريبة من الاعتدال التي لا يفرط فيها إحدى الكيفيتين، الحارة والباردة، فينال نباتها لذع من أحديهما. وقد تتلقح بريح الجنوب الهابة مما يلي الجنوب والشرق. وهي ضعيفة في أصلها. وقد يذويها مس المرأة الحايض لها، وإن لقطت من حملها شيئاً أو قطعت من ورقها ورقة أو زهرة بإحدى يديها. فينبغي لذلك أن لا تدنو منها امرأة إلا طاهرة برية من الحيض. (ص: ١٧٨).

وقد سماها أدمى الشجرة الطاهرة. وحملها يبدو أخضر ثم يصفر، وهو طيب الريح جداً. وفي هذه الشجرة منافع من الأدواء، وقد ذكرها الأطباء في كتبهم. ولها خواص كثيرة نافعة وضارة، وقد ذكرها أصحاب الخواص في كتبهم. وإفلاحها يكون بالتعاهد بالكسح والتسبيخ والتخفيف عنها ما ثقل واستطال من أغصانها أو تغير من ورقها، وأن لا

يترك حملها فيها بعد بلوغه واستحكام صفرته وكبره، فإن تركه فيها يضرّ بها ويمتصّ رطوبتها الغريزية، فتضعف لذلك. (ص: ١٧٩).

شجرة الدفلى (الشجرة المباركة):

هذه تنبت ببابل وغيرها من الأقاليم. وليس لها حمل ينتفع به أحد من الناس، لكنها تحمل ورداً أحمر فيه رايحة قريبة من الطيبة. وهي شجرة فيها سمّية للحمير والبغال والخيل، وقد سمّاها أنوحا النبي الشجرة المباركة، وتحت هذا الاسم في هذه الشجرة سر عظيم، لأن المسمي لها بهذا الاسم رجل كان نبياً حكيماً طبيباً نافذ المعرفة، وقد أومأ لنا بهذا الاسم فيها إلى فايدة عظيمة. وذاك داخل في باب غيظه على أهل بلده لمخالفتهم أياه.

وقد يحمل بزراً هو أعظم سمية وقتلاً للحيوانات التي ذكرنا، إذا وصلت إلى أجوافهن. وهي من الشجر الذي لا يحتاج كثير إصلاح ولا معاناة في أفلاح، لأنها إذا علقت لم تبرح ولم تثو... (ص: ١٨٣).

وقد تسمى هذه الشجرة في لغة أهل الموصل من بلاد الجزيرة سوماثا، وهي شجرة النحس الكبير. وقد يتخذ منها قواتل عجيبة بتركيبها مع غيرها من الشجر، لا نرى ذكرها لما فيها من المضرة، إذ كان قصدنا بكلامنا المنافع لأبناء جنسنا لا المضار. (ص: ١٨٤).

شجرة الغبيراء (شجرة الجن والغلمة):

هذه ربما أفلحت في إقليم بابل، وهي شجرة نباتها في القفار والمواضع الوحشية، وأصلها من بلاد مكى من أرض الهند، وما أكثر ما ذكر الحكماء القدماء فيها من خواص الأفعال الطريفة. وهي مما يجيء

في البلدان الحارة وتفلح فيها. وتحتاج إلى التسبيخ وأن تلقح كما يلقح ساير الشجر. وفيها قبض ونشف بشدة يبس فيها، ونشفها أكثر من قبضها. وهي شجرة مضادة لأبناء البشر. لا بالطبع فتقتل، بل بالخواص والعمل في تغيير القلوب. وقد استعملها السحرة في سحرهم كما استعملوا اليبروح والخطمي. (ص: ١٨٥).

وقال ينبوشاد أنها شجرة الجن يسعون إليها بالليل، إذا غابت الشمس فيكونون فيها وتحتها ويأنسون بها. وما شبعت من شرب الماء قط، ووردها إذا شمّه النساء اغتلمن غلمة شديدة وهجن إلى المباضعة، كما تهيج العصافير في فصل الربيع والسباع في فصل الشتاء، وكثيراً ما يهتكن أنفسهنّ من شدّة الشهوة، وأظّن أن عقولهنّ تزول. فلذلك يهتكن أنفسهنّ. (ص: ١٨٥).

ومن خواصها، أنه من نظم من وردها على غصن من أغصانها فيه ورقة، كما ينزع من الشجرة، وعمل منه إكليل ووضعه على رأسه وهو مكشوف للهواء، فرح فرحاً عظيماً لا لسبب إلا لسرور يجده في قلبه وطرب، وطيبة. (ص: ١٨٦).

وقال ينبوشاد أيضاً: إنه من أخذ من ورقها واحدة ومن وردها واحدة ومن أصلها مقدار ظفر من أحد عروقها، وجعل الثلثة في صفيحة فضة رقيقة، ولف الصفيحة الفضة على ذلك. ولف الفضة معها فيها في خرقة حرير بيضاء بخيط أبريسم أبيض، وجعله إما في كمه أو جيبه أو علقه في حلقة أو على صدره أو عضده، حدث له في قلب كل من يراه أو يلقاه من الناس قبول حسن، وكان وجيهاً عند كل من يقصد، ـ وإن سأل حاجة قضيت له. وفيها منافع كثيرة وعلاجات ذكرها من عمل الأطباء في كتبهم، لا نذكر مثلها ها هنا. (ص: ١٨٦).

شجرة إبراهيم (تسمى منجية إبراهيم):

هذه الشجرة تعظم جداً وتذهب في السماء، ولها ورق كبير وتحمل ورداً أصفر طيب الريح، يسمى البرم. وهي شجرة نبطية كنعانية من جنس المنسوبة إليه. وقد تنبت في إقليم بابل وغيره مما يقرب منه. وهي أخت لشجرة الغبيراء أو شبهها في أشياء، منها نباتها في القفار، وأنها تحب التفرد والوحدة، وتهرب من الأنس، إلا أنها شجرة مباركة. وقد كان حاما الملك يحبها ويأمر بأتخاذها في بساتينه ومنتزهاته، ويحب شمّ وردها، وكذلك أهل سورا، فأنهم يحبونها ويتبركون بها ويحبون شمّ وردها، ويجعلونه في دواريق ندية ليبقى طرياً أياماً كثيرة. (ص: ١٨٦).

ولتسميتها شجرة إبراهيم سبب يطول شرحه، جملته واختصاره أن إبراهيم كان إماماً لأهل زمانه، جليلاً فيهم، فبلي بكثرة الأسفار والتطواف في البلدان. بسبب القحط والمجاعة الواقعة على أهل الجزيرة في أيام ملك صلياما المشئوم على أهل زمانه، وقد بقيت بقايا من شؤمه إلى وقتنا هذا، لقرب زماننا من زمانه. فهرب إبراهيم مرة إلى إقليم بابل ومرة إلى أرض مصر، فبينما، زعموا هو ساير في البرية المسماة تادومريا ـ قال أبو بكر بن وحشية: هذه البرية التي فيها مدينة تدمر ـ إذ بصر بأسد عظيم أسود مقبل يريده، وكان راكب حماراً، فارتعدت فرايصه وبادر فنزل بقرب واحدة من هذه الشجر عظيمة الالتفاف، وقاد الحمار فشده بحبل ليف كان في عنقه إلى ساق الشجرة، وصعد فوق ظهر الحمار، فتسلق إلى نحو نصف الشجرة وقعد على غصن عظيم غليظ من أغصانها، مستتر بورقها، فوافى الأسد يطلبه، فلما رأى الحمار الأسد وشم ريحه نفر وجعل يضطرب اضطراباً شديداً ويجذب

الحبل الذي هو مشدود في عنقه يطلب الخلاص حتى يصير إلى الأسد، وهذا فعل الحمير كلها إذا رأت الأسد، هي مطبوعه عليه، وجعل الحمار في نفوره واضطرابه يشيل رجليه ويضرب بهما الأرض ويضرط ضراطاً عظيماً وينهق نهيقاً شديداً، فجزع الأسد لما رأى من ذلك جزعاً هرب من أجله ماراً على وجهه يعدوا، حتى تباعد من الموضع بعداً عظيماً. وفطن إبراهيم ببعده عن الموضع، فنزل وركب الحمار ومضى حتى دخل المدينة، وجعل لا يمر بموضع فيه هذه الشجرة إلا سجد لها وسبح ويمنع من كسر أغصانها أو يحتطب منها، ويقول: «هذه الشجرة نجتني من الأسد وحماري». واشتهرت بهذا الفعل في أرض الشام والجزيرة وإقليم بابل، فسماها الناس شجرة إبراهيم، وتركوا اسمها الأول سوكسابى، إلا أن بعض الناس يسميها باسمها وبعضهم يسميها شجرة إبراهيم. (ص: ١٨٧).

ولها خواص عجيبة تدخل في أبواب النواميس والحيل النواميسية. وقد ذكر فيها اسقواريثا رسول الشمس، عجايب من الأفعال، إذا ضم ما يضم إلى اليبروح وما يضم إلى النبات المسمى سراج القطرب... (ص: ١٨٧).

شجرة روخوشى (شجرة الأيّمة):

(شجرة الأيمة أو الإمام المحرق أو القديمة أو المباركة):

هذه تنبت لنفسها في البر وفي البلدان. وقد ذكرها صردايا ومدحها، وذكر أنها تسمى القديمة. وذكرها إبراهيم الكنعاني فمدحها أكثر من مدح صردايا وسماها شجرة الأيمة. وذاك أن إبراهيم أصله من الكنعانيين، إلا

أنه ولد بكوثى ربا، لأن الكنعانيين لما ملكوا إقليم بابل، بعد حروب كثيرة كانت بينهم وبين الكسدانيين، غلبوا عليها وملكوا، وها هم إلى الآن ملوكنا، أيدهم الله بنصره. فجلب نمرود بن كنعان أيمة من الكنعانيين جعلهم في هذا الإقليم. فكان أسلاف إبراهيم من أوليك المجلوبين من بلاد كنعان. فقال إبراهيم إن هذه الشجرة يتبرك بها الأيمة. قال وذاك أن أصل خروجها إنما كان أن بعض ملوك الكسدانيين غضب في الدهر السالف على بعض الأيمة، فأمر بإحراقه لذنب أتاه. فلما أحرقه تقدم الملك بأن لا يجمع من رماد جثته شيء، وأن يترك بمكانه. فلم يجسر أحد أن يتقدم إليه، وكانت جمجمة ذلك الرجل لم تحترق مع بدنه، بل بقيت صحيحة. فلما جاء المطر عليها وعلى الرماد حملها السيل إلى وهدة وطمها بالتراب. فنبتت منها هذه الشجرة. (ص:١٢٤٨).

قال فلما رأها أهل بابل شجرة غريبة لا يعرفونها، أحبوا أن يتبعوا مخرجها، فنظروا فإذا قد خرجت من وسط تلك الجمجمة، لما غمرها التراب والمطر، فقالوا هذه شجرة مباركة لأنها نبتت من رأس ذلك الإمام المحرق. فالأيمة من الكنعانيين يتبركون بها، لأن المحرق كان كسدانياً، والكسدانيون يتشآمون بها لتبرك هاولاء بها. (ص: ١٢٤٩).

وما أطرف هذه العداوة الشديدة من هذين البطنين، وهما من نسل أخوين من ولد آدم، وكانا من أم واحدة من أزواج آدم ونسايه، لأن آدم، على ما ذكر العلماء بالنسب ولد أربعة وستين ولداً، اثنتين وعشرين أنثى وثلثين وأربعين ذكراً، فأعقب من الذكور منهم أربعة عشر ولداً والباقين لا عقب لهم باق إلى الآن. فمن شوم الحسد وشر أهله أنه

كلما قرب إنسان من آخر كان حسده له أوكد وأشد. لكن الكنعانيين يحتجون في عداوتهم للكسدانيين بحجة فيقولون: «أنتم نفيتمونا عن إقليم أبينا إلى أطراف الشام» يعنون إقليم بابل، والكسدانيون يقولون: «إنه زاد فخركم واستطالتكم علينا، فكان ذلك بغي منكم علينا، فنصرنا الله عليكم فنفيناكم. وإنما بغيتم علينا حسداً منكم لنا». وأنا وإن كنت من الكسدانيين فإني لا أطعن على الكنعانيين ولا ألزمهم حجة، وإنهم لما ملكونا قد أحسنوا فينا السيرة بعد تلك الهيّات التي كانت منهم إلينا ومنا إليهم. (ص: ١٢٤٩).

فقال إبراهيم إن هذه الشجرة يتبرك بها الأيمة منهم. وقد رأيت أنا من هذه الشجرة واحدة، وها هي باقية يراها من يريد رؤيتها في القرية التي بين مدينة بابل وسورا، يقال لها سولقاي. ثم إن الناس بعد ذلك فرعوا منها فروعاً وغرسوها، فكثرت في هذا الإقليم. إلا أن ذلك يعمله الكنعانيون منذ ملكوا هذا الإقليم. وأما نحن فما نتخذ منها واحدة فضلاً عن غيرها. وذلك أنها لا تحمل حملاً ينتفع به ولا في خشبها صلابة، بل هو رخو يسير الصلابة. وإذا عتق نخر شديداً. وورقها يشبه ورق البطيخ على صورته سواء، إلا أنه ألطف من ورق البطيخ بكثير، ورايحته، إذا فرك فيها زفورة قليلة، ولها صمغ يسيل منها ثم يجمد عليها، لونه أغبر ورايحته زهمة زهومة يسيرة. وقد أكثر إبراهيم مدحها والثنا عليها، وقال: ورقها يقوم مقام السذاب البابلي في التداوي. ولا نعلم هذا ولا وقفنا عليه، إلا أن إبراهيم المصدق في قوله قاله وأنا أعلم أنه إن رجع ملك الكسدانيين لم يبق من هذه الشجرة واحدة!. (ص: ١٢٤٩ ـ ١٢٥٠).

شجرة القسط: (شجرة بخور الآلهة):

هذه الشجرة من الشجر التي لا تثمر. وهي تنبت في بلاد الهند وبلدان العرب. وربما تنبت في الشام. والنابت في بلاد الهند منها أطيب ريحاً، ويتلوه في الطيب النابت في بلاد العرب، والشامي أقلها حدة وريحاً. وهو شيء طيب في الجملة. والهندي منه أسود والعربي يضرب إلى صفرة يشوبها يسير من سواد، والشامي أغبر إلى البياض، وكلها طيبة الريح، إن أدناها إنسان من أنفه وجد لها ريحاً طيبة، وإن دخن بها على النار وجد لها ريحاً طيبة. وهو من بخور الأصنام وهياكلها، والكسدانيون يقولون إنه من أفضل ما يقرب قدام صنم الزهرة، وإنه مما ينبغي أن يستعمل في القربان الذي يطلب به قضاء الحوايج، أيها كان. وقد سماه صغريث المنجح ومدحه مدحاً طويلاً. (ص: ١٢٥١).

وقد يخلط قوم مع خشبه أشنة وميعة رطبة ويابسة وورق الآس الملطخ بالزعفران الشعر ويبخرون به ثيابهم قدام الأصنام وفي أعياد كثيرة فيستطيبونه. ومما مدحه صغريث أن قال: إن شم ريح بخوره يدفع ضرر فساد الهواء الذي يحدث منه الوباء، إذا دخن معه الكندر. وذكر أنه بليغ في شفاء أمراض الأرحام كلها إذا تحمل النساء منه مطحوناً كالذرور مع شيء من دهن الزنبق، وهو يدر البول ودم الحيض بالاشتمام والتدخين. (ص: ١٢٥١).

شجرة رباكشانا (شجرة شافية العشق أو بغيضة الملك):

وهذه شجرة قصيرة ممتلية غليظة الساق، ترتفع كقامة الرجل الربع، تسميها الفرس دار شيشعان، واليونانيون أصالاتشر، والجرامقة فيشد

ناردين. لها ورق كصغار ورق الآس، تنبت في إقليم بابل بناحية بلاد باجرما وغربي تكريت. لها شوك كثير، وخشبها رزين، وإذا قشرت جلدته خرج داخله أحمر شديد الحمرة. وهي عطرة طيبة الريح، فيها قبض شديد وتعفيص، ويعفص بها العطارون الأدهان ويدخلونها في الطيب. (ص: ١٢٥٤).

ولهذه الشجرة عند الكسدانيين أقاصيص. منها أنهم زعموا أن بعض ملوك الكسدانيين في القديم غضب على زوجة له أذنبت إليه ذنباً عظيماً، وكانت حبيبة إليه، فدعا ببعض خدامه الثقات عنده فسلمها إليه وقال: «امض فاقتلها ولا تذبحها بسكين ولا تضرب عنقها بسيف» فأخذها ذلك ومضى إلى داره، فخبأ المرأة في مخبأة خفية في داره والتمس فوجد امرأة في سن تلك المرأة قد ماتت، فأخذها وضمن لأهلها ردها إليهم، وحملها إلى الملك وقال: «إن أحب الملك النظر إلى تلك الشقية، فإنني سددت أنفاسها حتى ماتت، وها هي هذه معي، فإن أذن الملك فليأمر بإحضارها حتى أفعل». فأذن له الملك، فأتى بها محمولة، فنظر الملك من بعد فرأى امرأة شابة ميتة، ولم يتأملها جيداً ولم يشك أنها هي فقال لذلك الرجل: «أمض فأدفنها». فرد تلك المرأة إلى أهلها ووهب لهم ألف درهم. ومضت الأيام، فندم الملك أشد ندامة وقلق بذكرها وهام. فامتنع من النوم وتتابع عليه السهر. فلجأ إلى هيكل المشتري يدعو صنمه، ويتضرع إليه ويقرب له القربان، ويضرب المغنون بين يديه المعازف والطنابير والطبول والصراني، تقرباً بذلك إلى الصنم، مستشفعاً به إلى المشتري، فرأى ليلة في منامه صنم المشتري وكأنه يقول له: «اعمد إلى شجرة رباكشانا فتبخر من خشبها بشيء وبخر بها ما يليك من مجلسك ودارك، وخذ عوداً من عيدانها ولفف عليه

شيئاً من ورقها ما أمكنك، وأجعله تحت مخادك ونم وأنظر ما ترى في منامك». (ص: ١٢٥٥).

فصنع الملك جميع ما قيل له، فرأى في منامه كأن شجرة رباكشانا التي في داره، وذاك أنه كان في بعض صحونه بستان فيه شجرة من شجرة رباكشانا، فرأى كأن تلك الشجرة تخاطبه وتقول: «إن امرأتك فلانة تحي في العالم، فادعُ فلاناً واجزم عليه ليئتينك بها، فإنه يأتيك بها، لأنه ما قبل منك ولا قتلها». فانتبه الملك فرحاً مسروراً ودعا ذلك الرجل، فأتاه بأكفان وحنوط، فقال له الملك: «ويلك لقد شركت في دمي تركك أعلامي أنك ما قتلت المرأة». فقال له الرجل: «أيها الملك، لم أستبقيها إلا لعلمي بميلك إليها، فعلت ذلك طلباً للحظوة عندك، فإن كنت أخطأت ودعا الملك بي وكلامه لي بما تكلم اختباراً وابتلاء، فقد جيت الملك في كفن وحنوط، فليأمر في بما يريد، وإن كان الملك راض باستبقاي لها ومخالفتي أمره، فقد أجبت الملك إلى فعلته طلباً للحظوة عنده». فقال الملك: «قد حظيت عندي وشكرت استبقاك لها، لما نالني من الأسف على مفارقتها والغم لفقدها، فأحضرنيها الساعة». فمضى وأحضرها. فسجد الملك فرحاً وشكراً وأمر للرجل بجايزة خطيرة. فقال: «أيها الملك، لن أزول أو يقف الملك على أنني لا أصلح للنساء». فقال له الملك: «أنت عندنا أرفع قدراً». وقال: «إني لا أزول أو يختبرني الملك بما قلت أو يقتلني إن شاء». فأمر الأطباء الفهماء باختباره، فقالوا للملك إنه عنين بلا شك. فضاعف له الجايزة وأمره بالانصراف. ولم يزل يسجد لشجرة رباكشانا أيام حيوته كلها بعد ذلك.(ص: ١٢٥٥).

وكانت مدة ملكه خمساً وسبعين سنة. وشاع هذا الحديث في ذلك

الزمان في الكسدانيين، فسموا هذا الشجرة «شافية العشق»، وقالوا فيها الأشعار ورغبوا في اتخاذها، فكثرت في هذا الإقليم إلى زمان كاثور الملك، فإنه كان رجلاً عاقلاً، فنهى عما يفعله الناس بهذه الشجرة من اتخاذها وما قد استشعروا فيها، وسماها «بغيضة الملك». فعدل الناس عن ذلك فيها وأضربوا عن ذكرها وعن ذلك اللهج الذي كانوا يلهجون بها. وكان هذا الفعل من كاثور سياسة، لأن الناس أسرفوا في ذكرها ومدحها. فكره أن يزيدها في ذلك حتى يعبدوها. (ص:١٢٥٦).

شجرة الكندر (دافع شر الوباء):

هذه تنبت لنفسها أكثر ذلك، وربما حول منها الأصل بعد الأصل فغرست بعروقها فأفلحت. ووجودها في إقليم بابل كثير وفي غيره، إلا أنها لا تصلح إذا غرست في البلد البارد، بل في البلد الحار وفي البلدين جميعاً، لا يخرج الكندر منها إلا في الشجر الذي في بلاد اليمن، فإن تلك البراري والجبال تنبت فيها هذه الشجرة وتكثر جداً ويطلع منها رطوبة كثيرة تسيل منها وتجمد عليها قشور متدل على خشبها كتلاً كتلاً ويجمد، فيخرج قوم من العرب فيجمعونه ويسمونه كندر، ثم يقشرونه بحدايد لهم وبأظفار أصابعهم حتى يخرج لبّه أبيض، فيجمعونه ويجهزونه من هناك إلى ساير البلدان والأقاليم، فيخلط بدخن الأصنام، بل لابد من الكندر في كل دخنة مركّبة. (ص: ١٢٥٧).

وقد أجمع قدماء الكسدانيين أنه ليس في جميع هذه المنابت العطرية الطيبة الريح أبلغ في دفع ضرر فساد الهواء من الكندر، فإنهم قالوا: من اشتم ريح دخانه في كل يوم وليلة أربع مرار في أول النهار وآخره وفي مضي ساعات الليل وقبل انسلاخه بساعة فإنه يندفع شر الوباء فلا يقع

به، وإن كان وباء طاعونياً فإنه يندفع عن فاعل هذا، إذا مضغ منه في كل يوم مع التدخين به. (ص: ١٢٥٧).

وأهل بلاد الهند يقولون إنه لابد لهم منه، يتقربون به بإحراقه إلى أصنامهم ويستشفون به في رؤوسهم وأدمغتهم. وكذلك ساير الناس ينتفع بريحه إذا أحرق على النار ويمضغه. وإن استف مسحوقاً مع مثليه أو ثلثه أمثاله سكر دفع عن المعدة ضرر الرطوبة كلها والرياح، باردها وحارها، ويحلل الرطوبات كلها عن المعدة واللهوات حتى ينقيها من الرطوبة، فتشتد أصول الأسنان والأضراس. فتصلح اللثة وتذهب عنها العفونة المتراكمة عليها من فسادها بالبخار المرتقي إليها من المعدة. وإذا تدخن المزكوم به دايماً وحبس دخانه في موضع يتردد على مشمّه ساعة، فإنه يحلل الزكام ويبطل الخشام، وإذا أدمن مضغه مع اشتمام دخانه. (ص:١٢٥٨).

وقال الكسدانيون إنه يوافق جميع الأصنام، فلذلك إنه داخل في جميع الدخن. وفي مزاجه حرارة وقبض ظاهر يشوبهما عطرية يسيرة. فباجتماع هذه أصلح ما أصلح ودفع ما دفع. وكثيراً ما يدخل في علاج الجراحات العظيمة السايل منها رطوبة ردية دايمة، فإنه إذا حق وذرّ عليها مع الأنزروت أو وحده نشف رطوباتها وشدها وقبضها، فانتفعت بذلك عنه وبإصلاحه الرطوبات العفنة يصلح كل شيء أصله العفن. ومعنى ذلك أن فيه خاصة في إصلاح جميع العفونات والأشياء التي قد استولى عليها الفساد من العفن، حتى أنه إن خلط جزء منه بجزئين، ملح وذر على أي شيء خاف الإنسان عليه الفساد، حفظه من الفساد، وإذا جعل منه إنسان شيئاً في خرقة رقيقة مخلوط بالحبة السوداء، وشمه

المزكوم من وراء الخرقة حلل زكامه وطرد الريح عن رأسه. وله فعل بليغ في إلحام الجراحات والدماميل والخراجات الواسعة، يضيق فتوحها ويلحمها ويصلحها. وإذا أدخل في اللصاقات كلها زاد في قوتها وجود الصاقها.

وقد ذكرنا فيما تقدم في كتابنا هذا من هذا طرفاً، إذ أضيف أحدهما إلى الآخر كمل. (ص: ١٢٥٨).

شجرة الأبهل (شجرة الغول):

وقد سمى شجرة الأبهل صردايا الكنعاني باسم بلغتهم معناه شجرة الغول، لأنها شجرة تغتال من يشم رايحتها ومن يراها ويتأملها وقتاً. هذا المعنى قلناه على ما نظن. فأما على تفسير من فسر قول صردايا من غيرنا فإنه قال: إن معنى قوله إن حيواناً من التي تأوي القفر والبراري يسمى الغول يألف هذه الشجرة ويحب شم رايحتها، وإن هذا الحيوان نصفه على صورة الإنسان، صورة امرأة خاصّة بثديين كبيرين، وهو النصف الفوقاني، والنصف السفلاني كصورة نصف حمار ينتهي إلى ساقين في طرفيهما موضع القدمين حافران مثل حوافر الحمير والبغال وما أشبه ذلك، وإن هذا الحيوان تهرب الحيوانات البرية كلها منه، حتى الأسود والذياب وكل ذي قوة شديدة ومخالب، فلا يقوم له واحدة من هذه، وإن أعظم لذة وشهوة هذا الحيوان أن يظفر بإنسان، فإنه يتلاعب به تلاعباً كثيراً وقتاً طويلاً ثم يشقّ بطنه بمخلبين له في بدنه في كل كف، مخلبين قويين عظيمين، يشق بهما بطنه ويأكل قماش بطنه، وقبل شق جوفه، زعموا أنه يأكل ذكره وخصيتيه، ثم يشق جوفه فيأكل أحشاه ثم يتركه، بأن يجره إلى سرب له، فكلما نتن ريحه كان أشهى للغول

وأطيب عنده، فلا يزال يتردد عليه حتى يفنيه. وإن هذا الغول يأوي أسراباً له في الأرض ولا يأوي إلا في برية قفرة موحشة لا يسلكها أحد من الناس، وربما كانوا في جزاير البحر يأوونها ويخرجون منها فيقومون في الماء إلى أذقانهم، فيصيدون الحيتان والسمك فيأكلونها كما يأكلون الناس. وأنهم يأكلون جميع وحوش البر وجميع دواب البحر. فإذا بقوا بلا طعام ولم يجدوا مأكولاً أكل بعضهم بعضاً. وإن جميع غذائهم ينحل في أجوافهم، فيخرج منهم كالبول رقة لفرط حرارة أبدانهم. وإن أحدهم إن ظهر في الشمس فوقع شعاع الشمس على بدنه مرض، فهم يختفون في الأسراب في الأرض، النهار كله فإذا جاء الليل وغربت الشمس انتشروا يطلبون الرزق الليل كله وإلى مضي ربع ساعة من النهار، ثم يختفون على العادة. (ص: ١٢٧٢ ـ ١٢٧٣).

وأما تفسير قولنا نحن إن شجرة الأبهل إنما سماها صردايا لنا شجرة الغول، لأنها تغتال من يشمّ رايحتها ومن يراها ويتأملها وقتاً. فإن هذه حارة شديدة الحرارة قاتلة برايحتها وطعمها. وفيها خاصية فعل تنكي به عين من يتأملها وينظر إليها وحدها زماناً. فإن صغريث خاصة قال إن إدمان النظر إليها يورث حمى حارة يختلط معها العقل. (ص: ١٢٧٣).

وإذا كان هذا هكذا فهي مغتالة للناظر إليها والشام رايحتها. أما النظر إليها فكما قالوا إنها تنكي عينيه وتمرضها، وأما الشام رايحتها فإنها تنكي دماغه فتورثه صداعاً وتسخنه شديداً حتى ربما أورثت سرسا ما يذهب معه العقل، يتبعه خيالات كثيرة. فبهذا الفعل، الأمراض والإسخان، صارت شجرة الغول والاغتيال، أي إنها تغتال الناس فتمرضهم، وغير هذا مما له شرح يطول. فهذا تفسير الناس أنها شجرة الغول في ذلك الحيوان هو رأي أكثر الناس. (ص: ١٢٧٣).

وقد زعم قوم أن هذا الغول يشم روايح الناس وساير الحيوانات من نحو ثلثة فراسخ، وأن الإنسان أحب إليه من جميع ما يأكله، وأنه يأكل السباع كلها وساير حيوانات البر، وأنها تهرب منه إذا أحست به، أما في جزاير البحر، فتقوم في الماء هرباً منه، وأما في طرفي النهار، فإنها تدخل الأسراب العميقة الضيقة التي لا يصل الغول إليهم فيها، ولا يظهرون منها حتى يفقدوا روايح الغول، فيعلمون بذلك أنها قد تعدت عنهم، لأن الحيوانات تشم للغول رايحة نتنة قبل وصول الغول إليهم، فهم لذلك يهربون منها. (ص: ١٢٧٣).

شجرة هذرتايا (نبات ليلة الميلاد):

قال قوثامي: هذا نبات ينبت على النهر المسمى بالأردن الذي في أرض الكنعانيين. وقد جلبه أقوام إلى أقوام ببابل، وغرسوه في بلاد برساويا، فنبت جيداً. وهو عرق صلب لونه أغبر فإذا كسر ذلك العرق خرج داخله أصفر، وإذا جف ويبس لم يضرّه ذلك شيء. فيؤخذ يابساً ورطباً...، ...، . (ص: ٥٣٨).

وقد يأكل قوم من الفلاحين نباته، يقطفونه في آخر كانون الأول، وقت ميلاد الزمان ويسلقونه ويطيبونه بخل وزيت ومرى، ويأكلونه مع الخبز أدما ويستطيبونه استطابة شديدة ويؤثرونه على جميع الآدام، وربما خلطوه بالباقلّى المطبوخ، إما بقشورة وإما مقشر، ودقّوا الكرويا والأنجدان والكمون أو بلا كمون، ونثروه على أغصان هذرتايا، ويأكلونه ليلة الميلاد نفسها، لابد لهم منها، ومنهم لا يأكل تلك الليلة أكلة هذرتايا، فلابد أن يأكلها في الليلة القابلة، يقولون: «خذوا برآة أكله هذرتايا». (ص: ٥٣٩).

ويزعمون ان من فاته في هاتين الليلتين، هذه الأكلة، أنه ينحمّ في السنة المقبلة ويتكسر بدنه بعقب الميلاد. قد استشعروا ذلك فصار من أجل استشعارهم له يعرض لهم التكسير في أبدانهم إذا لم يأكلوا تلك الأكلة. فإذا أكلوا تلك الأكلة في تلك الليلة التي ياكلونها فيها كحلوا أعينهم مرتين، مرة قبل العشاء ومرة بعده، ويقولون: «من لم يكتحل مرتين اشتكت عينه في الصيفية المقبلة». ومن كان منهم له تمكن وحال واسعة ذخر القثا والخيار من وقت زمانه إلى وقت الميلاد، حتى يقطع على هذه الثردة منه. ويتهادون القثا والخيار لها ومن أجلها. وهذا أكثر من يعمله أهل برساويا وطيزناباذ وسورا، وبالقريات وإلى قسّين وجنبلا، وقد انتشر في إقليم بابل، فبلغني الآن أن أهل باجرما وسقي جوخي يستعملونه، ولابد لهم منه. (ص: ٥٤٠).

ومن خاصيته، إذا أكل على السبيل الذي وصفنا أن يحرك شهوة الجماع وشهوة الطعام، وأما شهوة الجماع فبعد أكله بساعة، وأما شهوة الطعام فمن الغد، وذاك أن من يأكله يباكر الغذاء ويزعم أنه قد جاع. والويل كل الويل لمن سمعه أهل هذه النواحي يهزل بهم من أجل أكل هذرتايا، ويقول إنه لا معنى له، فليس له عندهم جزاء إلا الضرب حتى الموت. ويقولون إن شيئا ابن أدمى كان يأكلها. وهذه الهذرتايا إنما صارت إلى إقليم بابل بعد وفاة شيثا، فالويل أيضاً لمن قال هذا، فإنهم يكذبونه ويرجمونه ويكفرونه. (ص: ٥٤٠).

الثوم (يسمى: ثوم الحية):

إسطورة وحكاية اكتشاف الثوم:

وفي الثوم للكسدانيين كلام كثير وأقاصيص قد شاركهم في بعضها اليونانيون، واقتصوا فيه بمثل ما اقتصه الكسدانيون من أن أصل الثوم إنما كان من أن حية أخرجت منه رأساً واحداً على شاطئ الفرات من المدينة المعروفة بقرقيسيا، وأن بعض الناس رأى تلك الحية حاملة لذلك الرأس الثوم ساعية به، فلما بصر به عجب وأخذ حجراً فرمى به الحية فوقع الحجر عن عنقها، فألقت الرأس الثوم وسعت هاربة، فأخذه ذلك الرجل فجعل يقلبه ويعجب منه ثم انحدر به في الفرات، لأنه كان خرج عن الجزيرة يريد بابل، فرأى هذا في طريقه، فجاء بذلك الرأس الثوم إلى بلد بابل وأخبر بخبره وما شاهد، فغرسه قوم من أرباب الضياع، فنمى وأورق في بلاد خسروايا القديمة أجود من مجيّه ببابل وعقرقوفا، ثم انتشر بعد ذلك في أقليم بابل كله. (ص: ٥٧٧ ـ ٥٧٨).

وهذه حكاية مني عن ينبوشاد، فإنه غلا في وصف الثوم وزاد وذكر عن قدماء من الكسدانيين أنه ثوم الحية، وأخبارهم بأن الحية أخرجته، فوايد كثيرة ورموز أدرجها ينبوشاد ولم ينبه عليها، إلا أنه ذكر في جملة كلامه أن من أدمن أكل الثوم على صفات وصفها استوفى من العمر مابة سنة شمسية. (ص: ٥٧٨).

وقال أنه يشفي من لدغ الحيات كلها وأنه مفش الزياح تفشياً لا يفعله غيره وإنه يحسن اللون حتى ينقل الوجه وجملة البدن من الأصفرار إلى

الاحمرار، وأنه إذا تدخّن به أزال الزكام وشفى النساء من الأعراض العارضة لهنّ يعقب الولادة كلها، وأنه يخرج المشيمة والمحتبسة من الولد، وإنه إذا ضمد به جميع لدغات ذوات السموم من الحيات والعقارب وغيرهما مما يؤلم بعضّه ونهشه شفى من ذلك وسكن الوجع... الخ. (ص: ٥٧٨ ـ ٥٧٩).

وقال ينبوشاد: ومنافعه كثيرة أكثر مما وصفنا، ولو لم يكن إلا دفعه عن الأبدان العفونات كلها حتى لا يكاد يعفن في بدن مدمنة شيء ولا يفسد، وهذا شيء عظيم النفع جداً حتى أنه متى قرن بأي طعام كان لم يتغير ذلك الطعام في المعدة ولم يفسد وجاد هضم المعدة له ونفذ نفوذاً سريعاً. (ص: ٥٨١).

وله تدبير وصفه السحرة ليس مما سبيلنا أن نذكره، فإنهم قد أطنبوا في وصفه ومتى تأذى أكلوه بالرائحة التي تفوح من أفواههم فينبغي أن يمضغوا بعض ما وصفنا في باب ذكر البصل لإزالة ريحه، فإنه يزيل رائحة الثوم أيضاً. وأبلغ مازال ريحه مضغ بزر الفجل مع ورقه الأخضر. (ص: ٥٨١).

الهندبا (تسخير البهائم):

وهذا كلام ينبوشاد البرّ الصادق في الهنّدبا:

قال وبين الهندبا والديك موافقة ظريفة، وذاك أن الديوك كلها، وخاصة الأبيض منها، إذا أخذ إنسان شيئاً من ورق الهندبا البستاني فلفه لفايفاً صغاراً ولقم الديك تسع في ثلثة أيام، كل يوم ثلث لقم، وليكن أول هذه الأيام يوم الأربعاء، قال، فإن الديك يألف ذلك الإنسان

الذي لقمه ذلك إلفاً شديداً حتى إذا رآه آنس به ولم ينفر منه كما ينفر من ساير الناس. وهذا من أبواب تسخير البهايم، وهو من أعمال السحرة. وأظن أن هذا الهندبا يحتاج إلى تنجيم حتى يتم فيه هذا العمل. وهو شيء صار إلينا بالخبر وما جربناه. (ص: ٧٦٥).

ومن خواص الهندبا، ما ذكره السحرة، وهو أيضاً من أعمالهم، قالوا: متى أخذ إنسان بيده باقة من الهندبا وانتظر وقت طلوع القمر في ليلة من الليالي التي يطلع فيها القمر بعد المغرب، فقام حيال القمر فمدحه ببعض مدايحهم، ثم قال: «إني أحلف بك أيها القمر، إنك إن سكنت وجع أسناني كلها لا ذقت من الهندبا شيئاً البتة». قالوا فإن أسنانه وأضراسه يسكن ضربانها وتصح لثته صحة تامة، إذا هجر الهندبا فلم يأكله. فلهذا قال بعضهم فيه: ينبغي أن يعمل هذا في أول ليلة يهل الهلال أو في الليلة الثانية منها. وقال بعض بل يكون ليلة مما يطلع القمر فيها نحو العتمة، قالوا فإن أسنانه وأضراسه يسكن ضربانها ووجعها ذلك الشهر كله: فينبغي أن يعيد هذا العمل في رأس كل شهر.

وقال ينبوشاد: وللهندبا خواص وأفعال كثيرة هي من نحو هذه التي ذكرنا يطول تعديدها، فاعرفوها وجربوها ليظهر لكم حقها من باطلها... الخ. (ص: ٧٦٥).

البزهليا (نبات كوكب المشتري):

(نبات يطيب الجسد بعد الموت ويدفع عنه الروائح النتنة، لهذا يسمى مصحح البدن والحواس حتى يبلغ الإنسان أجله دون اختلال في عمره الطبيعي).

هذه تسمى بالفارسية رازيانج. ويسميها الكسدانيون بزهليا، وهو أخضر الورق يزرع في آذار ونيسان، وربما زرع في أيلول، فينشوا ويفلح في الوقتين جميعاً. وهو طيب الريح طيب الطعم تشوبه مرارة مستلذة غير مستكرهة. (ص: ٨٥٠).

وهو مما يقول فيه أتباع إيشيثا بن أدمى أن أدمى أخرجه من إقليم الشمس وجلبه إلى إقليم بابل، وقالوا فلذلك سموه بإحدى أسماء المشتري، بزهليا، وزعموا أن أي إنسان اقتمح من بذره في كل يوم وزن درهم مع مثله سكر أبيض، وليكن ابتداوه بذلك من يوم تنزل الشمس برأس برج الحمل، ثم كذلك إلى أن تنزل برج السرطان، ويديم ذلك في كل سنة. قالوا فإنه لا يمرض ويبلغ نهاية عمر الطبيعة مصحح البدن. قالوا ويكون مع ذلك صحيح الحواس، لا يرى في أحدها اختلال إلى أن يبلغ النهاية التي للإنسان بلوغها ويموت. قالوا ومتى اغتذى به إنسان دايماً عمره كله، ومعنى ذلك أن يخلط مع أغذيته من ورق الرازيانج وبزره ويأكله دايماً، أطاب رايحة جسده بعد موته طيبة لا يشم لها من الرايحة الكريهة ما يشم لجثث الحيوان إذا مات، كأنه على ما قالوا يطيب الجسد إذا غتذى به الإنسان في الأحياء دايماً، ويوشك أن يكون ذلك كذلك. (ص: ٨٥٠).

وقد رأينا في زماننا وسمعنا في ما مضى قبلنا قوماً لم يوجد لجثتهم رايحة منتنة بعد وفاتهم. منهم قوم لا أحب أن أسميهم، إذ كان كافة الكسدانيين يخالفون في سبب طيب أجسامهم بعد موتهم ويجلعون ذلك من أفعال القمر والمشتري فيهم، لا بتدبير يدبروا به في حياتهم.

*** آراء رموز الثقافة الزراعية في كتاب الفلاحة النبطية حول تعفن الجثث بعد الموت من عدمه، ولهما فيها رأيين:**

الطائفة الأولى:

ترى أن ذلك يكون للجثث بعد الموت بتدبير الإنسان ما دام حياً، حين يتناول بعض الأغذية، فإن هذا التدبير يطيب روايح رطوبات البدن المتكونة فيه ويطيب رايحة الدم. وإذا طابت رايحة الدم طاب ريح اللحم والشحم وغيرهما من الأعضاء المتشابهة الأجزاء وغيرها. فطابت رايحة البدن كله. ورأي هذا الطائفة رأي طبيعي.

الطائفة الثانية:

ترى أن هذا وغيره مما شاكله من الأحوال المشاهدة بعد الموت وفي الحياة أيضاً، لا يكون إلا من عطايا الآلهة لا من تدبير الناس وأفعالهم، وأن انقلاب الأشياء عما جرت لها به عادة لا يجوز أن يتمّ ولا يكون إلا من أقلاب إله قادر على ذلك.

*** تفصيل الرأي الأول:**

بتدبير الإنسان ما دام حياً، وهو خلط الرازيانج بالطعام على ترتيب، حتى تألفه الطبيعة ويغتذي البدن بالغذاء مخلطاً بقوة الرازيانج، ويستعمل أخذ الصبر والمصطكي في الفصلين المعتدلين ولا يقرب أكل أحد البقول البتة غير الرازيانج، ويقلل من شرب الماء القراح، فيجعل مكان شربه الماء ماء متغيراً بنصفه خمر، وإما خمر صرف وإما خمر ممزوج بلبن، فإن هذا التدبير يطيب روايح رطوبات البدن المتكونة فيه ويطيب رايحة الدم. وإذا طابت رايحة الدم طاب ريح اللحم والشحم وغيرهما من الأعضاء المتشابهة الأجزاء وغيرها. فطابت رايحة البدن

كله، وتطيب رايحة البرازين الخارجين من البدن، حتى لا يوجد لهما ولا لأحدهما ريح البتة. وربما أضاف الإنسان إلى ذلك أن يلقي في العصير إذا عصره من الكرم، في كل دن وزن نصف درهم كافور، فإن كان الكافور من القيصوري فوزن دانق ونصف، فإن ذلك يحدث في الخمر أشياء طيبة من ريح وطعم ولذة مشروب، ويصفي الدم فضل تصفية ويمنع من تكون الرطوبة العفنة في الدم أوفي غيره من أحشاء البدن. وإن في ذلك لفايدة عظيمة واقتداء على الجمال بعد الموت، وقالوا إن الكافور إذا خلط بالخمر منع أن يكون للخمر ترقي بخار إلى الدماغ أو سورة للسكر أو خمار بعد. ولعمري أن هذا من أفعال الكافور إذا خالط الخمر، غير منكر. وهذا فلم نحكم به هكذا إلا عن تجربة وخبر صحيح. (ص: ٨٥١).

* تفصيل الرأي الثاني:

وأما صغريث فإنه يرى أن هذا وغيره مما شاكله من الأحوال المشاهدة بعد الموت وفي الحياة أيضاً، لا يكون إلا من عطايا الآلهة لا من تدبير الناس وأفعالهم، وأن انقلاب الأشياء عما جرت لها به عادة لا يجوز أن يتم ولا يكون إلا من إقلاب إله قادر على ذلك، وأن جميع هذه الأشياء الطبيعية لا تنقلب عن جواهرها وطباعها بتدبير وحيل أبناء البشر البتة، وأن ذلك يقدر عليه إلا إله عام القدرة تام القوة، وإن الناس قد يتوهمون أشياء تكون ليس لما يتوهمونه من ذلك حقيقة، منها تطيب الجسد بعد الموت وفي الحياة أيضاً التي لا يشم الإنسان في حياته، لشيء يبرز منه عن بدنه، رايحة منتنة، لا للبول ولا للدم ولا الغايط ولا القيْ ولا العرق، وإذا مات لم يشم لجثته النتن المشموم من جثث

الحيوانات كلها فيظنون أن هذا يكون ويتم بتدبيرهم في حياتهم وبإدخالهم على أبدانهم في أغذيتهم شيئاً ما وباستعمالهم على ترتيب وتدريج شيئاً أيضاً. (ص: ٨٥٢).

وهذا كله محال باطل ظني لا يقوم عليه دليل ولا برهان ولا يوصل إليه إلا بالأعمال والعبادات ونحر القرابين وأدعية للآلهة بأسمايها الحسنى العظام وبقيام الليل وصوم النهار، فإن الآلهة أو أحدها المقصود بتلك العبادات والقرابين والحسنات تفعل بذلك الشخص تطييب جسده وما يبرز عنه، فيكون، كما قال أدمى ومن قبله دواناي وعاعامى وسولينا وأقسمينا وطولوتي ورساتي وكرمانا وقوم غير هؤلاء قد عددهم إيشيثا بن أدمى وذكر أنهم كانوا طاهرين مطهرين بأعمال البر وحسن التقرب إلى الآلهة، فأفنوا في ذلك أعمارهم فوصلوا إلى الآلهة إلى ما راموا من تطييب الأنتان الكاينة للحيوان، فرفعت الآلهة أقدارهم على ساير الناس وأبانتهم بذلك من جملتهم وفضلتهم عليهم، ليظهر قدرها ولحرص الناس على مثل تلك الأفعال فيواظبوا عليها، فيكونوا في حياتهم مكرمين رفيعي القدر ومهابين، ويستسقي بهم الناس ويتبركون بالنظر إليهم ويحلون حيث حلوا، ويظهر لهم بعد موتهم من إكرام أجسادهم عن مشابهة أمور الناس ما يعلم الناس أن القدرة ظهرت بعد وفاتهم، ليعملوا مثل أعمالهم. (ص: ٨٥٢).

وأصل هذا الفعل وتمامه للإنسان يكون بالعدول عن الشهوات وأتباعها وبقمع النفس عن الشرور فيما تهوى واستعمال سيرة المليكة المكرمين تشبهاً منهم بسيرة القمر وتشبهاً من القمر بسيرة الشمس، فيتم لهم طول البقاء ما أمكن الطبيعة أن تبعثهم بالقوة التي أعطتها الآلهة، ثم

تكرم أجسادهم بعد ذلك التكرمة التي هي التطييب وزوال الأنتان والأقذار والأوساخ. وأيضاً فإنهم يكونون في ذلك على قدر مراتبهم من الأعمال، فمنهم من تزيل الآلهة بعد موته الروايح الكريهة ثم يبلى جسده، فيكون من ذلك الجزء من التراب الذي استحال من ذلك الجسد شيء يطول شرحه، وإن كانت مرتبته في العمل الصالح أكثر من ذلك أعطته هذا الطيب للجسد وأبقت جسده فلا يبلى مدة ما على مقدار عمله، وإن كانت مرتبته أزيد من ذلك في كثرة الأعمال والمثابرة على الخير أبقت جسده بعد موته أبداً لا يبلى ولا يتغير ولا تفسد صورته ولا شيء منها، حتى يشاهده الناس بعد وفاته صحيحاً كما يشاهدون أصنام الذهب والفضة والحجارة الصمّ التي لا تبلى أبداً ولا تتغير، فإن هذا الجسد الباقي على الدهر نرى فيه نحن وغيرنا مما نرى أن الآلهة تعني بهذا العالم وما فيه عناية تامة وتمد أبناء البشر بتفضيلها عليهم. إنه إذا ابتدأ دور ذلك الإله الذي بقّا تلك الجثة صحيحة غير فاسدة، أحياه بإعادة نفس مثل نفسه وأحلّها في جسده وقرن بها نوراً من نوره، فصار ذلك الشخص إلهاً لأهل ذلك الزمان، ثم يكون حاله في الموت، بعد مضي الزمان الذي سبيله أن يبلغه، كحاله الأولى، فيموت ويبقى جسده كما كان بقي إلى أن يعود الدور لذلك الإله، ليعمل به كما كان عمل، فيتكرر ذلك الدهر كله لذلك الإله، إلا أن يتحول ذلك الشخص عن مثل تلك الأعمال الصالحة ومنع الهوى والشهوة، فيسلبه الإله ذلك الفعل ويموت موت البلى والشر فيبطل ويصير تراباً. وإذا سلك، كما أحياه إلهه، مثل المسلك الأول الذي كانت مجازاته عليه تلك المجازاة، عمل به ذلك العمل. فإن دام له ذلك الفعل بقي أبد الأبد ميتاً وراجعاً حياً رئيساً إلهاً كريماً مكرماً ما دام حياً. (ص: ٨٥٢ ـ ٨٥٣).

فهذا إجماع طوايفنا من جميع أصنافهم، وإن مجازاة الآلهة وثوابها لأهل طاعتها المتقربين إليها بعصيان الهوى واتباع العقل والسيرة المشبهة سيرتها على هذا الشرح، وبهذا يقع على هذا النسق الذي ذكرناه. فأما غير هذا فما يظنه إلا قوم كفرة بأفعال الآلهة غير عارفين مقدار نعمهم عليهم، فإنهم يحتالون بكفرهم وكذبهم وقلة حيائهم وجوها وصفات يصفونها كاذبة باطلة، فيقولون أن حيلهم وتلطفهم يبلغهم تلك المبالغ التي لا يقدر عليها إلا الآلهة الأحياء السرمدية. فإن ذلك ظن كاذب وحيلة ضعيفة واعتقاد مرذول مطرح عند العارفين المؤمنين. (ص: ٨٥٣).

قال قوثامي: فهذا كلام صغريث هاهنا على هذا المعنى، قد أظهر رأيه ومذهبه فيه واحتج وناضل عنه. وهذا أيضاً كان مذهب طامثري الكنعاني والكنعانيين كلهم والكردانيين وغيرهم من أجيال النبط، إلا من شذ منهم عن هذا المذهب مثل من أظهر ذلك، وهم أنوحا وإبراهيم، فإن هؤلاء كشفوا وجوههم في الخلاف. وأظن أن ينبوشاد وكان رأيه رأي أنوحا في ذلك، كان يحب ويرى أن يجعل الآلهة إلهاً واحداً ويجعله فوقها كلها في القوة والتدبير، فيكون هو هؤلاء غيره، لكنه لم يكن يمكنه إظهار ذلك جزعاً على نفسه ومراعاة للبقاء. (ص: ٨٥٤).

وقد خرجنا عن عمود الكلام على الرازيانج إلى غيره خروجاً كثيراً، فلنعود إليه فنقول:

إن هذا النبات كريم من المنابت كثير المنافع ينبت بإنبات الناس له وإفلاحهم إياه. وينبت كثيراً لنفسه في المواضع الطيبة التربة، إلا إنه إذا نبت بإفلاح الناس له كان أكثر وأقوى انتشاراً، وإذا نبت لنفسه فلابد أن

يكون أقشف وأعطش وأقل ريّا، إلا أنه لذلك يكون أحدّ ريحاً وأبلغ عملاً وأقصر في الامتداد والعلو. (ص: ٨٥٤).

الرازيانج حار يابس محلل ومدر للبول واللبن مدر لدم الحيض، لأن من خاصيته جمع الرطوبات المسدّدة، مفتّح للسدد كلها حيث كانت، صالح للمعدة، ينفع أصحاب الحميّات ويحدّ البصر ويقوي الدماغ. (ص: ٨٥٤).

البطيخ:

البطيخ يتكلم... البطيخ يحب الغناء:

ولقوم من الكسدانيين في البطيخ خرافات لا معنى لها، ويتخرف بها النساء والصبيان، وعند قوم أن فيها أدباً وحكمة، أن أكاراً قام من النوم بالليل في ليلة قمراء، فغنى أغنية وضرب بالعود على غنايه، فكلّمته بطيخة كبيرة وقالت له: «يا هذا، أنك وغيرك من زارعي البطيخ تحرصون على كبره وحلاوته إذا زرعتموه وتتعبون فيه أصنافا من التعب وتشقون. وقد يكفيكم من ذلك أن تزمروا تطبلوا وتغنوا في وسطنا، فإنا نسر بذلك ونبشّ ويحلو طعمنا ولا تعرض لنا آفة». وأمثال هذا تركنا ذكرها ليلاً يكثر الكلام بما لا فايدة فيه كثيرة، وإن كان فيه بعض الفايدة، فأنهم لم يقصدوا بالخرافات إلا فوايد الناس. (ص: ٩٠٩).

وأما السحرة فأنهم يزعمون أن البطيخ إذا زرع منه شيء في جمجمة إنسان وغطي بالتراب ثم دفنت الجمجمة في الأرض وسقيت الماء دايماً على ما يسقى البطيخ، أنه يخرج من ذلك الحب أصل وإن ذلك الأصل يحمل بطيخاً، من أكل منه لم يَنْضرّ به ولم ينفخه ولم يرطب معدته

وزاد في ذكائه وجودة فكره، ومعرفته، وإنّ حَب هذا البطيخ وقشوره إذا جففا وطبخا وطلي بهما الوجه، حسنه وأظهر فيه لوناً حسناً جميلاً. وحدث فيه بهاء ورونق. (ص: ٩٠٩).

وقد يصلح لأشياء كثيرة من العلاجات، وفيه خواص كثيرة نافعة وضارة ظريفة، يتصرف بها السحرة في سحرهم ألوان التصاريف. وأنه إذا زرع منه حبات في جمجمة حمار ودفنت الجمجمة في الأرض وسقي الماء على ما يسقى البطيخ كله. خرج أصل من البطيخ يحمل حملاً إذا أكل منه آكل بلَّدَه وأعمى قلبه وأنساه حتى لا يذكر شيئاً البتة. وأن هذا الأصل من البطيخ كما وقد يستعمل عرقه وأصلة لشيء، وورقة وعيدانه لشيء، وحمله وبزره الذي في جوف البطيخة لشيء. وفيه عجايب الأفعال الظريفة، وكل هذا إنما لسرعة قبوله لطباع الأشياء وجودة اجتذابه إلى نفسه من الأشياء التي يقاربها ما في طبايعها. فإذا مازجت طباعه حدث فيه العجايب من الأفعال. وأنه قد يزرع في جماجم وفي أجواف ضروب من الحيوانات ويدفن في الأرض، فيخرج منها البطيخ يفعل أفعالاً عجيبة ظريفة، في كل حيوان ضرب من الأفعال، مما هي أقرب أو مشاكلة للطبع الذي لذلك الحيوان.

إذا مازجت طبع الإنسان كان منهما شيء ظريف يؤديه البطيخ إلى أبدان الناس. ويزعم السحرة أيضاً أن اليبروح إذا أخذ منه صورة من أصل من أصوله فدفن في وسط قراح البطيخ المرزوع في الأرض، أنه يحدث في ذلك البطيخ أفعال لا نستجيز ذكرها بأكثر من التلويح فيها.... (ص: ٩١٠).

شجرة الرمان (شجرة الرمان والحية):

وقال ماسي السوراني أن دخان الرمان ودخان قشوره مما تهرب الحيات منه، إذا وجدت ريحه، هرباً شديداً، ولذلك كان الملك الخايف من الحياة دايماً يتخذ له في مجلسه أغصان الرمان وفيما بينها حمل الرمان. قال قوثامي: وهذا خبر ضعيف ما أدري كيف أقول فيه، إلا أني أعلم أن هرب الحيّات من الرمان وربما كان، وفي الأكثر لا يكون. (ص: ١٠٧٨).

واعلم مع ذلك أن بين الرمان وبين الحيات والأفاعي مضادة في الطبع مانعة للحيات من المقام في أصول شجرة الرمان وخاصة الأفاعي، فأما الأساود والشجاع والأرقم فإنّا نراها عياناً لا تكره شجرة الرمان، ونرى الأفاعي غيرها من أصناف الحيات يهربن من القرب إلى الرمان. (ص: ١٠٧٩).

شجرة الشروي أو العجلة (خرزة الجاه):

ومن نبات البر، مما هو شجرة لطيفة ظريفة المنظر، شجرة تسميها العرب العجلة ويسميها أهل بلاد طيزناباذ الشروي. وفيها للعرب خرافات طوال عجيبة لا أدري ما هي، إلا أنهم يقولون إن النساء يسحرون بها أزواجهن، وأنها تعمل في الحب والبغض والتفريق بين اثنين والتسلط على الأعضاء والأبدان بأعمال يزعمون أنه إذا عمل بها شيء ما وكان قصد العامل المحبة حبّبت، وإذا عمل بها شيئاً آخر قصد فيه البغض بغضت، وهكذا في سائر ما وصفنا. (ص: ١١٥٢).

ويقولون إن في بعض أصولها، مما هو بين غور الأرض وظاهرها، خشبة مدورة كهيئة الخرزة، وإن تلك تنتزع من مكانها وتؤخذ مفردة مما

هي ملتصقة به. قالوا وهي تنفرد فيكون منظرها كهيئة الجوزة الصغيرة، إلا أنها ليس تخرج إلا مما قد عتق من هذه الشجرة. فيزعمون أن الإنسان إذا علقها في حلقه أو على عضده الأيمن حببه ذلك إلى الناس وقضوا حوايجه وقبلوه أحسن قبول، ويصح جسمه. ويذكرون في هذه الخرزة عجايب، لأن العرب تسميها خرزة الجاه، وبعضهم يسميها خرزة العجلة، ويذكرون فيها عجايب من الخواص وأشياء كثيرة ظريفة ليس هذا موضع ذكرها. (ص: ١١٥٣).

الصبر والصبار (المخلص من الموت):

جاء في كتاب الفلاحة النبطية أن العرب تفتخر بأن لها نباتين هما: الصبر والصبار، وقد رد رموز الفلاحة النبطية على هذا الإدعاء بأن النباتين (الصبر والصبار) إنما أخذوه من النبط فيقولون: فالعرب يفخرون بهذا ومنا تلقنوه وعنا أخذوه، ودار جدل حول أحقية كل قوم بنسب هذين النباتين، ويقول صاحب الفلاحة النبطية حول هذا الموضوع:

ومن منابت البر الصبر، وهو من الأدوية، والناس نقلوه من البر إلى البساتين، وإلا فهو نبات عربي خالص، أصله أنه ينبت لنفسه في البراري، وينبت في جزيرة تجاور طرفاً من أطراف اليمن يقال لها أسقوطره، يجلب الصبر منها إلى جميع البلدان وإلى إقليم بابل، تجلبه العرب فيبيعونه مع الثمر المسمى الصبار والرقع اليماني. وهذه شجرة فيها سم قاتل، أعني الرقع، إلا أن بعض الناس يستشفي بها، فيأخذ منها قدر مثقال فيدقه فيقيمه قياماً وقتاً عظيماً ويخرج الأخلاط كلها، إلا أنّ في شربها خطراً عظيماً. والعرب يستشفون بها ويفخرون بنباتها في بلدانهم كما يفخرون بشجرة الصبار، وإن حملها يقمع الصفرا والدم

قمعاً ويغني عن كثير من العلاجات من الصفرا الهايجة والدم الهايج. (ص: ١١٦١).

وقال ينبوشاد: وحِمْيَر يسمون ثمر الصبار «المخلص من الموت»، وهو المعروف بالتمر الهندي، وأجود ما استعمل وأنفعه أن يطبخ كل رطل منه بثلثة أرطال ماء حتى يبقى من الماء رطل وشيء، ثم يصفى، ويشرب هذا الماء بعد برده، فإن قوي في تسكين ثائرة الدم والصفرا جميعاً، بليغ في تطفية حرارتها، ويصفو مع ذلك الدم من كدره وعكره حتى يجتمع عكره لاصقاً بالعروق. وقد زعم الأطباء أن العروق الغير ضاربة طبقتان، فالعكر إذا نفاه شيء عن الدم فإنه يلصق بالطبقة التي تلي الدم. فقال الأطباء إن الإنسان إذا أدمن أخْذَ الصبر أخرج ذلك العكر عن عروقه بإدمانه أخذه. (ص: ١١٦١).

ففخر العرب أن لهم نباتين، الصبار والصبر، يخلصان من الأسقام وإسراع الموت، لأن الموت لابد منه لكل حي، إذ كان الموت قايماً في الأبدان بالطبع، والحياة عرض داخل عليه، فإذا زال ذلك العرض بقي الموت الطبيعي مكانه. إلاّ أنَّ ما أزال الأسقام دافع لتعجيل الموت، ففيه فايدة عظيمة جليلة كبيرة. فالعرب يفخرون بهذا ومنا تلقنوه وعنّا أخذوه. (ص: ١١٦١).

العرب أمة تولاها كوكب الزهرة:

قال قوثامي: هذا قول ينبوشاد في الصبر والصبار ومنفعتهما وهو كما قال. إلا أن قوله في العرب إنهما أخذوا منافع ذلك منهم وتلقنوه عنهم ليس هو كما قال عندي، ولا أرد عليه قوله ولا أكذبه، إلا أنه يبعد في نفسي أن يكون شيء مخرجه في بلادهم ويجربوه كثيراً

ويستعملونه، نقول نحن إنهم تعلموا منافعه منا، فنحن إلى أن نكون تعلمنا ذلك منهم وأخذناه عنهم أحرى وأولى. ولا يظن بي ظان: «إنه ذهب على رأي ينبوشاد في العرب، لأنه يرى أنها أمة تولاها الزهرة، وليس لمن تولاها الزهرة علم ولا حكمة ولا فكر ولا استنباط لشيء. ونحن مع هذا قد نشاهد لهم ذكاءً وفطنةً حادة وبديهية حسنة، ولهم من علم السحر قطعة كبيرة، وإن كان السحر كلّه لأهل بابل من النبط الكردانيين، فإن لأهل اليمن سحراً بليغاً، حتى إن اليونانيين بلغنا عنهم أنهم يضربون بهذا المثل، فيقولون للذي يبالغون في صفته بالفطنة: أنت أفطن من سحرة اليمن. ولهم أيضاً في الرقى علم جم، وإن لم يكن مثل رقى الكردانيين، فهي رقى حسنة بليغة صحيحة، ولهم قيافة الأثر وهو دليل على فرط فطنتهم وبليغ ذكايهم، وإن كان للهند قيافة حسنة، فإن العرب قيافتهم أحدّ، لأن فطنتهم لما يشاهدونه تقع مع مشاهدتهم له بلا فصل. وليس قيافة الهند هكذا بل يحكمون على ما يحكمون عليه بعد توقف وفكر. فلم تبخس العرب ما لهم؟». (ص: ١١٦١).

ولعل ينبوشاد قد وقف وعلم في زمانه الذي كان فيه أن العرب تعلموا من الكردانيين ما قال إنهم أخذوه عنهم، لأني لا أستجيز تكذيب ينبوشاد، ولا مثله يُظنُّ به الكذب، وعهد ينبوشاد إلى زماننا هذا دهر قد مضى طويل، والأمور تتغير وتنتقل في الناس من حال إلى حال، ومن شيء إلى شيء خلافه، فلعله لم يكن للعرب على عهد ينبوشاد ما نشاهده نحن الآن فيهم من الذكاء وسرعة الفطنة والعلم بالسحر والرقى والقيافة. وقد كان ينبوشاد في طول سياحته في البراري، ومأواه القفار، يلقى العرب كثيراً، فعرف من أمورهم ما لا نعرفه نحن، حتى يقال إنه كان فصيحاً في اللغتين بليغ المعرفة بهما، الكردانية والعربية، وذلك لكثرة مخالطته العرب وطول ملاقاته لهم.

فلعمري إنه بأمرهم أعرف منا. وقد يجوز أن يكون فيهم من كان يسايله عن أشياء من علومه فيجيبه فيستفيده من ينبوشاد ويأخذ عنه. ولعل ذلك قد كان حقاً لا محالة، فحكم عليهم بما كان شاهده منهم. (ص: ١١٦٢).

قال قوثامي: رجعنا إلى الحكاية عن ينبوشاد تمام كلامه في منابت البر. قال ينبوشاد: فهذه الثلثة أشجار أصلها اليمن، الصبار والرقع والصبر. فإن الرقع شجرة كبيرة، إلا أنها دون شجرة الصبار. والرقع والصبر نابتان في البر. أما الرقع والصبر فكثير، وأما الصبار فما أقل ما رأيته في البر، حتى أني يمكنني أن أعد مقدار ما رأيته منها. فأقول إنه في طول عمري مرتين، على تحصيل في الذكر مني لذلك، إلى وقتنا هذا. فقد حصل لنا بذلك أن الصبار مما ينبت في البر بمشاهدتنا لنباته هناك. وقد يجوز أن يكون لها مواضع من البر يكثر نباتها فيها لم نبلغ نحن إليها. فإنّا لم نشاهد البراري كلها. بل إنما شاهدنا منها قليلاً يسيراً. وأظنها تنبت كثيراً في البراري التي فيها بين بلاد اليمن وبلاد السودان. فإن القياس يوجب ذلك، بل هو لا محالة كذلك. (ص: ١١٦٢).

شجرة الكروم (شجرة الكوكبان السعدان المشتري والزهرة):

أسباب نجمية كوكبية:

قال صغريث أن الكروم اشترك فيها على سبيل الأغلبية كوكبان، هما السعدان، المشتري والزهرة، وذلك أن جميع الكسدانيين مجمعون على أن لكلّ للشمس ويشارك الشمس في كلّ شيء الستة الباقية... فالكروم

مما استولى عليه بعد الاشتراك العام السعدان، المشتري والزهرة، وكانت الزهرة به أخص. وإنما قلت هذا لأن القمر هو الوالي على النبات كله جملة. فإذا استولى على بعضه كوكبان كان الكوكب منهما الذي هو أقرب إلى فعل القمر أولى بذلك الشخص فلما كانت الزهرة أشبه بالقمر منها بساير الكواكب كان المشتري أبعد منها من الكروم قليلاً وكانت أقرب منه لذلك. إذ كان هذا هكذا فالغالب على الكروم الزهرة ويشاركها من بعد هذا الاستيلاء المشتري، فلما استولى عليها السعدان كانت أعظم المنابت بركة وأجلها قدراً وأعظمها فايدة. والدليل على ذلك ما قاله كاماس النهري في شعره في تفضيل الكروم على جميع المنابت وعلى النخل أيضاً مثال:

شجرة الكرم (شجرة نجم سعد):

إن الكرم نجم سعد مسعد لمتخذه وكثير المنافع لأبناء البشر، والنظر إليه يسر النفس، وشرب العصير يفرح القلب وينسي الهم ويقوي الضعيف ويشجع الجبان. وأكل ثمرته رطبة ويابسة يغذو البدن وينفع المعدة ويحلل ويلين وينفع بسهولة. وكل جزء من أجزايه فيه منفعة لأبناء البشر في عروقه وأصله، في خشبه ولحايه، وفي ورقه وعلايقه، وفي أول طالع من ثمرته. ثم إذا انتقلت ثمرته في النمو والنشو فلها في كل حال من أحوالها الصايرة إليها منفعة هي غير المنفعة التي كانت لها في الحال التي انتقلت عنها إلى أن تصير إلى الجفاف الكلي فتسمى حينيذ الزبيب. فقد يكون فيه وهو زبيب منافع كثيرة ويتخذ منه أشربة نافعة. (ص: ٩١٥).

الخمر (إيصال السعادات):

فأما عصير ثمرته وهي رطبة في اعتدال زمانها، المسمات الخمر، وتعديد منافعها يطول، حتى أنّا نقول أن أوهامنا تقصر عن تعديد ذلك على التقصي وألسنتنا تكلُّ عنه، فلذلك إنّا نرى أن نمسك ونعدل عن الكلام فيما لا يمكننا توفيته حقه من الصفات إلى السكوت، فإن الشيء إذا زاد عظم قدره جداً حتى يخرج عن الحدّ، لعجز الواصفين، عن صفته، فصار مومَياً إليه باسمه فقط ولم يجز أن يتعرض إنسان لصفته لبعد متناولها والمعرفة بالعجز عنها، فلم نتعرض لتعديد منافع الخمر ولا لمدحه، إما في نفسه وإمّا لعظم موقعه من منافعنا، معشر أبناء البشر، فسكتنا عنه سكوت عجزٍ عن استيعاب صفته في الوجهين الذين ذكرناهما، وهما فضايله في نفسه وفضايله في منافعنا وإيصال السعادات به إليها وفيه لنا. فكان الإمساك والسكوت منا هو نهاية المبالغة في المدح وغاية التفضيل له على كل شيء حتى أنه قد قصد أقواتنا التي هي مادة حياتنا في بعض الأحوال لا في كلها. وذلك أنه مشارك للأقوات في منافعنا لأن العنب والزبيب يغذوان البدن غداء يقيم الأرماق... (ص: ٩١٦).

ليلة الاتفاقات السعيدة:

هذا ما قاله أدمى عن تلك الاتفاقات السعيدة:

إني شبهت تعريش الكرمة على النخلة باقتران القمر مع المشتري في برج السرطان في وقت هو خروج يوم ودخول ليلة، وذلك يوم خميس وليلة جمعة. وباتفاق في ذلك الوقت من نزول الشمس برأس برج

الحمل، فإن هذه السنة يكون فيها من السعادات لأهل إقليم بابل وساكنيه ما لا يحيط الوصف بصفته. فكذلك البقعة من الأرض التي تلتف فيها كرمة على نخلة، ويتفق هناك جدول من ماء عذب جار وهما على حافته وعلى ستين ذراعاً منها سدرة عظيمة مدورة الجملة، وتلك الأرض ذات تربة حمراء سليمة من كل لون غير البياض، فإن تلك البقعة أم لجميع البقاع واصل البلوغ إلى رضى الشمس والقربة إلى القمر. وهذا إنما يكون فيه وبه ما وصفنا، إذا كان في بقعة من الأرض بالاتفاق لا بقصد أحد من الناس إلى أن يعمل هذا هكذا، فإن هذه البقعة على هذا هكذا، فإن هذه البقعة على هذا تكون موضع تلاق إلى الفلك العظيم، وهو موضع ينبوع الحياة الدايمة القايمة، وهو طاهر على أفضل الطهارات، فيكون مبدأ الظهور للأنوار المضيئة لا المحرقة لمقابلتها جزيرة الشياطين.

فمتى حضرها بشري فخطط فيها خطوط الشمس كان له ذلك أمانا من مباشرة ما يظهر فيها من القديسين الذين لا ينبغي أن يجزع أحد منهم، لكن في طبع الناس كلهم أنه إذا بداهم ما لم يألفوه ارتاعوا منه، فنفرت نفوسهم عن مشاهدته. إلا أن الخطوط الشمسية تمنع بخاصية فعل لها النفور المؤذي، لأن الشمس، كما قد علمتم، نَفَسُ العالمين كلاهما، العلوي، والسفلي، وسبب ضياء كل مضيء واستنارة كل مستنير ومحو الظلم كلها. لكن لمّا كنا في عالم الظلم احتجنا من أجل ذلك إلى أن نعلل نفوسنا، إذا فقدت أعيننا الضيآ بما يقوم لها مقامه لتبقى على حالها فلا تثوي. (ص: ٩١٧).

وهذا الكلام الذي نرمزه ونكثر فيه إنما نروم به منافعنا النفسانية

وإيصال ما يقويها ويسرها إليها، لأن مشاهدتنا المنابت والمزارع والمياه المطردة والأزهار الحسنة والبقاع الخضرة والرياض المونقة، قد تفرح نفوسنا وتبهجها وتخفف عنها همومها وتلهيها عما التبس بها وغطاها من الهموم، كما يعمل شرب الخمر من تسلية الهموم سوآ. (ص: ٩١٧).

الكرمة الملعونة:

وذكر صاحب كتاب الفلاحة النبطية هذه الكرمة التي لها خواص تميزها عن بقيت أشجار الكروم وسماها الكرمة الحريفة الملعونة:

وربما خرج من سقي جوخى كرمة رقيقة العيدان صغيرة الأوراق قليلة الحمل، تحمل عناقيداً صغاراً يضرب لونها إلى حمرة خفيفة، وإذا ثم نضجها ضربت مع الحمرة إلى سواد. فهذه كرمة شديدة الحدة جداً حريفة ملعونة لا خير في شيء منها. عنبها يسهل وزبيبها يعمل قريباً من ذلك وعصيرها يصدع ويسكر ويحدث خلفة رديّة وقياماً جداً متصلاً ربما لم ينقطع إلا بالعلاجات وبالحُقن القاطعة للخِلفة. (ص: ٩٥٥).

ويسميها أهل سقي جوخى سرايهيا. وإذا دلك إنسان بزبيبة منها أو حبةمن عنبها بعد نضجها جيداً على ثوب حمَّرَهُ حمرة لا تنقلع منه أبداً بحيلة. وقد كان أهل الحضر على عهد عصراويا الملك ركّبوا أغصان كرم جلبوها من بعض قرى الموصل فركّبوها على كرمة تخرج في ذلك البلد، فنمت وجاء منها كرم يحمل عنباً مستطيلاً لونه أبيض يشوبه خضرة كثيرة، له جلد ثخين جداً شديد، وفي كل حبة من العنب حبة واحدة، وأكثره ليس فيه حب، فكانوا إذا أكلوا من عنبه شيئاً صمّط أفواهم وقرح اللثة، وربما انتفخت أصول أسنانهم ودميت بعد ذلك. إذا

كان مزاج الإنسان حاراً وعصروا من عنبها شيئاً فكان من شرب منه يجن ويبقى مختبل العقل أياماً. (ص: ٩٥٥).

الكاهن برايا وتحريم هذه الكرمة:

فرفعوا خبرها إلى عصراويا فسأل برايا، كاهن زمانه، عن ذلك، فدعا برايا القمر وتضرع إليه في أن يعلمه علم هذه الكرمة. فأوحى إليه القمر في المنام أن حرّم كل شيء من هذه الكرمة، فلا تغرس ولا تزرع ولا تفلح ولا تمس باليد البتة ولا ينظر إليها أحد إلا من بُعد. فلما حرم برايا النظر إليها تركها الناس حتى تلفت كرومها كلها وجفت فصارت هشيماً طيرته الرياح وبطلت من الأرض البتة. وبرايا هذا هو أحد من انتهى إليه خلافة أشيثا والقيام بدينه. (ص: ٩٥٥).

أنواع شجرة الكروم:

ـ كرمة البرؤ (شجرة الأنوار):

كرمة الأسرار والخبايا المصورة في الهياكل:

وقد ذكر دواناي المسمّى في زمانه سيد البشر، وسمّاه قوم بعد ذلك المصوّر، لأنهم وجدوا في هيكله المنسوب إليه في بلاد الشواني من أرض سورا ألف صورة، صوّرها بيده، وفيه كتاب عظيم محتفظ به في الهيكل دوّن فيه أن كلّ صورة من تلك الصور تحتها معنى فيه فايدة وفسّر في ذلك الكتاب معاني تلك الصور الألف ولِمَ وضعها، فهلك ذلك الكتاب ولم يبق في أيدي الناس إلى زماننا هذا من الألف صورة إلا ماية وثمانية عشر صورة، وتحتها بعددها معاني ظريفة مفيدة علوماً

كثيرة. في جملة هذه الصور الباقية صورة كرمة سمّاها كرمة البرؤ، عدّد فيها من الأسرار والخبايا ما لا غنا لأحدنا عن معرفته، وان في كشفه لمنافع عظيمة. فلنذكر أوّلاً صفة صورة هذه الكرمة ثم نقول بعد ذلك على ما وجدنا في معانيها حسب ما ذكر مصوّرها، ولِمَ صورها سيد البشر دواناي.

صوّر هذا الرجل كرمة عظيمة منبسطة ذات أغصان كثيرة، قد التفت أغصانها حتى صارت كالدوابر، يظهر منها تسعة وأربعون دايرة، وهو مضروب سبعة في سبعة في كل دايرة من هذه الدوابر صورة عناقيد العنب مدلاة من عيون أغصان الكرمة، يكون عدد العناقيد أربعة وثمانون عنقوداً، حبّ عنبها طوال أبيض، ومعنى هذا العدد هو مضروب سبعة في اثني عشر. وصوّر في أعلى الكرمة النار في أسفلها الأرض وعن يمين مستقبِلها الهواء وعن يساره الماء وصوّر في كل دايرة صورة حيوان من الحيوانات المعادية للكروم المضّرة بها. فأفادنا بذلك أولاً ان للكروم تسعة وأربعون دابة من الهوام تعاديها وتطلبها وتضر، يا معشر الناس، فيها. وصور فيها الفلاحين وجميع مايحتاجون إليه في إفلاحها والقيام عليها، وصّور بأيديهم الآلات التي يعملون بها في الكروم وما يحتاجون إليه، ثم قال في الكتاب الذي فسّر فيه معاني حال هذه الكرمة كلّه: (ص: ١١٢٧).

إن هذه هي الكرمة البرية النابتة لنفسها، بعقب ابتلال الأرض بالأمطار، الناشبة لنفسها بلا قيامِ قيّم عليها ولاصناعة فلاّح فيها، والمنبسطة كذلك لنفسها، المجتذبة الغذاء من الأرض بعروقها لنفسها بلا ساق ولا سايق للماء إليها، قال وهذه الكرمة وماشاكلها من نخلة أو

شجرة في الاكتفاء بتعريقها في الأرض وغوصها فيها عن سقي الماء لها قد سمّاها القدماء الماضون قبلنا بعلاثا، وسماها آخرون خارواع. وهذان الاسمان إنما اشتقوهما من معنى نشوها واكتفايها بنفسها عن قيام غيرها بها، فإن دواناي قال: وربما تنبت في غير البر والقفار، بل في بعض البلدان أو الصحارى المجتمع فيها مياه، وربما في غير هذه من المواضيع والبقاع، كرمة لنفسها، فمتى كان ذلك فكبرت وانتشرت بلا إفلاح فلاّح ولازراعة زراع ولا تعاهدٍ من متعاهِد، فحُكمها قريب من حُكم البرية لا مثلها في كلّ الاحوال والأعمال. إنّ هاتين الكرمتين على هذه الصفة، قد أقول فيهما أنهما منزّلتان من عند الله، وأنّا إذا نسبناهما إلى ذلك فقد صارت به آلهةَ الكروم كلّها. وإذا هي هكذا فهي الآمرة والكروم كلّها مطيعة لها خاضعة وقابلة منها منافع كثيرة، فتكون لساير الكروم في الأرض كلّها بمنزلة الدواء الذي يشفي أسقامها وبمنزلة الكشّ الخارج من فحل النخل الذي تُلّقح به ثمرتها. فقد سمّيتها لذلك شرطاً خاوي، وهذه الكرمة التي نحن في وصفها. (ص: ١١٢٧ ـ ١١٢٨).

أما البرية منها فإنها لا تحمل عنباً إلا في السنة العاشرة من نباتها، وأما الخارجة كخروج البرية في غير البر فإنها تحمل في السابعة أو الثامنة. وليس يتفق أن تكون هذه الكرمة النابتة لنفسها لوناً واحداً ونوعاً واحداً، وتختلف فتحمل مرة عنباً أبيض، وهو الأكثر أو أسود وما يضرب مع سواد إلى حمرة أو أحمر يضرب مع حمرته إلى سواد، وما أشبه ذلك من التقلب في الألوان، وكذلك أيضاً تختلف في كبر وصغر حب العنب، إلا أن حب عنبها صغاراً أبداً، وهو مدوَّر أو إلى التدوير أبداً. ففي أكل عنبها بعد بلوغه ثمانية منافع وستة مضار، وفي شرب

الخمر المعتصر منها أربعة عشر منفعة وثمانية مضار، وفي الاصطباغ والاستعمال لخَلّها ثلثون مضرة، مثل عدد المنافع. (ص:١١٢٨).

قال قوثامى: إني أظنُّ أنَّ الثلثين منفعة ومثلها مضار هو في شرب خمرها واستعماله، والأربعة عشر منفعة والثماني مضار هو في استعمال خلها، وأن وجودنا هذا هكذا في الكتاب إنما هو على سبيل الرمز واللغز من دواناي، لأنه يعمل مثل هذا كثيراً فيما دوّن من العلوم، فلهذا حملت كلام هذا السيد الحكيم على ماينبغي أن يليق بمثله أن يقوله، ولم ألتفت إلى ظاهر الكلام الواقع إلينا، إذ كان مثله إنما يضع لتعليم العقلاء هم المميِّزون كلام مثله والعاقلون عنه ما ينبغي أن يريد والنافون عن مثله ما لايليق به، فلذلك حكمت في هذا بما ظننت. (ص:١١٢٩).

منافع وأضرار وأسرار كرمة البرؤ:

كما رواها الحكيم دواناي:

قال دواناي: ولخمر هذه الكرمة علامة ظاهرة فيها دلالة على عناية القمر بها زيادة وفضل عناية. وهو مايظهر من التلالي والنور وسطع الشعاع من خمرتها، إذا حُركت في إنايها أو صُبّ منها شيء من إناء إلى آخر، فإنكم تشاهدون ما لا ترونه لغيرها البتة، وخمر هذه البرية خاصّة فإني أحرّم على جميع الناس أن يشرب منها أحد، من ذكرهم وأنثاهم، أكثر من نصف رطل بمثليه ماء قراح إلى ما كان من زيادة الماء حسب طراءة الخمر أو قدمها، وأحرّم على جميع الناس أن يشربوا من الكرمة الأخرى النابتة لنفسها في غير البَر أكثر من رطل بمثله ماء إلى ما أراد

الشارب من الزيادة في الماء لمزاجها، فإنه متى زاد زايد على ما رسمتُ في هاتين الخمرتين فإنه يضر بنفسه غاية الإضرار، ومع إضراره بنفسه فإني أسمّيه فأقول: إن خالفني في ذلك فعيناه تذهبان وقوته تنحل وقلبه يضعف فيخفق ودماغه يبرد ويبرز فترتعش أعضاؤه كلها، ثم يتشنج عقبه تشنجاً لا براء له، فيموت متشنج الأطراف مسوّد الوجه مقفّع الأصابع متطحنّ الأسنان، يصيبه هذا كله بفعل إلهنا إله الآلهة محرك الكل به، انتصاراً وعقوبة. أما الانتصار منه لعناية الآلهة بي، فأيّ من عنى به بعض الآلهة عناية البعض بي كان كلامه، حتماً وفصل قضاء واقع لا محالة، وأما العقوبة فعلى اختياره الضرر لنفسه، وإيصال المنفعة لها يمكنه. فاحذروا معشر الناس الخلاف علينا فيصيبكم لذلك مكاره عظيمة، فإن مخالفة المُقبِل المسعود من أعظم الإدبار. (ص: ١١٢٩ ـ ١١٣٠).

قال قوثامي: وأكثر دواناي مدح هذه الكرمة البرّية وعدد من فضايلها، ومنافعها شيئاً يطول ذكره إلى أنْ عدد من خمرها وخلّها وعنبها وأوراقها وأصولها وعروقها وعلايقها ماية منفعة وأربع منافع وذكر أن النور يظهر منها ليالي الصيف كله. منذ تبتدي فيصبر فيها حصرم إلى أن يقطف ذلك منها، نور وشعاع ساطع يرى ذلك منها في ليالي الظلمة التي لايطلع فيها قمر، وإن لعنبها إذا أدرُك بريقاً وتلالي يظهر في ليالي الظلمة. (ص: ١١٣٠).

ومدار هذا الكلام من دواناي كله واختصاره وجملته أن هذه الكرمة البرّية تشفي ساير الكروم وأدوايها كلها شفاء سريعاً بضروب من المعالجة بهذه الكرمة. فمنها من يرش خمرها على الكروم السقيمة رشاً خفيفاً مفرقاً وكذلك يفعل خلّها، لكنهما يمزجان بالماء جميعاً، أعني

خلّها وخمرها، وكذلك يصبّ في أصول الكروم، شيئاً بعد شيء، من الخمر والخلّ الممزوج ويحرق من أغصان البّرية أو مما ينبت لنفسه في غير البّر، ويخلط رمادها بأخثاء البقر وتُغبَّر به الكرمة السقيمة، وهذه الصفات لجميع الأسقام العارضة للكروم على العموم، وأيضاً فإنه ينتزع من البرّية أغصان فيها أوراقها وتربط على الكروم فتدفع عنها ضرر الريح الهابة عليها. الباردة خاصة أكثر والحارّة، بخاصية فيها، وتقوّي الكرمة التي تعلّق عليها وتعين الزبل الذي يزبل به الكرم على إصلاح الكرم وتصرف عنه ضرر زيادة الماء الذي يُسقاه، وإذا جمع معه عجم زبيب أو عنب الكرمة البرية، وزن عشرة دراهم إلى الأحد عشر درهماً، فدُقّ وخلط بالزفت وطُلي على ساق الكرمة التي ترمي بثمرتها أمسكت الثمرة ولم ترمِ بها، وكذلك تدفع هذا عن الكرمة التي يعفن بعض ثمرتها ذلك العفن حتى تصح ثمرة الكرمة، وقد يدفع خمرها عن الناس أوجاع المعدة كلّها ويقوي الكبد والطحال ويفتح سددهما وتنفع المُستَسقي والذي في أحشايه غلظ، وتبرّي من فساد المزاج إذا شرب منه المقدار الذي حددناه ودونه على الطعام أو مقدار خمسة دراهم فقط مع مثليه ماورد على الريق. أما المشروب على الطعام فإنه يهضم الطعام جيداً، ويعين على نفوذه ويحسن اللون ويبطي بالشيب ويطيب النفس ويعمل فيها سروراً وطرباً وإذهاب الغمّ. وأما المشروب على الريق بالماورد فإنه إذا أُدمن أياماً فليعمل في مقدار ما يسقى منه بحسب قوة العليل وعلّته وماهي، فإنه يصلح فساد مزاج المعدة والأحشاء ويصلح بدنه ويدفع تولّد العلل الحادثه من البلغم الغليظ اللزج ويخرج البلغم الرقيق وما رّق من الصفرا في البول. ويصلح فساد اللون ويقي الطبيعة ويبعث قوى البدن على أفعالها، ومن أدمن استعمال خلّ خمر هذه الكرمة البرّية

لطف أخلاط بدنه تلطيفاً عظيماً وجفف المعدة تجفيفاً قوياً وقطع الباه وجفف المنى وصفى الدم، وهكذا يفعل خمر الكرمة البرّية في تصفية الدم وإصلاحه حتى لا يكاد يهيج. (ص: ١١٣٠ ـ ١١٣١).

وهذه المنافع هي بعض ماحكاه دواناي في منافع هذه مما يجوز أن يذكر، قال: وأي خمر فسد عليكم أو حمَّض وتغيّر فصّبوا على كلّ مناً من ذلك الخمر أوقيتين من خمر هذه الكرمة البرّية فإنه يطيبه ويصلحه، وكذلك إن تغيّر عليكم خلّ، أي خلّ كان، فصبوا عليه من خلّ هذه الكرمة مثل المقدار الذي قلنا في خمرها، فإنه يصلح فساد هذه ويشفي مما يشفي ذلك منه. (ص: ١١٣١).

تأويل فجوة البياض:

استدراك وملاحظة من ابن الزيات عن هذا الفصل:

قال أبو طالب أحمد بن الحسين بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الملك الزيات الحاكي هذا الكتاب عن أبي بكر بن وحشية:

وجدت في أصل كتاب ابن وحشية في هذا بياضاً، نحو العشرين ورقة، وذلك أن ابن وحشية لم يُمْلِ عليّ هذا الكتاب كإملايه غيره من الكتب التي نقلها إلى العربية، إنما كتبت بإملايه منه نحواً من ثمانين ورقة من كتابي أنا خاصة من هذا الكتاب، ثم وصى زوجته عند وفاته أن تدفع إليّ كتبه التي خلفها، فدفعت إليّ كتبه، وفي جملتها كتاب الفلاحة هذا. فنسخته من أصل كتابه، فكان في ذلك الأصل في هذا الموضع بياض مقدار عشرين ورقة.

وأظنُّ التبيض في كتاب أبي بكر بن وحشية لأحد أمرين، إما أن

يكون شيئاً متروكاً في الكتاب المكتوب بالنبطية، فتركه ابن وحشية مبيضاً كما وجده مبيضاً في الأصل النبطي، أو يكون وجده فصلاً مكتوباً في الخمر وصفة إصلاحه ومنافعه فكره أن ينقله من النبطية إلى العربية لأنه في شرح شيء مُحرَّم. لأن أبا بكر بن وحشية كان يميل إلى مذاهب الصوفية ويسلك طريقهم، فكره أن يوجد بعد وفاته عنه كلاماً طويلاً مجرداً في شيء محرم، فترك نقله لذلك. فهذا ماظننته ظناً. وقد يجوز أن يكون لشيء ثالث لا أدري ما هو، إلا أن أبا بكر لم يذكر في الموضع المبيض المتروك لمَ تركه بياضاً لم يكتب فيه شيئاً. ولَمْ أرَ ذلك وهو حيّ فأسأله عنه. فهذا آخر ما وجدته في باب الكروم. (ص: ١١٣١ ـ ١١٣٢).

أنواع من شجر الكروم:

ـ يولينا:

وتسمى: عنب السوناي، وسوداء ذات العيون، الكرمة التي لا تهرم.

وقد يكون في البلاد التي فيما بين حلوان وباجرما كرمة يسميها أهل تلك البلاد يولينا، عنبها أول السنة في وقت نضج عنب السوناي. عناقيدها كبار جداً، يكون العنقود منها نحو ذراع، وعنبه أبيض شفاف رقيق مدور. لا تكاد تفلح هذه الكرمة في أرض بابل، بل في ذلك البلد، لأنها تميل إلى البرد. ومعاليقها طوال أطول من معاليق جميع الكروم. وهذه التي سماها ماسي السوراني سوداء ذات العيون ومعنى ذلك أنه يطلع من كل عين في القضيب ثلثة عناقيد، وكل الكروم إنما تنبت من كل عين عنقوداً وعنقوين في النادر، وإلا فعنقود واحد هو المعروف. ونهى ماسي السوراني وأدمى وابنه أشيثا عن اعتصار هذه

الكرمة وشرب عصيرها، ومدح أكل عنبها وزبيبها وفضلوه على جميع الزبيب والأعناب كلها، ومدحوا هذه الكرمة في نفسها فقالوا إنها لا تهرم ولا يضرها ما يضر بالكروم من اختلاف الأهوية والبخارات الردية إلا ضرراً يسيراً، وذلك لقوتها وجوهرها. (ص: ٩٥٤).

وقالوا أنه يجب أن تتعاهد بالكسح الدايم. وقالوا: وإن كان لابد من عصيرها في وقت واتخاذ الشراب منها، فينبغي أن يطرح في الدنان التي يدخر فيها عصيرها نصف رطل من الطين الأحمر المجلوب من إرمينية، ومن الطين الأبيض المجلوب من بلاد فارس ويؤخذ الطين فيُدقُّ ناعماً ويوزن منه بعد دقه نصف رطل ويصب عليه أوقيتين من زيت ويلتّ به لتّاً جيداً، ويلقى في الدنّ ثم يصب عليه الشراب العتيق بعد. (ص: ٩٥٤).

قال أدمى فإن هذا يدفع شر عصير هذه الكرمة. وإذا عتق عصيرها زمناً طويلاً حتى يتجاوز الخمس سنين ويدخل في السادسة فإنه يصلح ويطيب طعمه، وذلك أن شراب هذه الكرمة يبقى اثنتي عشر سنة لا يكاد يتغير، لصبره على الآفات، فإذا تجاوز خمس سنين فليشرب، حينئذ ولا يكثر منه. ويشرب إلى أن يجوز الاثنتي عشر سنة، ثم أنه بعد اثنتي عشر سنة ينقلب فيرجع إلى الرداوة والشر، فينبغي أن يحذر حينئذ فإنه بمنزلة السمّ القاتل. (ص: ٩٥٥).

ـ شجرة كلب الكروم:

تسمى (مهلكة الكروم):

وقد تنبت بالقرب من الكروم حشيشة تسمى كلب الروم، لا تقوم

على ساق، بل تنبسط على وجه الأرض وتندفن في التراب حتى لا يكاد يتبينها كل أحد. لها ورق صغار أصغر من ورق السذاب في نحو ورق الحمّص وأصغر منه. متى بلغت في إنبساطتها إلى أصل الكروم أو تعلقت بعرق من عروقه آذته وجففت بعض أغصانه. فإن اتفق أن تتعلق وتلتبس بأكثر عروقه أو بعروق عدة منه نقّصت منه ثمرته وصغّرت العنب، حتى يصير كأنه الحصرم الصغار، وذهبت بحلاوته وصفّرت ورق الكرم وعساليجه. وقَلعُ هذه الحشيشة أن يؤخذ منها من أصول الفجل الأبيض أصلين أو ثلثة إلى الأربعة، ويأخذه الأكّار بيده اليسرى وفي يده اليمنى شبيه بالمدقة من خشب، فيضع أصلاً واحداً من الفجل على موضع وسط الحشيشة ويدقها بتلك المدقة حتى تنشدخ الفجلة فوق الحشيشة ثم يضع فجلة أخرى ويدقها، ثم كذلك يدق فوق جميع الحشيشة من أصول الفجل ويدق الجميع حتى تنشدخ أصول الفجل والحشيشة جميعاً ويختلط بعضها ببعض، ثم اتركها هكذا وانصرف، فإن الفجل يذيبها ويحلها حتى تصير الحشيشة والفجل ماء سيالاً ولا يبقى منها غصن ولا ورق ولا عرق ولا أصل. فهذا دواؤها إن نبتت بقرب الكرم. (ص: ٣٩٥).

دفع ضرر البرد عن الكروم والنبات والزروع:

(ولهمّ فيها خرافات وطقوس ظريفة...):

وأما دفع ضرر البرد عن الكروم (الكرم) فقد استنبط قدماء الكسدانيين فيه معنيين، أحدهما دفع وقوعه وصرفه، إذا تخيلت مخايله، والآخر علاج ما أحدث من الضرر والنكاية. فأما عمل دفعه وصرفه إذا أنذرت به النذر، فإنهم قد ذكروا فيه وله أشياء كثيرة مختلفة،

بعضها يجري مجرى الخواص، وبعضها أصله مأخوذ من أدعية الآلهة، فأرتهم في المنام أشياء كثيرة يعملونها، وبعضها من أعمال السحرة. وأنا عدد ما وقع إلي منها وأذكر ما جرّبتُ من ذلك فصح، وأما غير ذلك فينبغي أن تجربوه تعلموا صحته من سقمه، فإن هذا وما أشبهه مما يكشف حقيقة التجربة، لأنه لا خطأ يقع في عمله، فيظن الذي يعمله أنه قد أخطأ فلم يصح، بل ما عمل منه وكان أصله صحيحاً فهو مؤدٍّ إلى صحة، وما كان بخلاف ذلك لم يجيء (!) منه شيء. فالتجربة تصحح ما منه صحيح وتبطل الباطل. (ص: ١٠٦١).

تأويل خرافة الأفعى:

سيد البشر دواناي صوّر أفعى في هياكل كل العبادة لدفع ضرر البرد:

فأول ذلك أن الناس رووا عن سيد البشر دواناي أنه صوّر في جملة الألف صورة التي صورها في الهياكل، كل صورة لمعنى ما، وكتب عليها لأي شيء تصلح، وصوّر في جملتها، لدفع ضرر البَرَد وصرفه، صور أفعى، قالوا وكتب على صورة الأفعى أن هذا يعالج به للصرف البَرَد أن يقع على المزارع والمواضع التي يقع عليها، فلبُعد زمان دواناي من زماننا وطول العهد بيننا وبينه، ما تأوَّلَ الناس هذا الذي صوّره تأويلات مختلفة قديمة وحديثة، فقال بعضهم: إذا أردت صرف البَرَد من الموضع الذي قد ارتفع عليه السحاب، فخذ أفعى فقطّعها قطعاً وألقها على الجمر، قطعة قطعة، وليكن ذلك على مهب الريح، قالوا فإن دخان الأفعى يقطع الغيم، غيم البَرَد، أو يصرفه البتة عن ذلك

الموضع، وقال آخرون: بل تؤخذ الأفعى فتنصب مصلوبة على قصبتين، يُجعل على إحداهما رأسها وعلى الآخر ذنبها، ويربطا على القصبتين ربطاً جيداً محكماً، وتنصب القصبتين في وسط القراح، فإن البَرَد لا يقع على الموضع الذي الأفعى مصلوب فيه، بل ينصرف ويتجاوزه. وقال آخرون: إذا ارتفع سحاب البَرَد فخُذْ خشبة ثخينة مربعة أو ذات شكل واثقب وسطها بمثقب، وخذ الأفعى فاجعل رأسها على ذلك الثقب وسمّر رأسها بمسمار حديد وثيق ينفذ في رأس الأفعى من الثقب وإلى الجانب الذي يلي الأرض من الخشبة، وأحكموا تسمير المسمار جيداً، فإن الأفعى تضطرب. (ص: ١٠٦٠).

وتدور، فتنقل الخشبة باضطرابها من موضع إلى موضع، فبذلك الاضطراب ينصرف البَرَد عن ذلك الموضع الذي تكون تلك الخشبة فيه موضوعة. وقال آخرون: بل يجعل القصب تحت السماء في صحر ليلة، فإذا كان من الغد، فليجعل في موضع لا تصيبه الشمس. فإذا أردت صرف البَرَد فَخُذْ من ذلك القصب المنجَّم فأحرق به أفاعي على مهب الريح، فإن المواضع التي يقع عليها ذلك الرماد لا يقع عليها البَرَد، بل ينصرف عنها. (ص: ١٠٦٢).

وكل هذه الوجوه من الأعمال متقاربة تكشف حقيقتها التجربة. وما جرّبنا منها شيئاً، بل استغنينا بغيرها مما سنأتي به بعد. إلا أني أشير على الناس بتجربتها، فإنّ صَرْف البَرَد ودفْعَ سحاب البرد شيء نافع نفيس في المنافع ظريف، ولست أدري هل كان دواناي قد شرح مع الصورة كيفية العمل في صرف البَرَد بالأفاعي أم لا، فلبعد عهده لم يصل إلينا، أو قصد السكوت عن شرحه أو تغطيته، كما جرت عادة الحكماء القدماء. (ص: ١٠٦٢ ـ ١٠٦٣).

خرافات أخرى في دفع ضرر البَرَد عن النبات والزروع والأشجار:

وقد حكي عن كاماس النهري أنه كان يأمر ثلثة نسوة قد حِضْنَ أن يخرجن إلى الضيعة التي قد أظلّتها سحابة محيلة لوقوع البَرَد، فيتجردن من ثيابهن ويستقبلن السحاب بفروجهنّ، مستلقيات على أقفيتهن قد فرجن بين أرجلهن وفروجهن تلقاء السحاب. قال فإن سحاب البرد ينصرف عن ذلك الموضع ولا ينزل فيه من ذلك الحساب بَرَدة واحدة. (ص: ١٠٦٣).

فأما ما ذكره ماسي السوراني أنه مجرب لطرد سحاب البَرَد، أن يقوم تسعة رجال بأيديهم كفّ قطن فيومون بذلك القطن تلقاء السحاب، ثم يأتي معهم أربعة رجال فيصفقون، وقد رفعوا أيديهم تلقاء السحاب، يصفقون ويصيحون كما يصيح الأكرة لطرد الطيور والعصافير عن الزرع. قال وكلما كثر الناس الفاعلون لهذا التصفيق والصياح والزجر للسحاب كان أبلغ في طرد السحاب وأسرع لانجلايه. قال فإنه يمضي ويتجاوز ذلك الموضع. قال وإن زاد عدد هؤلاء الزاجرين للسحاب إلى عشرة أو عشرين أو أربعين أو ستين أو ستة عشر أو ثمانية وعشرين رجلاً أو ما كان بعد أن يكونوا عدداً زوجاً من أربعة رجال إلى ستين رجلاً، كان هذا بليغ في طرد سحاب البرد ومنع وقوعه في تلك الحارة كلها وفيما قرب منها. (ص: ١٠٦٣).

وقال أيضاً: إن أخذ إنسان جلد ضبع أو جلد تمساح فطاف بهما أو بأحدهما حول القرية أو الضيعة أو أي موضع يريد أن لا يقع عليه البَرَد، ثلث مرار يطوف بهما ثم يصير بعد ذلك إلى دهليز القرية أو

الضيعة أو القراح فيعلّق الجلد قدّام الباب، فإن هذا الفعل يمنع البَرَد أن يقع في تلك القرية كما هي، أو كلما طاف بالجلد حوله. (ص: ١٠٦٣).

قال ماسي: وأما ما جربناه وشهد بصحته جماعة من القدماء أنه إذا عُمِلَ منع وقوع البَرَد فهو أن تؤخذ سلحفاة قد اصطيدت من الآجام خاصة، لا من ماء جار، فيضعها إنسان على يده اليمنى مقلوبة على ظهرها، ويطوف بها حول الكرم وحول الزرع كله ثلث مرار إلى سبع مرار، حتى إذا فرغ من الطواف صار بالسلحفاة إلى وسط الكرم أو وسط الزرع، فحفر في الأرض حفيرة ووضع السلحفاة على ظهرها في تلك الحفيرة حتى لا تقدر على الانقلاب على رجليها ولا على الدبيب، فإنها ستحرك يديها ورجليها تلقاء السماء دايماً، فلتترك هكذا إلى انقشاع الغيم ونقاء السماء منه، فإن البَرَد لا يقع على ذلك الموضع. فإذا انقشعت السماء فبادِروا إلى قلب السلحفاة لتدب على أرجلها. (ص: ١٠٦٤).

فأما صغريث فإنه قال: ينبغي أن تكون هذه السلحفاة عظيمة الكبر وأن يُعمل بها في الساعة السادسة من النهار أو من الليل، إن كان سحاب مرتفع أو لم يكن، وتترك السلحفاة بموضعها إلى غيم السماء ثم انجلايه. (ص: ١٠٦٤).

قال قوثامي: وقد جربنا هذا العمل بالسلحفاة فوجدناه صحيحاً يدفع وقوع البَرَد ولا يَثْبتُ سحاب البَرَد على الموضع ولا لحظة ولا نراه إلا طابراً يمضي، ولا يسقط منه في ذلك الموضع ولا بَرَدة واحدة. وقد جربنا أيضاً شيئاً وصفه ينبوشاد فوجدناه صحيحاً، وهو أن يأخذ إنسان

صحيح البدن، لا يكون فيه عيب في بعض أعضايه، مرآة كبيرة من حديد مجلوة، ويجعل وجهها المجلو تلقاء السحاب شيء من البَرَد البتة. فأما ما يخص الكروم دون غيرها فجِلد الضبع أو جلد التمساح أو جلد القنفذ، أيها حضر، إذا طيف به حول الكروم وعُمل به بعد الطواف ما وصفنا، لم يسقط عليه بَرَد. وغير هذا مما قلنا أنّا جربناه، وهو العمل بالسلحفاة والعمل بالمرآة، فهما صحيحان، فليعمل على ذلك. (ص: ١٠٦٤).

قال قوثامي: وقد ذكر ينبوشاد في دفع البرد وجميع المضار النازلة من السحاب والكاينة من الرياح الشتوية، ويدخل في هذه الريح الغربية المضرة بالكروم وغيرها، أن يؤخذ لوح إمّا رخام أو خشب، أي خشب كان، ويصور عليه كرم فيه عنب كثير، وإنْ صُوِّرَ عليه صورة عناقيد العنب فقط أجزا. ويفعل ذلك من اثنين وعشرين يوماً تخلو من كانون الأخير إلى أربع ليال تخلو من شباط، أي يوم اتفق من هذه الأيام، يُصوَّر عليه ويقام مركوزاً في وسط الكرم، فإنّ هذا طلسم لحفظ الكرم، يحفظها من الآفات السماوية والأرضية ويدفع عنها سقوط البَرَد ويشغلها في النشو وكثرة النمو، إذا عمل على حقّه في عمل الطلسمات. (ص: ١٠٦٤ ـ ١٠٦٥).

وقد رسم القدماء أيضاً في دفع مضرة الجليد عن الكروم وغيرها رسوماً، وذاك أن الجليد وقوعه على الكروم قد يضر ببعضها لا بكلها. واللاتي يضرها منها الكروم الحديثة التي لها من سنة إلى خمس سنين، فإذا دخلت في السنة السادسة ابتدأت تقوى قوى تمتنع بها عن أضرار الجليد. وأيضاً فإن ذلك الإضرار من الجليد بالكروم أكثر ما يعرض بها

في البلدان الباردة، مثل: بلاد بارما والحديثة ونينوى بابل، وفيما بينها وبين حلوان، وبحلوان وفيما بينها وبين بادريا. فهذه المواضع هي النواحي الباردة من هذا الإقليم، فالجليد يكون على الكروم فيها أعظم نكاية وأشد موقعاً. وليس نرى الجليد يضر بالكروم التي في ناحية الرحايا وطيزناباذ وإلى جنبلا، كإضراره بها في تلك النواحي الباردة. فأما ناحية الأبلّة فما أقل اتخاذ أهلها للكروم والشجر، بل هم أصحاب نخل وقطن وحنّا، ولهم كروم لكنها يسيرة. (ص: ١٠٦٥).

عجائب الكرنب ومضادته للخمر:

وقال صغريث إنّ من أكل الكرنب قبل شرب الخمر لم يسكر البتة، إذا حصل في معدته منه مقدار رطل واحد، فانّه لا يسكر ولو شرب خمراً كثيراً، وإن كان شربه من الخمور أحدّها وأسرعها إسكاراً للناس، وذلك بالمضادة التي بين الكرنب والكروم التي تؤدي إلى المخالفة في كل حال، وكلما خالفه في تجربة صبّ الخمر عليه فوُجد أن الخمر يغيره ويؤذيه، فذلك للمضادة بينهما، وكلما خالف هذا في هذه الصفة فهناك موافقة، وهذا فقد قدمناه في كلامنا وأعدناه هاهنا، ثم انا نرجع إلى موضع خرجنا من الكلام فيه. (ص: ١٠٢٠ ـ ١٠٢١).

وقد دفع انبياء وحكماء الفلاحة النبطية اهتماهم بأشجار الكروم والعناية بها ان يمارسوا طقوساً زراعية في وضع المضار عنه بكل وسيلة ما، ومن هذا الطقوس مايورده كتاب الفلاحة النبطية لهذا الطقس:

فأما وصف أنوحا فانّه قال: إذا أولع بالكروم شيء من الدبيب، إما الدود أو غيرها، فدخّن الكرم بشعر امرأة، تأخذُ في مجمرة جمراً

وتجعل الشعر كباباً صغاراً وتُلقى كبة كبة وتدخّن بها كرمة كرمة، كل كرمة على حدة حتى يعبق الدخان بالكروم جيداً، فإنه يطرد عنها جميع الهوام من الدود وغيرها، ودخان هذا الشعر علاج بليغ لأدواء النساء من وجع أرحامهن، وقال رواهطا الطبيب أنّ دخان شعر النساء مع القسط يشفي ارتفاع أرحام النساء إلى فوق[1] (ص:١٠٧٦).

بصل العنصل الحار (مخيف ومهلك الذئب):

وهذا بصل كبار جداً، لونه أبيض، وأكثر نباته في أرض المغرب ببلاد الأندلس وبلاد الروم والشام وجميع البلدان الباردة الكثيرة الثلوج والأمطار. وقد يكثر ببلاد الجيل وخرسان. ويسميه أهل بلاد الأندلس بلغتهم ولغة الروم أسكله، ويسميه بعض العرب البصل البراني. وليس يكاد ينبت في السهل من الأرضين ولا بقرب نداوة ونزّ وبلل، بل نباته في الجبال وفي التراب الذي يخالطه حصى وإلى جوانب الصخور وجنب الحجارة على الجبال، وكثيراً ربما ينبت في بعض حيطان منازل الناس التي قد خربت وعفيت حيطانها وبعدت عن الندواة، وفي الأرض الصلبة جداً. (ص: ٥٧١).

حكاية البصل والذيب:

وله خواص كثيرة عجيبة ومنافع على سبيل التداوي به كثيرة، وفيه مضار بليغة، والكلام فيه على سبيل التقصي يطول. فمن أنفع خواصه

---

(١) راجع كتاب الفلاحة النبطية، للمزيد من الاطلاع في عجائب ومضادات اخرى، ج٢، ص:١٢ ـ ٧٦ وما بعدها.

أنه حيث وضع وحيث كان لم يقرب ذلك الموضع أحد الهوام والدبيب البتة من الأفاعي والحيات وغير ذلك إلى النمل، فأما هرب الفار من ذلك الموضع فنهاية ليس وراءها شيء. وأكثر وحوش الصحارى تعافه وتفر وتهرب منه، حتى أنه إن أخذ إنسان منه في سفره واحدة أو اثنتين أو ما شاء، فإذا عرض له أسد أو دب أو ذيب أو نمر فألقى البصلة بينه وبين، أيِّ الوحوش كانت، انصرف عنه، وخاصة الذيب، فإنه يهرب منها هرباً عظيماً. فمتى شددت ذيباً وأوثقته وتركت تحت بطنه في الأرض بصلة من بصل العنصل ضرب بنفسه واجتهد في قطع وثاقه، فإن لم يقو على ذلك ولا على الهرب مات، إما بعد ساعة أو من يومه ذلك. (ص: ٥٧٥).

حشيشة الأسد (مؤذية النبات):

ولنذكر لأستاذنا صغريث ما يظهر من خواص أفعال النبات والزروع، فإنه لا ينكر هذا، إن كان منكراً لما قدمنا لمعرفته بذلك: لِمَ إذا كثر خروج نبات حشيشة الأسد المؤذية لجميع ما ينبت بقربه من النبات، فأردنا قطعها واستيصالها ولَمْ يُمْكنّا ذلك بلقطها بالأيدي، أمرنا جارية بكراً أن تأخذ بيديها ديكاً أبيض أفرق، ودارت في المواضع النابتة فيها هذه الحشيشة، وحركت الديك حتى يضرب بجناحيه، وكررت ذلك في الوقت مراراً، فإن تلك الحشيشة تجف ويبطل بعضها من يومها وبعضها بعد ذلك بيومين أو ثلاثة، لا يتجاوز ذلك؟ أهذا من أي فعل هو؟ أترى الحشيشة فزعت من الديك فجفت، أم عقلت لشيء من هذا، وإنما هو فعل الخواص؟... (ص: ٢٧٤ ـ ٢٧٥).

خرافات زراعية أخرى...!

وإذا رأينا سحاباً مخيلاً لسقوط البَرَد أو ابتداء البَرَد يسقط في موضع زرع، أمرنا امرأة حايضاً أن تتجرد من ثيابها وتنام على ظهرها وتبرز فرجها نحو السحاب، سكن سقوط البرد في المكان، ولم يسقط في تلك البقعة والمكان الذي نامت المرأة فيه وفعلت ذلك الفعل ولا فيما يقرب منه بماية ومايتين وثلثماية ذارع. ما هذا العجب العجيب وما الغاية فيه إلا فعل الخاصية؟

وما بال السنانير إذا شمت ريح السنبل، سنبل الطيب، تمرّغت عليه وأحبت أن لا تفارقه، استطابته له، وربما صاح بعضها إذا شمّته صياحاً متتابعاً وطلبته واتبعته، إن نُحّي عن ذلك المكان، فلما ذلك لولا الخاصية؟. (ص: ٢٧٤).

ولِما إذا علّقنا أصلاً من الباذرنبويه على ساق كرمة، وقت يعقد الحمل للعنب، وتركناه عليها حتى تبلغ ثمرتها، فإذا لقط ذلك العنب وعُصر وُجد فيه طعم الباذرنبويه وريحه، إذا صار شراباً واشتد، وكان ذلك الخمر نافعاً لا يعرض من إكثاره خفقان؟ ما العلة في ذلك لولا الخاصية؟

وأقول بعد ذلك: من شكّ في شيء مما ذكرنا فليجربه، فإن تجربة هذه الأشياء ممكنة لكل الناس. ولم أفعل هذا معاندة لقول صغريث، لكني نظرت ما هو عندي حق. وإنّ في كثير من خواص النبات وغيره منافع كثيرة للناس. (ص: ٢٧٥).

البهار:

ويسمّى: مهيج العشق وورد الحمار وأحداق المرضى:

هذا يسمى البهار، ويسمى ورد الحمار، ويسمى أحداق المرضى. وهو شديد الحرارة، وفيه قوة معينة مسخنة محددة، وبعض الناس يسميه مهيج العشق، ويزعمون أن العاشق والمشتاق إذا رآه وشمّ ريحه هيج وجده جداً، فهو لذلك يضر بالقلب إذا شمّ، ويحرك الدم الفاسد في البدن بخاصية فيه. ومتى دُقَّ وضمد به أحد الأورام الصلبة حلّل تلك الصلابة، إذا كرر عليه ضماداً مراراً كثيرة، ولينها تليينا كثيراً، إن لم يكن بروء. وزعموا أنه يحلّل السلع كلها بأن يُدق ويخلط به عكر الزيت ويطلى عليها دايماً، فإنه يستأصلها. (ص: ١٣٩).

والبهار: وهو يدخل في أشياء كثيرة من أعمال السحر ليس لذكرها في كتاب الفلاحة معنى. وقد قال قايل إنه إذا بخر به بيتاً طرد عنه أكثر الهوام المضرة، وبخاصة البّق فإنهم زعموا أنه يقتله ويبيده ويفنيه. (ص: ١٣٩).

الخزام:

يسمّى: ورد التّبرك والرزق والجاه ومبهج النفوس ومسكّن الغضب:

هذا نبات يحمل ورداً متفرق الورق، ولونه بنفسجي، بل هو أحسن من لون البنفسج، والفرس يعظمونه ويتبركون به، كما يعظمون البهار الذي ذكرناه قبله، فإنهم يتبركون بالبهار أيضاً تبركاً عظيماً. والخزام مشهور يستغنى بشهرته عن الإكثار من وصفه. وربما تركه بعض الفرس في منزله، وينظر إلى ورده ويقولون إن النظر إليه يسرُّ النفس ويزيل الهمّ

الذي يعتري النفس بلا سبب ويسهّل، زعموا، مجيء الرزق، وربما أخذ بعضهم في جيبه من ورده واحدة، يقولون إنه يحدث بالإنسان قبولاً من الناس، ويكون له بينهم جاه. وإنه يسكن الغضب، إذا أخذ إما في الجيب كما قلنا أو في الكم، أو عُلّق من ورده واحدة أو اثنتين على النحر أو الصدر. وقد ذكروا في خرافاتهم له أخباراً عجيبة من الأفعال، ولست أعلم لكلما ذكروا فيه حقيقة ولا بطلاناً، لأنني لم أجرب من ذلك شيئاً. (ص: ١٤٠).

وهو مما يطول حتى يصير كقامة الإنسان، بل دون ذلك في الأكثر، وينشر الأغصان كثيرة. ولست أعرف من منافعه ومضاره شيئاً، فأخبر بها، أكثر أنه يسر نفس الناظر إليه. فإذا أدمن ذلك حدث في نفسه أماني كثيرة. وهذه خصلة مذمومة عندنا وإن كان الفرس يحمدونها، فإنهم يفضلون كلما سر النفس. وليس ما رأوه من ذلك عندنا نحن صواب، وليس هذا موضع بيان ذلك، لأن فيه كلام طويل هو خارج عن قصدنا هاهنا، فتركناه. وقوم من طايفتنا يتفأل به ويرى فيه ضد رأي الفرس. (ص: ١٤٠).

اللينوفر:

ويسمى نبات القمر:

هذا نبات هندي، واسمه بلغتهم. فأما طايفتنا من الكسدانيين فإنهم يسمونه أسماء كثيرة، لأهل كل صقع اسم يخالف الآخر. وأكثر ما نبت لنفسه في مستنقعات المياه وراكدها وفي الآجام، إلا أنه لا ينبت إلا في الماء العذب القائم في أرض طيبة التربة سليمة من كل فساد. وهو نبات

محوّل إلى الشمس أبداً، إذا طلعت الشمس وارتفعت، وقع شعاعها عليه أم لم يقع، تفتحت وردته كلها، فلا يزال تفتيحه يزيد بزيادة علّو الشمس، فإذا ابتدأت تطلب الغروب ابتدى ينضم على ذلك الترتيب الذي قد كان تفتّح به، حتى ينضم إنضماماً كاملاً عند غيبوبة الشمس ويبقى مضموماً الليل كله، فإذا ابتدأت الشمس تطلع ابتدى كذلك. وزيادة نشوه ونموه وجودته تابع لزيادة القمر في الضوء. ونقصانه تابع لنقصان القمر. ولذلك قال سولوقو في شعره إن اللينوفر نبات القمر، وجعل التأويل للرآي إذا رأى في نومه كأن معه واحدة منه يشمها، أنه يجامع امرأة أو ويجتمع معها خالياً من غير جماع، فأقامه مقام المؤنثات، لأنه نبات القمر. (ص: ١٣١).

وفيه خواص ظريفة عجيبة كثيرة في ورق ورده وفي تلك الأصول التي الورق مركّب عليها في الوردة وفي القضبان التي الوردة في رأسها، وهي أذناب اللينوفر، وربما سماها بعض الناس بذلك. وقد ينال اللينوفر وغيره من الورد والأزهار، حتى أنه ينال الكروم وشجر اللوز وغيرها من الشجر، آفات ويسمونها (!) طايفتنا آفات النجوم. (ص: ١٣٣).

وإذا بلغنا إلى الكلام على أفلاح الكروم تقصينا صفة ذلك وعلاجه، فإن له علاجاً مجرباً. فأما هذه الأزهار وورد الرياحين فإنه لا مقدار لها حتى نحتاج نطول في وصف آفاتها النجومية وعلاجها، فلنتركه هاهنا. لكن لابد أن نصف له علامة حادثة في هذه الأشياء تدل عليه، وهي حمرة تحدث في ورق الورد والأزهار، حمرة خارجة عن الحد المتعارف لكل أحمر. وينالها مع تلك الحمرة ذبول ومخالفة في المنظر والمجسة بالأصابع، حتى يعلم من يرى تلك الوردة وتلك الورقة من

الورد أنها فاسدة. فأما الكروم فإنه يحدث فيه فساد هو أبلغ من هذا يسمونه باسم ـ قال أبو بكر بن وحشية: معناه الفساد الحادث في النبات من النجوم ـ ، وهذا فإنما ذكرناه هاهنا لم قدمنا أن اللينوفر نبات القمر وإنه ينفتح وينضم مع ارتفاع الشمس وانخفاضها. وكذلك أيضاً قد تدور وردته مع الشمس حتى أنها تُحوِّل وجهها إلى ناحية المشرق وتنفتح، فإذا صارت الشمس في المغرب حوّلت كلها إلى المغرب منضمة. (ص: ١٣٣).

وقد كان ذناملوط الملك شغف باللينوفر شغفاً شديداً، حتى اتخذ منه في قصره حفاير كثيرة، فلما كثر شمه ومقاربته له والنظر إليه أحدث ذلك في دماغه داء عسرة البروء باردة حارة، وذلك شيء طريف، فقتله ولم يقدر أطباء زمانه للعلة على دواءه، فهذا من خواص أفعاله. (ص: ١٣٣).

ومنها أن الجليد يهلكه، وانهباط الكواكب المتتابعة يهلكه ويضعفه جداً. وطبعه يشاكل أو يقارب طبع البنفسج الرطب، وفي حال رطوبتهما يوافقان للمحرورين ويسكنان الصداع الحار العارض من المرة الصفراء والدم الحادّ. وهما نافعان من السهر يزيلاه بسرعة. وله مضار لا نرى أن نذكرها، لأن فيها لقوم تطرق بالشر إلى الأذى، فتركناهما هاهنا كلها. (ص: ١٣٣).

شجرة الدّلب:

الشجرة الكلبة أو الشجرة الصابرة:

هذه شجرة صلبة العود، تطول في السماء كثيراً، وهي قابضة مرة،

وليس لها حمل ينتفع به، وهي تبقى طويلاً وتبعد الآفات عنها، فهي كالإنسان المصحح الجسم الذي لا يكاد يعرض له داء ولا ألم. وفيها منافع ولها خواص كثيرة، متى ذهبنا نتقصّ ذكرها طال ذلك جداً.

فمنها إنه إن دُخّن بورقها وأطرافها الغضة المجففة دار فيها خفاش هربن عنها، وكذلك تهرب منها الخنافس. وكذلك يقتل بريحه الدود كله. وخاصة المتكون في البقول والبساتين، ولا يكاد يقربه أكثر الدبيب. (ص: ١٦٨ ـ ١٦٩).

وهي شجرة حارة قابضة نافعة من أدواء بالتضميد، فهو أكثر ما يستعمل، فأما بالأكل والشرب فلا يؤكل ولا يشرب منها شيء. وتسمى الشجرة الكلبة، والشجرة الصابرة. فأما معنى الكلبة فإنها إذا علقت بأرض نمت وطالت وبقيت دهراً، وأما الصابرة فلصبرها على الماء، فإنها مما لا يحتاج إلى سقي الماء. ولولا أنها مما يتخذه أهل أقليمنا حول البساتين، ما ذكرناها لا منفعه منها في غذاء إلا الانتفاع بخشبها، فإنه صلب جداً صابر لايكاد يُنجَرّ ولا يتقوس ولا يقع فيه قادح، ويصبر في الندى ولا يعفن إذا غرق في الأرض وفي أساس حايط أو مسناة على الماء، لأن الدلب أخو السرو والأثل والطرفا ونوع من هذه. (ص: ١٦٩).

وقد ذكر صغريث فيه خرافات كثيرة في معاني مختلفة لم أنقلها إلى كلامي هذا، لأنها شيء طويل فلم أعرض لها. وهي من الأشجار البرية، كذلك الأثل والطرفا والصنوبر والشمشار والسرو وشجرة أم غيلان والبطم والزعرور والشربين البري. وهو العرعر، والتنوب والبوقاش والأرز، وهو الصنوبر الذكر، والصفصاف، وهو الحور،

والقيقب والقطلب والقاراسيا والشوحط والزرنب والحواياثا والمحلب البري، والسنديان والباروطي والأنايا والشوكتا والسماجى والماداى والعرارى والدوتوات والخلنج والمشركاى، وما أشبه ذلك، فإن عددها يطول، فهي كلها مما تحب البر والتفرد والتوحش. (ص: ١٦٩).

وقد قال صغريث إن شجرة الجوز أصل لهذه الأشجار كلها، كأنه يعني أنها ولدت منها وتكونت عنها. وعدد أشجاراً كثيرة قابضة. بعضها حارة وبعضها باردة، فقال إن أصلها كلها شجرة الجوز والبلوط. وركب مع شجر الجوز والبلوط تركيب من أشجار كثيرة وأخبر أن تلك الأشجار حدثت وتكونت من تراكيب أشياء مع شجرة الجوز والبلوط مختلفة، إذا ركّبت حدثت بعد التركيب، ولعمري لقد أشفى من تركيب الكروم والأشجار شفاء بليغاً، لأنه كان من أهل بروشايا، وهو بلد الشجر، فلذلك فَقِهَ من عللها وأسبابها ما لم يعلمه غيره. (ص: ١٧٠).

الخيري (نبات الخيري والنساء):

وذكر أيضاً حول نبات الخيري:

وقد عرفه كما يلي: إن إقليم بابل في نهاية الموافقه للخيري، فلذلك ينجب فيه نجابة جيدة ويذكر ويطيب ريحه وهو أخو البنفسج، إلا أنه أغلظ وأخشن من البنفسج، وهو يشبهه في أكثر أموره وإفلاحه مثل إفلاحه. (ص: ١٢٧).

والخيري: وهو من المنابت التي إن لقطت ورده امرأة حايض فسد وذبل وذوى، لخاصية تناله من الحيض تفسده، فلا ينبغي أن تعمل به شيئاً من أعماله امرأة البتّة، حايض كانت أم غير حايض، بل ينبغي أن

يعالج أعماله كلها الرجال الذين أسنانهم (أعمارهم) فوق سن الصبيان. ويطرح برزه في الأرض الذي يطرحه، وهو طاهر نظيف بعيد العهد بملامسة النساء. وليُعالَج جميع أعماله وإفلاحه والقمر زايد في الضوء، وإن كان متصلاً بالسعود، جيد المكان في الفلك، كان أجود وأصلح. (ص: ١٢٧).

حشيشة فقطاريا:

تسمى شجرة العشق أو العاشق أو المعشوقة:

ويذكر أيضاً حول حشيشة تسمى فقطاريا، يرد ذكرها في صنع شراب من ورد البنفسج، حيث يقول: ومن أراد أن يتغذى من البنفسج شراباً كما يعمل الناس شراب البنفسج، فيكون إسهال وزن عشرة دراهم منه للطبع نحو العشرة مجالس. فيخرج عنه الصفراء أو خلط محترق، إن كان في بدنه، ونحن نصف منافع هذا الشراب عند ذكرنا عمله بعد ذكرنا لما يكسبه ذلك. فليأخذ من الحشيش الذي له لبن، إذا قطف ورقة أو قطع منه عود، وإن أخذ من هذا النوع الحشيشة المسماة فقطاريا فاستعملت كانت أبلغ ـ قال أبو بكر بن وحشية ـ هذه المسماة فقطاريا بالنبطية هي أحد الشبارم المسماة بالعربية اليتوعات، وهذه منها، هي التي ورقها مطاول مقداره نصف أصبع، ويحمل في رأسه بزر كأنه الشهدانج، أغبر إلى السواد، ويرتفع على ذراع ونصف، وهي التي يسميها أهل الحيرة والكوفة وما إلى ذلك الصقع من السواد وأهل بغداد أيضاً شجرة العشق، وربما سموها شجرة العشاق، أو المعشوقة، فأعلم ذلك. قالوا ـ .... (ص: ١١٩).

أما عن فائدته:

أنه يسهل: إسهالاً بسهولة بلا أذى ولا كرب ولا غير ذلك. وينبغي أن يعمل هذا بالبنفسج والقمر ناقص في الضوء. وذلك بعد امتلايه منه فاعرفوه. (ص: ١٢٠).

بادرنكبو (بقلة الحسد):

البقلة التي سببت في غزو الفرس وحسدهم عليها

هذه بقلة فارسية تسميها الفرس باذرنجبويه. وهي البقلة التي حكي عن رواسي ملك الملوك أنه نقم على الفرس حسداً منه لهم على الباذرنجبويه لأنه تعالج بها فأزالت عنه التوحش الذي كان ناله، حتى هام منه. قالوا فحسد الفرس على هذه البقلة فغزاهم فانصرف عنهم لم يغلبهم ولم يغلبوه. فقال الكردانيون: هذا إنما غزاهم حسداً منه لهم على الباذرنجبويه، لأنه لم يكن لهم إليه ذنب استحقوا به منه الغزو. (ص: ٧٩٩).

وذكر كتاب الفلاحة النبطية أهم خواصها ومنافعها وفوائدها منها:

- أن ورقها وبرزها صالحان لفم المعدة، مسكنان للخفقان السوادي والبلغمي والتوحش والتفزع ويذهبان الكابوس، مقويان للدماغ. وأهل بارما يأكلونها مع الرايب واللبن الشديد الحموضة، وأهل الأبلّة يأكلونها مع الخل، ويقطعونها ويلقونها في الخل ويصطبغون في الخل بعد يومين ثلثة، ويستشفون بهذا الخل من لهيب وحرقة يجدونه في حلوقهم. (ص: ٨٠).

- وهذه البقلة حريفة لذاعة للّسان والفم طيبة الرايحة طيبة الطعم نافعة لأدواء كثيرة مصلحة لمزاج المعدة وبرد الكبد، إذا أُدمن أكلها مع

الطعام، مطيبة للنفس. وقد قال صغريث أن البادرنكبو إذا ألقي بزره في الخمر صحيحاً طيّب طعمه، إذا عتّق معه، وأزال عنه كثيراً من حدته وأصلحه وأذهب عن صاحبه الخمار، وهذا الخمر إذا قطّع فيه من ورق الباردنكبو وقد تقدم فطُرح معه من بزره وعتّق فيه فإنه نافع من لسع الأفعى والحية والعقرب، قال وربما كان أنفع من الشليثا أو في مقدار بنفعة الشليثا، إذا شرب منه رطل بنصف رطل ماء.

وفيه منافع وفوائد أخرى ذكرها كتاب الفلاحة النبطية. (ص: ٨٠٠).

الكوهيان (الصغدية) هدية ملوك الصغد لملوك بابل:

هذه حشيشة تشبه الكراث في ورقه ومقدار كبره، إلا أنها أعرض قليلاً من ورق الكراث، وربما ينبت منها شيء أدق من ورق الكراث إذا كان نبته في قشف وقلة ري. ونبات هذه يكون كثيراً ببلاد الصغد، فلذلك سماها قدماؤنا الصغدية، لأن ملوك الصغد كانوا يهدونها إلى ملوك بابل في القديم، لما فيها من المنافع، وزعموا أن أكثر نباتها وأجوده يكون ببلد أشروسنة من جملة بلاد الصغد. (ص: ٨٠٥).

وذكر في كتاب الفلاحة النبطية منافع وفوائد هذه النبتة:

* تصلح المزاج إذا أدمن أكلها مدمن.
* أنها تصلح للمعدة وتجود هضمها.
* تقوي الظهر والمتن وتبعث على الجماع وتنشط الإنسان وتزيل عنه الضعف وتقويه على أفعاله كلها.
* تسر نفسه وتسخن أحشاء الإنسان تسخيناً معتدلاً.
* تصفي الدم وتعدل طبعه وتقوي كبد وطحال الإنسان. (ص: ٨٠٦).

يرقا قطرا (طاردة العقارب):

هذه بقلة فارسية نباتها في بلاد فارس وتنبت بناحية حلوان نباتاً قوياً تسميها الفرس كنهان. ورقها يشبه ورق الحبة الخضراء ورايحتها تشبه رايحة الحبة الخضراء ولونها وقوتها وأسخانها وحرارتها مثل الحبة الخضراء تزرع في وسط نيسان إلى آخر آيار... (ص: ٨٢٤).

ويذكر كتاب الفلاحة النبطية أن من عجائبها وخصائصها أنها:

وفيها خاصية لطرد العقارب عجيبة حتى أنه لا تكاد ترى عقرباً واحداً في الموضع الذي فيه هذه البقلة. وقد جربنا هذا: أنا أخذنا من ورقها شيئاً فجعلناه في طشت صفر وأخذنا ثلث عقارب فألقيناهن فوق الورق، فنفرت العقارب نفوراً عظيماً وجعل بعضهن ينهش بعض وتكاد أن يأكل بعضهن بعضاً، ثم كففن عن الحركة وذبلن فتركناهن مقدار ساعتين فتماوتن. وإذاً في قوتها قتل العقارب البتّة. وقد يدخلها الأطباء في الضمادات الساخنة. (ص: ٨٢٥).

يرقا كرسا (بقلة السحرة):

البقلة التي يحبّها السحرة:

وهذه قد تدخل في الأدوية ويتخذها الناس في البساتين للأكل مع البقول، وتسميها الفرس بلغتها مروماحور. وهو نبات فارسي يفلح إفلاحاً جيداً في بلاد فارس. وهو نوع من أنواع المرو، وذلك أن للفرس سبع منابت، هو أنواع المرو، فأحدها، وهو أنفعها وأجلها موقعاً، هذا المرو الذي نحن في ذكره، وهو مروماحور، وسماه قدماؤنا بقلة الجوف، أي هو أنفع المنابت للجوف وهي مما جلبها حينافا الملك

ليستشفي بها وليجمع معها من أصناف البقول ما لم يجتمع لغيره. (ص: ٨٢٥).

ويتلو هذا المرو هيلويه، وهو تال له في المنفعة للمعدة وغير ذلك، والثالث مرو أطوس، ولهم فيه خرافات وحماقات لا حاجة بنا إلى ذكرها لطولها، وإن كانوا عقلاء الأمم، والرابع مرو باسان، والخامس مرو ديان، والسادس مرو الهوم، والسابع مرو خايلان، وهذا أصغرها نباتاً وأقلها دخولاً في الأدوية. إلا أن السحرة يثابرون ويحرصون على جمعه وادخاره حرصاً عظيماً، ولا أعلم ما لهم فيه لشدة بغضي للسحر والسحرة، ولا أنظر في شيء من كتبهم ولا أتعرف شيئاً من علومهم. (ص: ٨٢٥).

وقد كنت مرة مع كتامي الساحر في هيكل المريخ يوم عيده الأكبر، فانفرد معي يسألني عن أشياء من المنابت، وكان قصده المسئلة عن المرو وأصنافه، وجعل يخفي ذلك عني جهده، وفطنت أن قصده من المسئلة عن المنابت إنما هو من أجل المرو، فطول في مسايلتي عن أصنافه وصفاته وقواه ومواضع منابته وكيف يفلح. ولخبثه ودهاه لم يخص واحداً منها بالمسئلة، بل كان يسأل عنها كلها واحداً واحداً. فحدست أن قصده في المسئلة عن مرو خايلان خاصة، ليعرف أمره كله. فأجبته من الأجوبة، على شدة بغضي له ولأشباهه، ولم أسأله عن معنى مسألته عن ذلك تبرماً بكلامه ومحبة مني لقصر مجالسته لي، ثم قامت الصلوة فقمنا إليها وفرقت بيننا. (ص: ٨٢٦).

البقلة اللينة (البقلة الحمقاء: قاطعة لشهوة النساء):

هذه تسميها الفرس بربين، ويسميها أهل بلد ماه قيورج، وتسميها العرب البقلة الحمقاء، قالوا لأنها تطلع أبداً في وسط مجرى الماء، ويسميها آخرون الفرفح والبقلة الباردة. وهي تزرع في آذار وتنشوا في استقبال الصيف، وتزرع بعد آذار مراراً في الصيف، مرة بعد أخرى... (ص: ٨٣٠).

وذكر كتاب الفلاحة النبطية من منافعها وفوائدها:

* بردها وقمعها ثايرة الدم والصفرا.
* تنفع في الأكل والتضميد.
* تسكن وجع الأضراس من الدم والصفرا.
* تقمع لهب المعدة الشديد وتقطع الحمى العارض من التعب والقيام بالشمس.
* تضمد بها العين الرمدة والهايجة من غير رمد سكنت من ذلك الاهتياج.
* وإذا ضمد بها الصدغين سكنت الصداع الشديد.
* وإذا ضمد بها جميع الأورام الحارة أطفتها.
* وقد تسكن حرقة البول ووجع المثانة بتلك اللزوجة الباردة التي فيها.
* تمنع سيلان الرطوبة إلى المعدة.
* وإذا ضمد بها أسفل الظهر شفت من وجع الكلى ومن اللدغ العارض فيها.

* وهي قاطعة لشهوة النساء حتى أنه يبلغ من قوتها في ذلك أنه أن جعل منها طاقات في فِراشِه وحوله، إذا بات، لم ير الاحتلام الكاين عن النوم، وكذلك تفعل إذا أكلت.

وهناك خصائص عجيبة في منافعها أخرى يذكرها كتاب الفلاحة النبطية، نكتفيها بتلك الواردة أعلاه. (ص: ٨٣١).

شجرة بريثا (الشجرة الطيبة):

التي تسكن النفس إلى ريحها

هذه شجرة قديمة في إقليم بابل، إلا أن الناس يتحدثون أنها مما جلبه آدم عليه السلام من نواحي المشرق، لما خرج من إقليم بابل إلى هناك ثم عاد ومعه أشياء يطرف بها أهل بلاده. وجلب معه بزر هذه الشجرة وزرعها فجاءت. وكان معه بزر آخر لشجرة تشبه هذه سماها أنثى وسمَّى تلك الذكر. (ص: ١٢٣٦).

فصفة الذكر أنها شجرة حسنة طيبة الريح، ورقها مدور صلب غليظ على صورة...، على أغصانها، وورقها زغب كثير منتسج، لونه أصفر، وتحمل ورداً أحمر شديد الحمرة يشبه ورد الرمان، لأنه كشكل الكاس وهيئته، يطلع منه ورد شديد الحمرة، وليس تطول كثيراً بل تذهب كقامة الرجل، لا تزيد على ذلك شيئاً.

وأما الأنثى، فإنها تشبهها، إلا أن ورقها ألطف قليلاً على صورة ورق الذكر سواء، وعليها الزغب مثل تلك، وطولها كطول تلك، إلا أنها تورد ورداً أبيض شديد البياض. والشجرتان جميعاً طيبتي الريح، وخاصة زهرهما، فإنه أطيب ريحاً حتى أنه إذا عمل منه مشمّة وتعاهد

الإنسان شمها وجدها طيبة تسكن النفس إلى ريحها.(ص: ١٢٣٦ ـ ١٢٣٧).

* ومما ذكره صاحب الفلاحة النبطية في ذكر هاتين الشجرتين من مواضيع غاية في الأهمية وما دار من جدل سوف نورده كاملاً لأهميته حول: **النبوة ومراتبها وطبيعة الوحي وما إليه.** (ص: ١٢٣٦ ـ ١٢٤٦).

*** بين تأليه آدم وأنسنته:**

وهاتين الشجرتين ما ذكرهما أدمى في كتابه، وإنما حكى ذلك عن مآسي السوراني. وقد صدق ماسي في حكايته، لكن لم يقع ذلك إلينا في كتاب آدم، أظنه لطول عهد أدمى إلى زماننا هذا... وقد سمعت أيضاً شرح أمر هاتين الشجرتين من بعض شيوخنا، أرباب الضياع، إلا أني لم أدر أن يكون هذا الشيخ وقع إليه صفة هاتين الشجرتين من قول ماسي السوراني. (ص: ١٢٣٧).

رأى آدم وأدركه، إلا أن آدم عليه السلام توفي ولماسي عشرين سنة وأقل. وقد يجوز أن يكون سمع ذلك لفظاً من آدم، حكاه آدم كما كان يحكي ويصف هذه الأشياء، فحفظه ماسي فدونه في كتابه في الفلاحة. وأغفل آدم ذكره في كتابه، فلم يعرض له لسبب لا أعلمه، لأن مثل آدم في عِظَم مقداره من العقل والفهم، لا يجوز أن نقول إنّهُ غفل ولا نسي، وإنْ كان أنوخا قد حكى عنه أنه كان كثير النسيان والغفلات. لكن ليس موضعنا نحن كموضع أنوخا، فيجوز لنا أن نقول كما قال، فإنه استشهد على صحة قوله في نسيان آدم بحديثه حين دخل إقليم الشمس. ولم يرد أنوخا بذلك الطعن على آدم، بل أراد به رداً على من ادّعى له

من أنه كان يعلم الغيوب، وإن القمر عني به حتى بلغ من عنايته به إذهاب الغلط والخطأ والسهو عنه، حتى قالوا إنه كان لا يخطى ولا يغلط ولا ينسى، وإن القمر أوحى إليه بعلم كلما غاب عنه وعن غيره من أبناء البشر، فصار بذلك يعلم الغيب. فأراد أنوخا عليه السلام أن يكذب قول هؤلاء واعتقادهم الردي في آدم، فقال إن آدم كان أنسى الناس جملة، لأن أنوخا أراد المبالغة في هذا المعنى، فلم يحكم على آدم أنه كساير الناس، ولا أنه كان كأسلافه، بل حكم عليه أنه كان أنسى الناس كلهم جملة. (ص: ١٢٣٨).

وقد صدق أنوخا في ذلك وكذب المدعون لآدم ما ادّعوا له. ومن الجهل العظيم أن ندفع قول أنوخا وهو نبي ومن نسل آدم فلا نقبله. ونقبل قول قوم جهّال كذابين ليسو من ولد آدم، لأن آدم كثر نسله جداً وبورك فيه. فالكنعانيون والكسدانيون والحسدانيون والسورانيون كلهم من نسله، فلم يكف هؤلاء الجهال أن يكذبوا لآدم بما لم يرده لو كان حياً منهم، لأنه كان أجل من أن يريد المحال والكذب وأن يمدح بهما، حتى اجترؤوا وأطرحوا قول أنوخا وقالوا نحن أحق بآدم أن نمدحه بفضيلته وأنوخا يرد فضيلته. وليس هذه البلية بهم وحدهم بلي الناس بها منهم، بل بلى الناس بهم ومنهم كثير. وذلك أنهم أرادوا إعظام آدم فوضعوا منه عمى قلوب منهم وتخلف. إذ جعلو بشرياً من الناس أرفع مرتبة من الآلهة العظمى. (ص: ١٢٣٨).

*** الآلهة لا تعلم الغيب فكيف تجوز للبشر:**

وذاك أنكم تعلمون أن الكسدانيين قد أجمعوا على أن بعض الآلهة لا يعلم عمل بعض على الإحاطة، فإذا كانت الآلهة لا تعلم هذا، وهو

سبب حدوث ما يحدث، فإنها لا تعلم الغيب، فكيف يجوز أن يُحكم أن رجلاً من أبناء البشر يعلم الغيب؟ هذا عين المحال. وذاك أن الغيب هو ما يحدث في الأوقات الآتية من الزمان. فعلم الغيب هو علم ما يكون وقتاً بعد وقت. وإذا كان كون هذه الأمور الحادثة وقتاً بعد وقت إنما ينبعث عن أفعال فاعل مختار قادر، وكان ذلك الحي الفاعل القادر يفعل تلك الأشياء بحسب إيجاب أسباب ما يعلمها هو، وكنا نحن، معاشر أبناء البشر، لا نعلم تلك الأسباب الموجبة للأفعال، لم يَجُزْ ولم يمكن أن نعلم ما يكون البتة على وجهٍ ولا سببٍ لجهلنا بتلك الأسباب الموجبة للأفعال، وأيضاً لجهلنا بتركيب الأشياء من الأجسام والأعراض والصور وما توجبه الأفعال العرضية للأشياء كلّها على كثرتها، فإنها لا تضبط لعقل ولا يدركها فهم من جهة كثرتها، فهي إذاً مجهولة. (ص: ١٢٣٩).

فهذان وجهان يدلان على جهل أبناء البشر كلهم بعلم ما يحدث من أحوال الأجسام المركبة، وتلك الأحوال هي المسماة الجزئيات. وإذا كان حكمُ الكليات حكمَ الجزيئات في التركيب والكثرة، لم يَجُزْ لنا أن نعلم، معشر أنباء البشر الجزئيات ولا الكليات، وإذا كان هذا هكذا لم نعلم شيئاً مما يحدث ويتكون في المستقبل من الزمان، لا من جزئياته ولا من كلياته. (ص: ١٢٣٩).

* مرتبة علم الكاهن بالغيب:

فإن قال أتباع إيشيثا الذين ادّعوا لآدم هذه الدعاوي الباطلة أنّ الكاهن يخبر بشيء مما يكون فيصح كقوله، ونرى الإنسان يستدل من مواقع النجوم وحركاتها ومعاريضها في دوايرها على أشياء مما سميتها غيوباً، فيكون كما قال، فلولا أن لبعض أبناء البشر أن يعلم الغيب ما

كان ما قلنا نراه عياناً، أجبناهم بأن نقول إن الكاهن أعطته الكواكب ذلك وتركَّبَ في طبعه من حركاتها وقت مبدأ كونه واتفاق مواضعها ذلك الوقت، ما صار فيه كالطبع المغروس في الإنسان، مما لا يمكنه الانفكاك منه، فهو يخبر عن طبع فيه كان باتفاق. وليس ما يخبر به الكاهن على الإحاطة والتحديد في مبتداه وعاقبته. وإذا كان هذا هكذا فليس يُخبِر الكاهن بعلم الغيب، وإنما يخبر ببعض ما يكون لا بكله، ونقول إن إخباره لشيء يشبه علم الغيب، وأيضاً فربما، وكثيراً يكون ذلك، أنّه لا يكون ما أخبر به كما أخبر بل يجري بخلافه، إما بالشيء يشبهه يكون وإذا حدث ما يشبهه فليس هو هو، وإذا لم يكن هو هو، فما أخبرُ الكاهن بما يكون على الحقيقة، وإمّا أن يكون الذي حدث غير ما أخبر به البتة، وهذا أبين من الأوّل، أنّه ما أخبَرَ بما يكون (ص: ١٢٣٩ ـ ١٢٤٠).

وإذا كان هذا هكذا فما عَلِمَ الكاهن الغيبَ. وأما المُستَدلُّ من حركات الكواكب أو من غير الكواكب فيُخْبِرُ منه بما يكون. فإن الكاهن المطبوع الذي يؤدي ما هو مغروس في طبعه، إذا كان لا يعلم الغيب على ما قلنا، كان المستدِلّ الذي لا يشك أحد أنه يخطئ أكثر مما يصيب أو يخطى ويصيب ولا نقول يخطي أكثر، لأن هذه حال المستدل، أولى وأخرى، أنْ لا يسمى ما أخبَرَ به بالغيب. وإذ هذا هكذا، فعلم الغيب ليس لأحد من أبناء البشر ولا غيرهم إليه سبيل ولا يعلمه أحد. (ص: ١٢٤٠).

* القمر لا يعلم الغيب ولا يوحي لأحد من البشر:

فإن قالوا إن القمر كان يوحي إلى آدم وقتاً بعد وقت بما يكون،

فيخبر به آدم من وحي إليه علمه إياه إلهه، لا أن ذلك من تلقاء نفسه. قلنا إنّا قد أخبرنا في صدر كلامنا في هذا أنه لا يجوز أن يكون القمر يعلم الغيب، لأنه لا يعلم أفعال غيره من الكواكب، ولا له طريق إلى ذلك ولا إلى غيره من الآلهة. وإذا كان هذا هكذا، فليس يمكن أن القمر يوحي إلى آدم بعلم ما هو كاين، لأنه لا يعلمه، لأن جميع ما يحدث في عالمنا هذا السفلي فهو كاين عن أفعال الكواكب بحركاتها، وهي دايمة الحركة، ولا يجوز أن يعلم بعضها كيفية حركات بعض، التي تنبعث عنها الأفعال. وإلا لو علم بعضها حركات بعض عَلِمَ ما يحدث عن تلك الحركات. وذاك أن الكواكب تقع أفعالها على أفعال قد تقدمت لها لكل واحد منها ولغيره قد كان تقدم، فوقع ثم يقع عليه بعده فعل آخر، فيكون الحادث شيء مركب من هذا الفعل الحادث عن ذلك الفعل المتقدِّم، فلا تدري الكواكب ولا الإنسان ما يكون من ذلك على هذه الصفة. وإذا كانت الآلهة لا تعلم هذا فكيف يعلمه الإنسان وكيف يتعلمه إنسان منها؟ هذا ما لا يكون ولا يجوز أن يكون. (ص: ١٢٤٠).

ولولا أن الكلام في علم الغيب قد طال حتى خرجنا به عن سنن كلامنا في الفلاحة لأخبرنا أنه لا يجوز أن يكون لبشري كمال حتى لا يخطى ولا يغفل ولا يسهو ولا ينسى، فإن هذا محال، وكنا نجد أدلة عدة واضحة معروفة ببداية العقول على صحة ذلك. وإذا ثبت هذا المحال أن يوصف به إنسان ويقول لهم: اعلموا أن الآلهة تعلم الغيب وتدري ما يحدث في هذا العالم، فمن الحكمة أن نسوي أبناء البشر، هم عبيدها، بها، فيوحى إلى بعضهم علم هو لهم، أعني الآلهة. هذا سفه وليس بحكمة، وقبل وبعد فهذا الوحي الذي تومون إليه ما هو؟ (ص: ١٢٤١).

* في طبيعة الوحي والجدال والصراع حوله:

فقد علمتم أن قدماء الكسدانيين وجميع الكنعانيين، قديماً وحديثاً، مجمعون على أنه لا يجوز أن يوحي إله إلى أحد من أبناء البشر. وهذا كان سبب العداوة بين طامثري وأنوخا، لأن أنوخا كان يقول إن القمر يوحي إليه في النوم وأنّ القمر أوحى إليه أنّ الإله إله واحد، واعترف القمر أن ذلك الواحد إلهه وإله كل شيء. وكان طامثري ينكر هذا عليه ويدفعه عنه. فكيف استجزتم أن تدعوا لآدم الوحي، ثم لم يكفيكم ذلك حتى ادعيتم لابنه إيشيثا الوحي الكثير المتتابع؟ وهذا هو المحال الصرف. اللهم إلا أن يقولوا إن القمر وضع في طبع آدم حكمة وفي طبع أيشيثا مثلها، ووفّر عقولهم ومنع المضادين للعقل، مثل الهوى والشهوة، أن يغمروا العقل بنزعة الشهوة واتّباع الهوى منهما، فَفُضِّلا بذلك على جميع أهل زمانهما. فإنكم لو قلتم هذا ما أنكرناه عليكم. فأما دعواكم في كتب أيشيثا أن القمر أوحاها إليه وأن فيها من الحكم ما يدل على ذلك وأنها معجزة له بذلك صريحة تدل على أنها من عند إله حكيم، فليس في ذلك دليل على أنها وحي لا محالة، لأنه قد يجوز أن يكون في إنسان حكمة تنبعث عن عقل وافر رصين، فيصنع كتباً يودعها من فضل حكمته ما يبهر بها عقول العقلاء. وأقول ما هو أوكد من كل ما قلته في الرد على أتباع أيشيثا، إن كتب آدم في أيدينا نقراها، ما قال في واحد منها: إن القمر أوحى إلي فيه بشيء البتة، وما نسمع الوحي لآدم إلا منكم، وكذلك مع أيشيثا، وإلا فأرونا أي موضع قال واحد منهما إن هذا الكتاب أوحاه القمر إلي. فآدم وأيشيثا على هذا مكذوب

عليهما، كذبتم في ذلك طلباً للرياسة والذكر واجتلاب المنافع وشهرة الأمر والنهي، ثم تقدّرون لنقصكم أنكم تدلّسون على العقلاء (كذبكم وخذيكم). (ص: ١٢٤١ ـ ١٢٤٢).

فإن قالوا إنكم دفعتمونا عن شيء أنكرتموه علينا واعترفتم بمثله، لأنكم أقررتم لدواناي وصردايا وأنوخا وغيرهم أنهم كانوا يوحى إليهم في النوم وأنكرتم علينا وحي المناجاة في اليقظة لأدمى وأبنه أيشيثا، ولا فرق بين هذين إلا النوم واليقظة، فأما من جهة الوحي فهما واحد في طريق العلم من قبلهما عن الإله الموحي إلى عبده ما يوحي. فإذا كنتم مقرين ومعترفين بوحي الآلهة في النوم إلى النفوس، لزمكم الاعتراف بالوحي في اليقظة على سبيل المناجاة. وإذا جاز أن يوحي إله على وجه ما من وجوه الوحي، جاز أن يوحي على جميع الوجوه الباقية، إذ ذلك واجب في حكمة الآلهة ولرحمتها عبيدها أن تفعل وحي المناجاة كما فعلت وحي الرؤيا في النوم. (ص: ١٢٤٢).

قلنا مجيبين إنا لم ندفع وحي المناجاة في اليقظة ونعترف به على طريق الرؤيا في النوم، إلا من حيث وجب ذلك أنتم تعلمون أن أقدم أخبار رجل من جملة النبط هي في أيدي الناس هي أخبار دواناي، وأول رجل بدأنا بحكمته وتعلمنا من علمه وفتح لنا أبواب المعرفة هو هذا الرجل. وقد أجمع أهل زمانه كلهم أنه كان يوحى إليه في النوم على طريق الرؤيا ويلهم في اليقظة على سبيل الخاطر، فسموا هذا الذي يجي من الخاطر إلهاماً. وأنه ما تأدى إلينا وإليكم أن أحداً أدعى له أنه أوحي إليه في اليقظة بمناجاة. وهذا دلالة على اعتراف أهل زمان دواناي بالوحي على طريق الرؤيا في النوم وعلى سبيل الإلهام في اليقظة

بالخواطر الفكرية لدواناي، ولم يذكروا الوجه الذي ادعيتموه أنتم لآدم وابن إيشيثا البتة ولا عرفوه. (ص: ١٢٤٢).

ودليل آخر: إنكم تعلمون أن أكثر النبط جملة، من كان منهم من نسل آدم ومن لم يكن من نسله، بل من نسل غيره، مجمعون على أن دواناي أفضل الناس جميعاً، فلذلك سموه سيد البشر، فلم نجد أحداً ممن كان بعده وضع حكمة في كتاب إلا أسند بعضها إلى دواناي وسماه سيد البشر، حتى آدم أيضاً فإنه يذكره في كتبه ويسميه سيد البشر. فإذا كان هذا الذي هو عند الناس سيد البشر وأفضل الناس، لم يوح إليه ولا ادعى هو ذلك ولا ادعاه له مدّع على سبيل المناجاة في اليقظة، وإمساك دواناي عن ادّعايه، وأهل زمانه معه دليل على أنهم رأوا أنه لا يجوز أن يكون لأحد ذلك. وكان أهل زمان دواناي أعقل منكم، معشر أتباع أيشيثا، فلم يدّعوا ما لم يعرفوا صحته لدواناي ولم يرفعوه فوق منزلته، لعلمهم أنهم إذا فعلوا ذلك وضعوا منه ولم يرفعوه، وإن مدحهم له بذلك يعود هجاء. وكانوا مع ذلك يتحرون قول الحق والصدق ويحرمون قول الكذب والزور، وأنتم بغير هذه الصفة. (ص: ١٢٤٢ - ١٢٤٣).

ثم إجماع الكسدانيين والكنعانيين بعد دهر طويل من مضي دواناي على بطلان وحي المناجاة في اليقظة، وأن الوحي بالنوم في الرؤيا وفي اليقظة إلهاماً هو الكاين من الآلهة لأبناء البشر لا غيرهما فقط. فأبطلنا نحن وحي المناجاة في اليقظة اتباعاً منا لهؤلاء الحكماء الذين ذكرناهم، وثبتت في قلوبنا حقيقة بهذا الإجماع وبالدليل الذي تقدم لنا في كلامنا في هذا الباب، فأحجمنا من الخوض فيما لا نعلم تحرياً منا لقول الحق والصدق.

وأقدمتم أنتم على الدعوى لهذين الرجلين بما نعلم أنهما لا يرضيان به منكم، فادّعيتم لهما أنهما كانا لا ينسيان ولا يغلطان ولا يسهوان، وأن القمر كان يوحي إليهما في اليقظة مناجاة. يناجيهما بكلام يسمعانه ويعيانه فهما ودراية. وهذا هو المُحال عندنا، وعند من مضى قبلنا من حكماء الكسدانيين والكنعانيين، فنحن متبعون لجمهور موافقون لهم، وأنتم مبتدعون مخالفون للإجماع. (ص: ١٢٤٣).

وهذا ماسي السوراني، وهو سلف لنا ولكم، وأحد حكماء الكسدانيين، وممن أدرك أدمى ورآه وتفقّه بكلامه، يقول عند ذكره لآدم وكلامه على ما أظهر من المعجزات بكتاب المقادير خاصة وبغيره عامة، إن أخذ الحكمة ليس يكون وقوعها لنفس واحد من أبناء البشر بنفس الحلقة ولا مبتدية له بوقوعها له، إلا في الفرط وكل دهر طويل، فهو كالشيء المعدوم لتباعد كونه وعسر وجوده. وقد رأى كثير من الحكماء أن ذلك معدوم أبداً لا يكون ولا يجوز كونه، وأن وقوع ذلك واستفادته لا يكون إلا بتوقيف أو من أحدها على وجهي الوحي المجمع عليهما، وأنه إذا أبتدأ إنسان بذلك فوقع له واقتناه تتابع عليه وقع الحكمة له فيزيد ويترقى من حال إلى أخرى، فانكشفت له، الأستار التي كانت ساترة وحايلة بينه وبين تلك الحكمة التي وقعت له بعده، فانظروا ما معنى قول ماسي على وجهي الوحي المجمع عليهما تجدوه كما قلنا. (ص: ١٢٤٣ ـ ١٢٤٤).

إن القدماء كلهم كان معلوم عندهم أن وصول الوحي من الآلهة إلى أبناء البشر لا يكون إلا بالوجهين الذين ذكرنا، وهما: الرؤيا في المنام والإلهام بالخواطر في اليقظة، فيخبر النبي عند ذلك بما يجد ويخبر عن

يقين منه بما سنح له في المنام وبما وقف عليه الخاطر في اليقظة. وقد كان عند ماسي وغيره من الحكماء الكسدانيين أن هذين الوجهين لا يكونان، أو أحدهما، إلا لمن تقدم له مقدمات من جهة طبعه موجبات لقبول ذلك. وأن أصحاب هذين الوجهين من الوحي هم المسمون أنبياء، وأن الكهّان منزلتهم دون هذه المنزلة. وقد يشاركون الأنبياء من وجه الإخبار بما يكون، فيصح منهما جميعاً ما يصح على الشرط الذي تقدم منا في ذلك وعلى تلك الصفة. (ص: ١٢٤٤).

وعندهم أيضاً أن الأنبياء هم الصحيحي العقول والتمييز الجيّدي السياسة العارفين بالمنافع والمضار معرفة ثاقبة. وأن الكهّان في الأكثر هم البله القليلي الرياضة بشيء من المعرفة، الكثيري الاستعمال والتتبع لأحوال الحس فقط، المدمني الخلوة، المواصلي الجوع الموحي والمستعملي الفقر والتوحد على دايم الأوقات ومرور الأيام. فهؤلاء قد يعرض لهم خيالات صحيحة صادقة، إذا أخبروا عنها كانت صحيحة حقاً، مثل الأنبياء إذا أخبروا عن الوحي كان ذلك صحيحاً حقاً كما أخبروا عنه. فالنبي والكاهن في هذا المعنى متساويان، وإنما يختلفان في أصل أحدهما ما أخذاه، وأن جهة النبي أصح وأمثل من جهة الكاهن.

وقد يلزم في هذين الرجلين، أعني النبي والكاهن جميعاً، أن يكونا صحيحي المزاج قريبين من الاعتدال في الطبع والجسم. فأما الاختلاف في النفسين وعوارضهما فما لا بد منه، لأنهما لا يكونان أبداً إلا ذوي نفسين مختلفتي العوارض، وذاك أن النبي أبداً حسن الخلق والكاهن أبداً سيء الخلق. وليس اختلافهما في الأخلاق فقط بل في أشياء كثيرة من عوارض النفس، فلابد لهما أن يكونا صحيحي المزاج سليمين من احتياج بعض الأخلاط، إما المرّتين أو البلغم أو الدم، فإن احتياج هذه

أو بعضها أو واحد منها أو فسادها يورث خيالات فاسدة باطلة كلها. فمتى أخبر الكاهن بشيء فأخلف فإن ذلك من جهة خيال الأخلاط، لأنه ربما كان ذلك له لكن لا يكون إلا في الفرط ليس دايماً، لأن خواطر النبي ومناجاته هي آثار الحكمة، وكذلك خيالات الكاهن آثار حكمة. (ص: ١٢٤٤ ـ ١٢٤٥).

فأمّا الوحي للذين يدّعون أنه يكون مناجاة في اليقظة فليس ذلك لأحد ولا يجوز أن يكون ولا يعطاه إنسان، لأنّا ما وجدناه حقاً لأحد، فأنتم أردتم الزيادة في مدح من مدحتموه فرقيتموه إلى مرتبة، ثم أضفتم إليه صفة هي محال وزور. والنبي لا يريد ولا يرتضي لنفسه أن يمدح بما ليس له. فأنتم، معشر أتباع إيشيثا، الواصفين له ولأبيه بما ليس لهما، أعدآهما جميعاً، لا أتباعهما المحقين. فاعلموا ذلك، واعلموا أن هاهنا قسم ثالث وصفة ثالثة لقوم آخرين هم غير الأنبياء وهم الحكماء المرتاضين بالحكمة والعلم والسابحين في ميادين العلوم الدقيقة، وهم المسمون الفلاسفة، الآخذين الحكم والعلم من ذوات نفوسهم وبالرياضة لا بطريق الوحي ولا التكهن. وهؤلاء عند قوم أفضل الثلاثة المسمين، وعند آخرين مساوين للأنبياء، ولولا أن يطول الكلام في هنا جداً، فنخرج عن الحد ونجوز المقدار لحكيت أقاويل يراها قوم من فضل الفلاسفة، أصحاب الرياضيات، على الأنبياء، وأقاويل من سوي بينهم وبين الأنبياء، وقول من جعلهم دون الأنبياء.

هنا مداخلة مهمة من قبل أبن وحشية النبطي مترجم كتاب الفلاحةالنبطية يدلي بها حيث يقول:

قال أبو بكر بن وحشية: قد ألفت في هذا المعنى كتاباً ضخماً

حكيت فيه من آراء من فضل الفلاسفة والفلسفة على النبوة ومن فضل النبوة عليها، ومن سوّى الكاهن بالنبي، ومن فضل النبي على الكاهن، ومن سوّى بينهما، وما حد النبوة وما حد الفلسفة وما حد الكهانة، لتكون التفرقة بينهم غير مشكلة على الناظر، ويثبت من هو من هؤلاء مستحق أن يسمى حكيماً، ومن ينبغي أن يسمى عالماً. واقتفيت في ذلك آثار القدماء من النبط بحسب ما تأدى إلي منهم وذكروه فيما وقع اليّ من كتبهم. وكنت اجتمع بجماعة من طوايف الصوفية، المتكلمين، العلماء، فألقي إليهم أشياء من أقاويل النبط فيخوضون فيها وتنتج خواطرهم أشياء جيدة في وقت وغير جيدة في وقت آخر، وألقي إليهم في جملة كلامي هذه الفروق بين من قدمت ذكرهم، وما حدهم وحدودهم، والفصول بينهم، فكان أكثر من أُفاوضه ذلك يتحيَّر وينزهل عقله، وبعض يخطر له فيهم شيء جيد، فيخبرني أكثرهم أوكلهم أن هذا المعنى ما فاض فيه متكلموا المسلمين قط وأنه شيء غريب ظريف. (ص: ١٢٤٥).

تعقيب:

في الأصل ما حكايته: قد ترك الناسخ لهذا ها هنا فصلاً طويلاً من كلام أبن وحشية، وذكر أن الشيشي قال له: لا تكتبه لي فإنه ليس فيه شيء من الفلاحة، زعم. قال تركته لقوله. وهو كلام فيه ذكر النبط وغيرهم وليس فيه لشيء من الفلاحة ذكر. فإن أراده سيدنا أمر بنسخه، فإنه يدخل في مقدار عشرة أوراق من هذا الورق. وهكذا وجدت فنقلته. (ص: ١٢٤٦).

شجرة القراسيا (القراصيا) (الشجرة الكنعانية):

هذه شجرة عريضة تمر عرضاً ولا تعلو كثيراً، نباتها فيه بطوء. وهي شجرة زعرة ورقها في نحو ورق المشمش، حملها في قد الغبيرا وعلى شكله، لون ظاهره أغبر، وربما كان منه شيء مدور شديد التدوير، لونه أغبر إلى الحمرة، وهو أول ما يظهر في شجرته، مر الطعم، فإذا أدرك ونضج خفت مرارته وصلح وطاب للأكل. وزعموا أن هذه الشجرة كانت قديماً تنسب إلى الكنعانيين. فيقال: هذه الشجرة الكنعانية، لأن أصل كونها ونباتها إنما كان على الأردن، وأنها من هناك تفرقت في البلدان. وقد حولت إلى إقليم بابل فجآت مجياً حسناً. (ص: ١١٩٩).

والكنعانيون يجمعون حمل القراصيا ويلقونه في قدر نحاس كبيرة ويصبون عليه ماء كثيراً عذباً ويلقون عليه عسلاً ويطبخونه بنار رقيقة مدة حتى ينفد الماء، ويأخذ القراصيا حلاوة العسل كله. ويخرجونه من تلك القدر ويبسطونه على أرض حجارة نظيفة حتى يصفقه الريح، فيقب من نداوة ذلك الطبخ، ويقلبونه في النهار والليل أربع مرار، ثم يأكلونه. وهو حلو جيد الحلاوة بحسب ما ألقوا فيه من العسل في الكثرة والقلة.

وقد كان رجل حكيم من الكنعانيين جآنا إلى إقليم بابل، وكان عمله الفلاحة، وكنا نتحدث معه ونخوض في أحاديث المنابت والشجر، فأخبرنا أن الكنعانيين كانوا في دهرهم يطبخون القراصيا بالماء والعسل لتحلو. قال ويحتاج أن يرّش عليه، قبل صب الماء عليه، قبل صب الماء عليه وقبل العسل، الخل الحامض ويقلب في القدر ليتلوث كله بالخل. ثم يصب عليه العسل، ثم يسكب عليه الماء. قال فإن الخل يدخل العسل مع الماء إلى داخل ثمرة القراسيا، فيكون أكثر لحلاوتها. ومثل هذا العمل

بكثير من الثمار الغير حلوة، مما له في طبعه أن يقبل الحلاوة، حلا ليصير جيد الحلاوة، والعمل في هذا وما أشبهه يعمل بالقياس والتشبيه لشيء بشيء ويجرب، فإن التجارب هي التي علمتنا أكثر ما نعمل. وبالقياس أدرك الناس واستخرجوا ما استخرجوا وجربوا ما أراهم الفكر، فوجدوا أكثره صحيحاً، فدوّنوه لمن بعدهم وزاد من أتى من بعدهم عليه زيادة بقياسهم وفكرهم، فاجتمعت العلوم هكذا. (ص: ١٢٠٠).

شجرة عوشنار (الشجرة القبيحة المنظر أو معينة السحرة):

هذه شجرة أكبر من شجر العليق طولاً وأعرض عرضاً وأغلظ خشباً وأغصاناً، تنبت لنفسها في بلاد الشام من تتابع الأمطار. ولها شوك كبير وورق أعرض من ورق الآس، إلا أنه على صورته، والورق فيها قليل متفرق، إذا فركت الورقة وشممتها فاح منها رايحة الزيت. لها ثمرة في قدّ نوى الزيتون وعلى صورته. لون ظاهره أسود تشوبه خضرة، وداخله أصفر خفيف الصفرة. وهو صلب ما دام فجاً، وفجاجته تدوم منذ وقت طلوعه في هذه الشجرة إلى انقضاء الصيف. فأول ظهور هذه الثمرة في شجرتها منذ انتصاف أيار إلى أول حزيران، ثم لا يزال الحر ينضجها إلى نصف أيلول، فحينئذ تجتنى من هذه الشجرة، وفيها صلابة، فإن غمت في موضع دفي نضجت.

وهي قابضة يشوبها بها يسير من حلاوة. لها خاصية في حبس البول، وهي تصلح أن يأكل ثمرتها المشايخ الذين يبولون كثيراً، وغير المشايخ ممن يكثر بوله، وهي تحبس البطن. فإذا أُكلت مع العسل زال قبضها وحبسها وانقلبت محلّله لكن تحليلاً ضعيفاً.

وهي شجرة قبيحة المنظر تزعم السحرة أنها تدخل في أشياء من أعمالهم، فسموها لذلك المُعِينَة أي تعينهم على أعمالهم. (ص: ١٢٣٣).

شجرة اشتركوهى (معجبة الملك قيقالا وحكايته معها):

هذه شجرة برية اتخذها الناس في البساتين فجأت مجياً حسناً. وهي تعلو حتى تصير أطول من قامة الرجل. وزعموا أن الناس قد كانوا اتخذوها في البساتين قديماً. وورقها يشبه المشمش أو أصغر منه قليلاً، وتنتشر عرضاً حتى تعمل بدناً عريضاً. وتحمل حباً متبدداً منتشراً على أغصانها وعلى بدنها، طيب الرايحة، يسمى حبّ المحلب، والشجرة تدعى محلباً برياً. فإذا علقت في الأرض ولو باليسير نمت وتزايدت، فإذا نبتت فلن تكاد تعطب ولا تهرم، إلا أنْ ينالها عطش شديد تيبس منه شجرتها. (ص: ١٢٢٣).

وهذا الحب عطر طيب الريح. وقد يُدخله قوم في كثير من الطيب فيكون طيباً بليغ الطيب. وهو حار شديد الحرارة، وله شبه يشبهه، يسمى المحلب البستاني، إلا أن المسمى البري أحدّ رايحة وأطيب. وقد كان قيقالا الملك تعجبه هذه الشجرة ويستطيب رايحة حبها، واتخذها في بساتينه ومنتزهاته واتخذ حبها مخلوطاً بطيبه. وكان يعجبه المسماة البرية، لأنها أذكى ريحاً من البستانية. (ص: ١٢٢٣).

وقد يتخذ من حب البرية منها والبستانية دهن، يطبخ الدهن مع الحب فتخرج رايحة الحب في الدهن، فيخرج دهناً طيباً جداً. والحبتان جميعاً قد تطبخان مع الدهن أعني البرية والبستانية لأنهما جميعاً

دهنيين، والعطر من الحبة في دهنها. فأما الدهن الذي يطبخ به فإنه يكون من الزيت ومن دهن السمسم ودهن اللوز ودهن الجوز وغير هذا من الأدهان الرقيقة التي تقبل الطيب وتخرج قوى الأشياء الطيبة فيها. وربما طبخ في بعض هذه الأدهان مع حب المحلب الجوزبوا والسنبل والقرنفل، ويجعل فيها العود المطحون والمسك والعنبر والكافور. وتطبخ هذه العطريات مع حب البان في الدهن، وربما في موضع واحد وربما في أوقات مختلفة، أي أنه يطبخ ببعض هذه العطرة بعد بعض لتظهر رايحتها في الدهن جيداً. وهذه المطبوخة واحد الأدهان منها ما يُرَضُّ ويطبخ في الدهن ومنها ما يسحق، ومنها ما يدق دقاً جريشاً، بين المسحوق والمرضوض. فيخرج الدهن طيباً جداً. (ص: ١٢٢٤).

فلما رأى قيقالا الملك أن البري منه أذكى ريحاً، اتخذه دون البستاني. وكان يطبخ له، مع حب المحلب المدقوق، السنبل والقرنفل والمسك والعنبر، فيجي طيباً جداً، فيتطيب منه دايماً. وكان يوافقه لأن دماغه كان برد برداً شديداً فكان يتعالج بشم هذا الدهن ويتطيب به، فيشم ريحه دايماً. (ص: ١٢٢٤).

شجرة المرّ:

تسمى: لذة الأصنام أو راضية الزهرة أو سمرنا أو مانعة الوباء:

هذه شجرة عربية ذات شوك، وإنما قلنا إنها عربية، لأن نباتها في بلادهم أجود وأوسم مما ينبت منها في جميع الأرض. وأهل طيزناباذ والحربا والعذيبا يسمونه سمرنا. وهي شجرة فيها رطوبة ظاهرة كثيرة، يراها الرائي. فالعرب يشرطونها فيسيل منها رطوبة كثيرة تجمد، وربما

على الشجرة وربما إذا وقعت منها، فهم يبسطون تحتها شيئاً تجتمع تلك الرطوبة عليه وتجمد، فيجمعونها إذا انعقدت. وهي سريعة الجمود والانعقاد، إذا ذاقها ذايق لدغت لسانه وفاه. لونه أسود يضرب إلى الخضرة وأزرق، وإذا بقي أسود حتى يصير كأنه محترق، فأجوده وأصفاه وأشده لذعاً وأكثره بريقاً وشفيفاً. وهو طيب الريح، إذا شم وإذا دخن به على النار. وقد يدخله العطارون في أخلاط الطبيب والأطباء في الأدوية والمعجونات. (ص: ١٢٥٦).

وهو حار شديد الأسخان، فما سال من هذه الرطوبات على شجرتها بلا شرط فهو أطيب ريحاً وأنفع في الاستعمال وأصفى وأجود، وما خرج بالشرط والاستدعاء فهو أكدر وأنقص ريحاً. والجميع قريب بعضه من بعض. وورق هذه الشجرة إذا فرك وشم فاحت منه رايحة الصمغة الخارجة من شجرته، ثم إذا بقي وقتاً بطلت الرايحة عنه. وخشبها يدخنه قوم في الهياكل ويقولون إنه يمنع الوباء عند فساد الهواء. وبعض يخلط مع خشبه شيئاً من هذه الصمغة الكاينة منه ويدخن بهما جميعاً. وبعض يخلط معها الكندر والأشنة ويتبخر بالجميع، ويسمون هذه الدخنة المركبة من صمغ شجرة المر وخشبها والكندر والأشنة والميعة سفرفوادمشا، معناه بالعربية «لذة الأصنام». ويقول الكنعانيون إن هذه الدخنة ترضي الزهرة ويتقرب بأحراقها إلى الزهرة. فمن أراد أن يتلو عزايم الزهرة قدام صنمها فليقدم تدخين هذه الدخنة ويزمّر ويطبّل أو يضرب بالعود ساعة، يعزّم على الزهرة فيما يريد أن يسألها، فإنها تستجيب دعاه وتعمل له ما يريد. ولكن ذلك يكون إذا كانت مخلاّة وفعلها. لا يعوقها عايق من الكواكب عنه ولا تكون تنظر من عطارد ولا

مقارنة له، فإنه أشد تعويقاً لها، إذا قارنها من النظر إليها. (ص: ١٢٥٦).

قال صغريث فإن أضيف إلى هذه الدخنة شيء من شعر الزعفران والقسط كانت أكمل وأنجح في قضاء الحاجة. ولم يضف ذلك إليها الكنعانيون ولا ذكروه ولا يستعملونه إلى زماننا هذا. على أن إعظام الكنعانيين للمشتري أكثر ودعاؤهم له أدوم وتعظيمهم له على غيره من الكواكب أصوب فيما يرون. وهذا الخلف بيننا وبينهم وليس يعد خلفاً ولا افتراقاً ولا شقاقاً بل هو كله صواب، قد كشفت صوابه التجربة أن ما يعمله الكسدانيون صواب وما يعمله الكنعانيون صواب أيضاً، لأنه يظهر لنا بعقبهما جميعاً ما نريد ونلتمس. وهذا أصح دليل على صواب الرأيين جميعاً. (ص: ١٢٥٧).

شجرة اللّاذن (شجرة التحاسد بين الجرامقة والكسدانيين):

سمّى أهل باجرما هذه الشجرة (الدقوقية) وسماها الجرامقة (ناشرما)، حسداً ومضادة للكسدانيين لأنهم من نسل آدم الذي سمى الأشياء كلها بما فيها هذه الشجرة التي أطلق عليها (باقرماعى).

وقد سمى أهل باجرما هذه الشجرة الدقوقية وتسميتها الجرامقة ناشرما، ويريدون بهذا الاسم معنى فيه مضادة للكسدانيين. ولم تزل الجرامقة مشهورين عند كل من يعرفهم بالحسد للكسدانيين وذاك أن الكسدانيين يسمونها باقرماعى. فإن قال قايل إن الكسدانيين بدؤا بالتعريض بالجرامقة، فإنه لا يصدق في هذا، لأن الجرامقة ليس من آدم والكسدانيين من نسله. ولغة الجرامقة وأسماؤهم لما سمّوا ينبغي أن

يكون قبل أسماء آدم الذي سمى كل شيء اسماً استأنفه ووضعه. فالجرامقة إذا لم يضادوا الكسدانيين، إنما ضادوا آدم (عليه السلام)، لأن آدم سمى هذه الشجرة باقرماعى، والناس مجمعون على أن ما رسمه آدم هو الحق والصواب وما رسمه غيره باطل. فالجرامقة من ولد الشابرقان الأول، وليس هو نظير آدم ولا عديله ولا مقاربه أيضاً. وليس هذا موضع تقصي الكلام في هذا فنتقصاه، فلنضرب عنه ولنعد إلى عمود كلامنا في الفلاحة، ثم وصف الشجر الغير مثمر (ص: ١٢٦٤ ـ ١٢٦٥).

شجرة العنّاب (شجرة صنم القمر الشافية من الأمراض):

ذكر صغريث أن أصل نبات العناب بإقليم بابل، أنها مجلوبة إليه من إقليم ماه من مدينة من مداين ذلك الإقليم تسمى روزبيا، وأن ما في جميع الأقاليم التي تنبت فيها هذه الشجرة أصولها كلها من روزبيا، فإن أصل نباتها هناك، إنما كان في زمان مسارف قاقا ـ قال ابن وحشية: هكذا وجدته ولست أدري ما معنى هذا الاسم ولا أي زمان ذلك ـ وإن رجلاً كان بهذه المدينة صديقاً، كان ملازماً لهيكل الأصنام بها، وإنه كان يكثر لتقرب والصوم والاجتهاد في التعبد للقمر خاصة، قال وكان القمر راض عنه، معني به خصوصاً له، فأصاب هذا الرجل ماشرا عظيم، والماشرا ربما كان مقدمة الطاعون، لأن حدوثه من دم يخالطه صفراً ورطوبة حادة. ففُصد ذلك الرجل من يديه وحجم ساقيه وقدميه إلى الناحية التي خرج منها الدم، فاستكن ثقل الدم في أطرافه، فزَمِنَ فكان لا يقدر تحريك يد ولا رجل، فاغتمّ لذلك، وكان الرجل فلاحاً، فأمر أن يحمل إلى الهيكل حتى ينزل القمر في برج السرطان والشمس

في برج الجوزاء، فكان أول ظهوره من الاستتار ببرج السرطان، فصام الرجل وطوى واجتهد في دعاء القمر باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وجعل يجتهد في القربان لصنم القمر ويجتهد بكثرة الدعاء والتضرع إليه. فبينما هو نايم إذ رأى في منامه صنم القمر الذي يعرفه بعينه كأن قد وقف عليه، فقال له: «إن إلهنا القمر قد قبل قربانك واستجاب دعوتك وموقع ذكرك باسمه، لكنك اجترأت عليه بذكرك ومسألتك له باسمه الأعظم. ولو لزمت التقرب إليه فقط لشفاك عاجلاً، لكن لما عدلت عن إتمام إعظامك له إلى الاجتراء عليه بذكر اسمه، عاقبك على ذلك بأن جعل شفاك من علتك بشيء تعمله من جهة صناعتك، يكون فيه شفاء لك ولغيرك ممن يهتاج عليه دمه كما اهتاج عليك، ولو لم تفعل ذلك لجعل شفاك من دواء لا تحتاج فيه إلى تعب، لكن أتعبك في دواك عقوبة وتكرُمةً واستجابَ لك رحمةً منه. فاعمدْ الآن إلى حجر الناكناني واختر منه الكمد الشديد الكمودة، ثم خذ وزن عشرة دراهم فاسحقها حتى تصير ذروراً، ثم خذ من نوى الزعرور ثلث نوايات صحاح مدورة، لا من النوى الذي يفترق فرقتين، فألقها في لبن حامض، وخذ من بزر الخس والخشخاش والبقلة اللينة اسحقهم ناعماً، من كل واحد وزن درهمين، ولخلطهم بالسحق جيداً، ولخلطهم مع العشرة دراهم الحجر الذي قد سحقته، وخذ الثلث نوايات بعد سبعة أيام مع ما تعلق بها من اللبن الحامض، فاجعلها على الذي سحقت من الأباريز والحجر، وخذ من تراب ضيعة فلان، وهي ضيعة من ضياع روزبيا، رطلين، فبلّه بالماء واخلط منه وزن عشرة دراهم بتلك الأدوية، واصنعْ منها ثلث بنادق، في وسط بندقة نواة من نوى الزعرور، فدوّرها بذلك الذي سحقت وخلطت به العشرة دراهم

تراب، ثم خذ البنادق الثلث فألحق كل واحدة منهم من ذلك الطين الذي وزنه رطلين، وجَوِّدْ تدويرها بيدي الصانع لذلك بين يديك تجويداً بعناية حتى يلحق الثلث بنادق بالرطلين الطين كما هي، واتركها بحيث تصفقها الرياح سبعة أيام، فإنها تجف جفافاً صالحاً، ثم خذها بعد ذلك فادفنها في وسط ثلج يكون تحتها منه مثل ما فوقها، واعرف الموضع الذي تدفنها فيه، فإذا ذاب الثلج وانحسر عن جميع المواضع فانظر إلى الموضع الذي دفنت فيه ذلك ما قد نبت فيه، فإنك ترى أنه قد نبت فيه شجرة تنمى وتكبر، فإنها في سنتها تلك تصير كقامتك. وأعلم أن دواك فيها وشفاك منها، من أكل حملها وتضميد يديك ورجليك بورقها. واعلمْ أنك ستحفظ جميع ما وصفته لك، ولا تنساه أبداً». (ص: ١١٩١ - ١١٩٣).

فانتبه الرجل فحمد إلهه وشكره وزاد في القربان لصنم البقر وعمل بما أمره به الصنم وعاش حتى تعالج من الشجرة، كما علمه الصنم، فبَرِئ وانطلقت يداه ورجلاه ووجد في ذلك الموضع قد نبت فيه شجرة العناب، هذه الشجرة المعروفة بعينها. وكان من أمره ما قدمنا ذكره من البرء وانطلاقه من الزمانة. (ص: ١١٩٣).

إلا أن ينبوشاد ذمّه وقال: هو ردي للمعدة وليس يغتذي البدن منه إلا بشيء يسير جداً. وهو عسر الانهضام، وليس فيه شفاء من سقم من الأسقام، واسترذله جداً. وقد مدحه آدم وقال إنه يسكن اللهيب في جميع البدن من جميع الخلطين الملتهبين، الدم والمرار، ويقمع حدة الدم والصفراء والخلط الأسود الممتد. وفيه تغرية وتلين خشونة الصدر ويبرد الأحشاء ويذهب بثايرة الدم. ويفعل هذه الأفعال إذا أكلت ثمرته

وإذا طبخ حتى تخرج قوّته في الماء وشرب ذلك الماء، وإذا نقع في ماء الحصرم أو ماء الرمان أياماً حتى يأخذ طعمها، ثم جفف وانتقل به بعد الشراب، لم يضر شاربه، وإن أكثر منه، ولم يعرض له صداع ولا خمار ولا تمطّ ولا تكسير. (ص: ١١٩٣).

قال قوثامي: وقد عمل الناس منه شراباً وكثر استعماله في زماننا هذا، فجاء منه شراب يطفي حرارة الدم، إلا أنّا جربنا أنه يقطع عن جماع النساء ويضعف ذلك العضو ويسكن تلك الشهوة. (ص: ١١٩٣).

وجربنا منه أيضاً في تسكين وجع الصدر ووجع الكلى، أنه يسكنها بقوة ويصلح الكلى، إذا أكل العناب أو أدمن شرب شرابه، أو أخذ من ورقه الغض فدقّ مع لحم ثمرته حتى يختلط ورش عليهما في الدق والخلط شيء من ماء الورد وضمد به أسفل الظهر وأديم ذلك، سكن أوجاع الكلي، وربما بلغ من قوته أن يسكن أوجاع المثانة. وهو يشد الطبع قليلاً ويكف انصباب المواد عن جميع البدن، وخاصة التي تنصب من احتداد الدم واهتياجه. وأظرف ما فيه أنه يقمع اهتياج الدم ولا يصفيه كما تصفي الخمرة، بل يعجز عن تصفيته، فاعلموا ذلك. (ص: ١١٩٤).

شجرة الرحامياهى (تزيد من سمنة النساء والرجال):

وقد ينبت في الأرض المختلطة الرخوة شجرة صغيرة يقال لها الرحامياهى، لها عروق تمتد منها بالقرب من وجه الأرض، ولا تغوص في جوف الأرض كما تغوص العروق. وتلك العروق بيض شديدة

البياض، لبعضها بصيص، وهي طيبة الطعم إن أكلها آكل بعد سلقها بالماء العذب مرتين. (ص: ١١٣٩).

وقد يزعم أهل اليمن أن هذه العروق إذ جففت ثم سحقت وخلطت بالخبز، وأكل أو بالفتيت وشربه النساء، فإنهن يسمنّ شديداً وتزيد أبدانهنّ وتصحّ ويشتهين كثرة الأكل، وكذلك يعمل مع الرجال إن أكلوه. (ص: ١١٣٩).

وأيضاً مما يذكر من أشجار: (علفثاتا: أظفار الصبيان) وشجرة ميسا.

وينبت فيما استرخى من الأرض أيضاً وكان مختلطاً برمل شجيرة مدورة الورق لطاف جداً كأنها أظفار الصبيان، تسميها النبط علفتاثا ويسميها قوم آخر مسيا، لها خضرة في أغصانها وورقها لا تفارقها تلك الخضرة وإن قلعت من منبتها وجففت ويبست. (ص: ١١٣٩).

وقد قدمنا القول إن كلما يتخذه الناس في البساتين والضياع والمزارع، ففي البر مثله، إلا أن آدم وحكماء بعده قالوا إنّا ننسب إلى البر كل شجرة ذات أشواك فنقول إنها برية، وإذ هذا هكذا فلنبتدي بعدد شجر البر ذوات الشوك، ثم نتبعه بغيره مما ينسب إلى البر. (ص: ١١٣٩).

شجرة الاهياهي:

في دفع ضرر الجدري والجرب ودفع وصرف وأبطال السحر عن البيوت وأهلها:

يقولون في شجرة الأهياهي إنه إن أخذ إنسان من خشبها فجرده من ورقة وتبخر به دفع عنه الجدري أو أصلح الجدري، وكذلك زعموا أنه

ينفع الجرب منفعة بليغة، يشفي منه إذا أديم التبخر به. ويزعم أهل اليمن أنه إن اقتلع إنسان منه أصل فروعه وعروقه وعلقه على باب بيت أو باب دار أنه يصرف عن ذلك البيت وتلك الدار سحراً، إن كان فيها قد دفن، وإن لم يكن ثمّ اتفق أنْ يُدفن هناك بعد تعليق هذا الأصل أو قبله، أبطل هذا الأصل ذلك السحر. وكذلك زعموا أن من أوقد من حطب هذا الشجرة وقوداً دايماً، سبعة أيام، أنه يصرف ضرر السحر عن المسحور. وهذه حكايات حكيت لنا عن العرب لا تعرف حقيقتها. وقد يجوز أن تكون حقاً كما قالوا. (ص:١١٣٩).

شجرة موطرسييت:

- **شجرة لها ذوائب كالشعر.**
- **تمكن من لدغ الأفاعي.**
- **لها عداوة مع شجرة الطرفا.**

هذه شجرة مثل الذوايب من الشعر، لأنها تطلع من هذه الشجرة دقاق وتلتف بعضها على بعض، وفيها رطوبة تدبّق الأصابع، إذا مسّها ماسّ، وكذلك جملة أغصان هذه الشجرة وخشبها، عليها رطوبة مدبقة، إلا أن على ورقها من ذلك أكثر وأشد دبقاً. وليس تعلو كثيراً بل بمقدار قامة الرجل المزيد القامة. وزعم قوم أن ورقها ذلك الملفوف، إذا أخذ منه إنسان لفة واحدة وجففها ثم زرعها في الأرض كما تزرع ساير الأشياء، أنبتت شجرة السبستان. وما جرَّبت هذا ولا أخبرني أحد أنه جربه. قالوا وإذا كسح من أغصانها شيء وغرس في الأرض كما تغرس ساير القضبان، ويخالف العمل في هذا بأن يدفن القضيب كما هو في

التراب ويسقى الماء، فزعموا أنه ينبت في ذلك الموضع، بعد نيف وأربعين يوماً الفطر الكبار الطيب المنساغ أكله. (ص: ١٢٥٠).

وقال رواهطا الطبيب إن ورق هذه الشجرة الذي قدمنا صفته، إذا ضمد به نهيش الأفاعي، نفع منه منفعة بليغة وطفى حره وأذهب حدته كلها وسكن الألم عن اللديغ. وزعموا أن هذه الشجرة بينها وبين شجرة الطرفا عداوة، وأنهما متى تقرب إحدهما من الأخرى لم تنشوا ولم تفلحا، وأيهما كانت أقوى في منبتها وتمكّنها بقيت وماتت الأخرى، والتي تبقى منها تكون ذاوية ضعيفة. (ص: ١٢٥٠).

شجرة ميلقاصوا (الشجرة مليحة المنظر، جالبة الحمل السريع للمرأة):

هذه جلبت إلى بابل من بلاد اليونانيين من وراء جبل اللكام، فنبتت فيه. وهي شجرة تعظم جداً، لها ورق كورق الحمص، وثمرة أكبر من الفلفل. لونه أزرق شديد التدوير، يوكل، طيب الطعم، يضرب إلى حلاوة يسيرة. وهو سليم من جميع الطعوم المكروهة. وإذا أكل فوق الطعام جَشَّأ وأمرى، وطيّب فم المعدة وأصلحها إذا أدمن. وفيه إمساك يسير للبطن. وقد اتخذت هذه الشجرة في مدينة بابل خاصة. فجاءت مجياً حسناً، لأنها شجرة مليحة المنظر، وثمرتها أول ما تطلع تكون خضراء إلى الصفرة. وشكله فيها حسن. ويقال إن ثمرة هذه الشجرة إذا لقط منها شيء في القمر، أي والقمر طالع، وسحقته المرأة وشربت منه وزن مثالين بخمر عتيق وجامعها الرجل حملت سريعاً، لا تكاد تخلف، وكان الحمل ذكراً. (ص: ١٢٣٤ ـ ١٢٣٥).

شجرة القيقب (شجرة العمارة والبناء وقاتلة الفار والبق):

أول ما نذكر من ذلك شجرة لا تفلح في أرض بابل، بل تفلح في بلاد الكنعانيين وتعظم وتعيش بالشام وفي بلاد اليونانيين تسمى القيقبا. هذه شجرة تعظم جداً وتكبر وتنتشر أغصانها، ومنها ورق كورق التفاح وخشب مثله وأشد تلززاً منه، صلبة جيد، تخرط منه الأقداح والمنابر التي توضع المصابيح عليها، ويُصنَع منها ألواح تدخل في أعمال البناء والعمارة، ويُصنَع منها أبواب للمنازل والبيوت. وذكر بعض الفلاحين أن نحاته خشبة إذا خلط بدقيق وأكله الفار مبلولاً بالماء أنه يقتلهن. وإذا بخّر به في موضع قتل البق. (ص: ١٢٤٦).

شجرة الشوحط:

شجرة يتبرك بها الكنعانيون ويتشائم منها العرب:

هذه شجرة حسنة المظهر، تعلو في الهواء كثيراً. ورقها أصغر من ورق التفاح، إلا أنه على صورته. خشبها مجزع منقوش بسواد في بياض، لا تثمر ولا تحمل شيئاً. يعمل من خشبها كما يعمل من خشب غيرها. وربما عمل منها نصب للسكاكين وغيرها مما يحتاج إلى نصاب.

وهي شجرة يتبرك بها الكنعانيون، إذ يرونها بالغدوات يقولون إنها تدل على السلامة. وقال لي قايل إن العرب يتشآمون بها ويقول بعضهم لبضع: «لا تنظر إليها ولا تستظل بها ولا تقطف منها ورقة، فإنها مشومة». (ص: ١٢٤٧).

شجرة الأثاب (غذاء أهل السودان):

وأيضاً من الشجر البرية، ماله مشابه في المنابت الصغار، شجرة تسمى الأثاب، ورقها كأنه الخوص. وقال ينبوشاد: وأخبرني الثقة أنها تنبت في بلد السودان فتعظم وتعلو في الهواء وتحمل مثل حمل النخل حملاً غير حلو ولا طيب، لكن السودان لقشف بلادهم وعدمهم الطيبات، يأكلون ثمرة هذا ويستطيبونه. وهي ثمرة فيها قبض وتجفيف، وهي إلى الأدوية أقرب منها إلى الأغذية. فهي تزيد السودان يبساً إلى يبسهم. ولها نبات يشبها، له ورق كالخوص، إلا أنها أقصر من ورق الأثاب يسمى الألاي، لا تحمل شيئاً، وهو والأثاب باقيان بقاء طويلاً. وهما مما ينبت لنفسه. (ص: ١١٥٦).

نبات القسور (نبات مشؤوم):

وهو: نبات صغير في قد النعنع وعلى هيئة ورقه وأصغر كثيراً، تسمّيه العرب القسور، تستعمله السحرة في أعمالهم في الفرقة والتباعد بين اثنين، ويقولون هو نبات مشؤوم، إن زرع في دار ضربها وإن اتخذ في بستان كذلك. والناس يتجنبون نقله من البر إلى الحضر لشؤمه. وهو مع ذلك نبات حسن الخضرة مليح الورق مدور، ريحه كريح النعنع ولا طعم له مع ذلك. ويقولون إنه إذا جعل تحت ثياب إنسان قد طال الجلوس في موضع واستثقله جلساؤه، إنه يقوم من ذلك المكان بسرعة. (ص: ١١٥٥).

(وقد قال) ينبوشاد إنْ حُوِّلَ هذا النبات كما تحوَّلَ ساير الأشياء المحوّلة غرساً، فغُرسَ ونبت في موضع غُرِسَ فيه، حَمَل جوزاً صغاراً

فيه شيء كنسج العنكبوت، فإنّ جميع ذلك وأصلح كما يصلح القطن وغُزِلَ ونسج كان منه ثوب عجيب في الحُسن والبصيص والنقاء وبُعد الاتساخ. قال إلا أنّ الناس يتشائمون به وبعمله فيمتنعون منه لذلك ولا يحوّلونه ولا يفلحونه، بل يهجرونه. (ص: ١١٥٦).

شجرة البندق (حكاية شجرة البندق والعقرب):

شجر هذا مما ينبت لنفسه أيضاً في الجبال أكثر ذلك، وفي البراري الصلبة الأرضين. وهو من الأشجار البرية لا المتخذة في البساتين، لكن الناس ربما نقلوه إلى البساتين واتخذوه فيها فأفلح وجاء مجياً جيداً. وهو مما يجوز أن يزرع حبه فينبت قليلاً، وفي الأكثر ينقل أصولاً بعروقها فيوضع. ويجب أن لا يوضع إلا في أرض مشاكلة لأراضي البراري في الصلابة والسلامة من الطعوم الردية والتخلخل والنز والعرق، فإن هذه الأرضين لا توافق البندق. وليس يحتاج تزبيل ولا إصلاح أكثر من التسبيخ في وقت تسبيخ الكروم خاصة، وكما يسبخ شجر الجوز واللوز، واللوز أكثر وهو يعظم وينتشر وينمى ويقوى. (ص: ١١٨٠).

العقرب والبندق:

ويقال إنه لا يكاد يأوي إلى شجرته حية ولا أفعى ولا عقرب ولا غير هذه من ذوات السموم. فأما العقارب فقد وقفنا على صحة هربها من شجرة البندق، وأما غيرها فما سمعنا به خبراً، وما وقفنا على صحته. وقد رأيت عياناً أن العقارب تتجنب وتبعد وتهرب من الإنسان الذي يأخذ في كفه منه، إما بندقة أو أكثر من واحدة، فإنه يفعل ذلك بالخاصية لا بالطبع. (ص: ١١٨٠).

تمر السابري:

حكاية تمر السابري تمر ليلة الميلاد:

وقد رأيت كباراً من أرباب الضياع والرؤساء والعمال يأكلون ذلك ليلة الميلاد ويستشعرون فيه ما يستشعره الأكرة والفلاحون، ويؤمنوا بكل ما يقال فيه وكل ما يلحق تاركه من تركه. وقد حدث أن بعض الرؤساء من أرباب الضياع الكبيرة ومن أهل الرحوتيا تقدم إلى وكيل له أن يأتيه بقوارصر من تمر السابري، فانشغل الوكيل وغفل صاحب الضياع إلى أن دخلت ليلة الميلاد، فقال له عياله ذلك اليوم الذي هو قبل ليلة الميلاد ويومه بيوم أو يومين، ضحى النهار، إن الوكيل لم يجينا بالتمر السابري ولا شيء منه إلى الآن، فاشتاط وجهه كيف لم يشترِ له منها قواصر وكتب إلى وكلايه في السواد الذي فيه الوكيل، وبالقبض عليه وضربه مايه عصا وحبسه شهراً عقوبة على تركه إنفاذ القواصر وفيها التمر السابري ونفاه من ضيعته. وليس يقدر أحد أن يكلم هؤلاء، أفلا تدلهم عقولهم، أن الناس من أهل هذا الإقليم، قبل وقوع هذا النبات إليهم وقبل أكلهم له كانوا يحمّون في الصيف كلهم وتكسّر أبدانهم قبل الصيف، لكن من يقدر أن ينطق بهذا أو يعارضهم فيه. (ص: ٥٤٠ ـ ٥٤١).

شجرتا النقداى والحمداني (الشجرتان المتحابتان):

وهناك شجرة تسمى النقداى تطول ولا عرض لها، وخشبها صلب تسمى الربة، مجتمعة كثيرة الأفنان والأغصان، تمر عرضاً أكثر مما تمر طولاً، وهي حطب يوقد خشبها. ولها شبيه يسمى الحمداني تنبت

بقربها، تحت كل واحدة منها صاحبتها، فإذا التقى الغصنان منهما تعانقا كالمتحابين من الناس. (ص: ١١٥٥).

الكرنب والسلجم (أعاجيب ظريفة عنهما):

وقال فيه ينبوشاد أن جميع أصناف الكرنب حارة يابسة مولدة للسودا والمرة والصفرا النضيجة، ومعنى النضيجة أنها متهيية أن تصير سودا وأنها تفسد الدم وتري أحلاماً مفزعة وتزيد في شهوة النساء.

وذكر فيه أعجوبة ظريفة وهي صحيحة: أنه إن خلط بزر الكرنب ببزر السلجم وبقي معه ثلثه أشهر ثم زرع خرج كله سلجماً. فإذا لقط بزر ذلك السلجم بعينه وزرع خرج كرنباً كله. وهذا جربناه فكان كذلك.

وأعجوبة أخرى: إنه إن أكل قصنبانه خاصة دون ورقه وبزره لم ير ذلك الآكل له مناماً يفزعه ولا حلماً يؤذيه، وإن أكل القضبان مع الورق رأى أحلاماً كثيرة مختلفة فيها رداءة. ومن خواصه الصحيحة أنه يبطئ بالسكر لشارب الخمر إذا أكل منه قليلاً قبل الشرب وربما لم يسكر البتة ولو شرب ما شرب. (ص: ٨٦٠).

الخروع (تعويج قرن أو عظم):

وجاء في كتاب الفلاحة النبطية:

ومتى أردت أن تسوي قرناً معوجاً من تعويجه أو تعوج عظماً من العاج أو غيره من العظام، فدق من حب الخروع شيئاً كثيراً، ورش عليه الماء الحارّ، وارمثه بيدك حتى يختلط، وزده من الماء الحار حتى يصير كغلظ العجين اللّين جداً، ألين ما يكون منه، ثم اطلي به القرن أو العاج

حتى لا ترى شيئاً ظاهراً من الذي طليته، ثم اتركه إما في شمس حارّة أو على نار ليّنة أو قريب من شمس حارة، إن أخذ في التحليل مما طليته عليه، أو قربه من سخونة نار يكون مقدار حماها مثل حرارة الشمس إذا كانت في برج الثور، فإنه يلين ذلك تليينا عجيباً وتبلغ ما تريد من تقويمه وتسويته كيف شئت. (ص: ١٥٣).

حكايات وعجائب وظرائف آدم البابلي

(ما رأى من أشجار ونباتات غريبة وعجيبة وظريفة خلال تطوافه ورحلاته الكثيرة في مشارق الأرض ومغاربها...).

فقد حكي في كتاب الفلاحة النبطية وفي مواقع مختلفة من الكتاب، عن علم آدم (أدمى البابلي) في علم الفلاحة والنبات والأشجار وما إليه، من خواصها، ومنافعها ومضارها، وتدبيرها، فقد روي أنه طاف أرجاء المعمورة، وطاف البلدان ليجلب لقومه المنابت والمحاصيل والثمر بمختلف أشكاله وأنواعه وفوائده وخواصه، ويزرعه في إقليم بابل، فكان نبي عمران زراعي بامتياز ونجد مادة غزيرة عنه في مواطن عديدة من الكتاب.

وقال صاحب كتاب الفلاحة النبطية عن آدم (أدمى البابلي):

وكان معه عجايب من النبات ومن المعدنيات آتى معه حين رجع من هناك إلى بلده وهو هذا الإقليم الذي هو إقليم بابل فكان يطوف جميع أربع المسكون كله، في مشرقه إلى مغربه طولاً، ومن يمنته إلى يسرته عرضاً، ولم تبق أعجوبة في بلد إلا وكان معه منها نموذج يريه الناس. (ص: ٤٠٠).

فإن قد كان معه من عجايب ما في المغرب أشياء كثيرة ومن عجايب

ما في نواحي اليمن ونواحي الشمال أشياء، متى أخذنا في تقديرها بحسب المروي لنا والمشهور عندنا طال جداً، فإنّه يدخل في هذا الكتاب كله. (ص: ٤٠٠).

آيات وبركات أدمى البابلي المبهرة في الفلاحة (العمران الزراعي):

فقد ذكر صاحب الفلاحة النبطية عن آدم البابلي:

ثم إنه كتب كتاباً عظيماً يخبر فيه عن أي شجرة أو بقلة أو حبة أو غير ذلك فقد من الأرض ولم يقدر أحد على بذره فيزرعه ولا أصل له فيغرسه، أن يأخذ أشياء فيجمعها ثم يدفنها في الأرض المزروعة ويسقيه الماء، فإنه يخرج له ذلك المعوز المفقود. فهذه دلالة أخرى له بينه على صدقه وإن ما أتى به ليس عن اختبار ولا تجربة بل عن تلقين ووحي من إله عالم محيط بالأشياء كلها علماً وقدرة. وهذا كتابه في هذا المعنى، فاقروه وجربوا ما فيه تجدوه صحيحاً. (ص: ٣٥٨).

صغريث شاعر الفلاحة يتحدث عن آدم البابلي:

إن أدمى قد حكى عنه صغريث أنه قال ذلك، لكن أتى به صغريث بكلام منغلق ليس يفهم معناه إلا من كان مثل صغريث. وذلك أنه ذكره في قصيدة طويلة فيها كلام من أقاصي غريب اللغة، حتى لا يكاد يفهمه إلا كلّ من هو في النهاية من المعرفة بالعربية (!) واللغة مثل معرفة صغريث، لأنه جعل كتابه في الفلاحة أبواباً، كل باب في قصيدة مقفاة من الوجهين، أوايلها كلها قافية واحدة وأواخر كل بيت قافية أخرى.

فذكر في هذه القصيدة التي فيها هذا الباب، وهو تعديد المنابت التي اختص بنباتها بلد دون بلد وبقعة من الأرض دون بقعة. (ص: ٣٥٢).

شجرة من ذهب:

وأتى معه بشجرة من ذهب نابتة نباتاً في إقليم الشمس، وقالو إنها تنبت فيما يلي خط الاستواء من إقليم الشمس، وقد اقتلعها أدمى كما هي بأغصانها وعروقها، وقالوا كان طولها أقل من قامة الرجل، قد أنبتها الشمس في إقليمه ذهباً أحمر، فأراها أهلَ زمانه ليعلموا أن ذلك شيئاً لم يروا مثله قط.

ونقل إلينا النَّقَلة والرواة أن نبات هذه الشجرة التي من ذهب أغصانها كانت أشبه شيء بنبات وأغصان شجرة الخطمي. وقالوا حتى كأنها في صورتها مثل أغصانها إلا أنه لا ورق لها ولا على شيء من أغصانها. (ص: ٤٠٠).

شجرة من حجر صلب:

وأتى معه بشجرة من حجارة بها أغصان من حجارة قد اقتلعها كما هي مع عروقها، خضراء كخضرة الآس، وهي حجر متسحجر صلب، وأخرى من حجارة كذلك، ولونها أحمر شديد الحمرة، إلا عروقها فإنها صفر. (ص: ٤٠٠).

حشيشة لشفاء الزكام:

وكان معه حشيشة إذا أبصر الإنسان إليها ساعة حمي وجهه وعيناه وسال من أنفه رطوبات كثيرة. وكان يجيء إليه المزكومون فينظرون إليها

فتسيل كل رطوبة من أنوفهم وكلّما في روسهم في ساعة من نهار وساعتين من نهار أو ثلث أو أربع على مقدار كثرة الفضل وقلته، ويقومون وقد صحّت روسهم وذهب الزكام عنهم (ص: ٤٠٠).

شجرة لا تحرق ورقها النار:

وأتى معه من أغصان وورق الشجرة التي لا تحرق ورقها النار، فكان يجعلها على الجمر وينفخ عليها بالكير حتى تصير بلون الجمر، ثم ينحّيها عن النار ويتركها هنيهة في الهواء فتذهب حمرة النار عنها، وترجع خضراء كما كان لونها قبل ذلك. (ص: ٤٠٠).

شجرة أغصانها تسعى كالحيات:

وكان معه أغصان شجرة تتحرك الأغصان إذا ألقيت على الأرض وتسعى كما تسعى الحيات، حتى يأخذها ويجمعها ويشدها بشداد منها فتسكن عن ذلك السعي.

وكان معه خشب من جنس العود الطيب الريح لا يحتاج الناس أن يتبخروا به على النار، بل يأخذ الإنسان منه مقدار ما وزنه ثلثه دراهم، فيشده في كمه أو يجعله في جيبه، فيطيب ريح ثيابه وريح بدنه حتى يكون في نهاية طيب الرايحة، كرايحة العود الطيب وأطيب من ذلك، وإذا ترك جماعة من الناس وهم جلوس في مجلس، قطعه منه بين أيديهم، طاب ريح ذلك المكان طيبة عجيبة. (ص: ٤٠٠ ـ ٤٠١).

حكايات أشجار ومنابت أخرى رآها آدم أثناء تطوافه في مشارق الأرض ومغاربها:

ـ شجرة أنهقاني (شجرة السُكْر والطرب والسرور):

وحكى عن أدمى أنه أخبر أن السبب في ذلك مسامتات بعض الكواكب لبقاع من الأرض بعينها، فينبت فيها ما لا ينبت من غيرها. وبدأ في تحديد هذه من المغرب، ثم صار إلى المشرق، فذكر في بلاد الأنكليش، ـ قال أحمد بن وحشية: الأنكليش هي الأندلس. رجع الكلام إلى قوثامي ـ في جزيرة منها في البحر الأخضر الذي ما سلكته سفينة قط ولا ركّب فيه أحد من الناس نباتاً ينبت في الربيع على صورة الجرجير البري، يسمى بلغة الكسدانيين أنهقاني، ويسمى بلغة بلاده أشكاطانش، ترعاه غنم تلك الجزيرة، وهو وقت نباته كثيراً، لأن الغنم تحب أكله وتستطيبه، فيحلب منه لبن، إذا أكله الناس بخبز يُثرَد في أو شربوا منه، فعل فيهم مثل الخمر من السُكْر والطرب وسرور النفس. واسم هذه الجزيرة قادس. وأن هذا اللبن إذا طلي به الجرب ثلث طليات أذهب به وأقلعه، وإن حُكّ وكُحّل به العين التي بها ظفرة أزالها. وعدد فيه غير هذه المنافع. قال ويختلف مقدار ما يُسكِرُ منه اختلافاً بحسب أحوال الناس في مقدار ما يسكرهم من الخمر من قليل وكثير. (ص: ٣٥٢ ـ ٣٥٣).

وإن أهل تلك الجزيرة لما علموا أن تلك الحشيشة إذا حال الصيف انقطع نباتها، فإنهم ربما ذخروا من هذه اللبن شيئاً يجففونه، بأن يخلطوا به دقيق الحنطة ويجمدونه فيجمد قطعاً فيأكلونه ـ فيه مزازة ـ في الصيف وباقي السنة إلى وقت نبات تلك الحشيشة. ويزعمون أن هذا يُسكِر أيضاً وأنه مع إسكاره يطفي الحرارة الثايرة بالناس المفرطة عن الطبيعة. (ص: ٣٥٢ ـ ٣٥٣).

ـ شجرة اليقظة:

وإنه ينبت في البلاد المجاورة للأندلس التي يقال لها سجلماثه شجيرة ترتفع على مقدار نصف قامة الإنسان أو أرجح قليلاً، ورقها كورق الغار. إذا عمل منها إنسان إكليلاً ولبسه على رأسه وقعد أو مشى أو عمل أعماله لم ينم أياماً ما، دام ذلك باقياً على رأسه، قال لا يناله من ضرر السهر وإضعافه للقوة ما ينال من السهر. (ص: ٣٥٣).

ـ شجرة تميت:

وإنّ في بلاد الإفرنجة شجرة إذا قعد الإنسان تحتها نصف ساعة من النهار مات، وإنها إن مسها ماس أو قطع غصناً أو ورقة أو هزّها مات. (ص: ٣٥٣).

وحكى آدم البابلي أيضاً من عجائب الأشجار والمنابت:

ـ شجرة أو نبات تسخين الماء:

أن في جزيرة الصقالبة نباتاً صغاراً في قدر بعض البقول، ورقه شبيه بالسذاب، إذا ألقي الأصل منه كما هو بورقه وأغصانه وأصله، بعد أن يغسل من التراب والطين الذي فيه، وألقي في الماء البارد ومكث فيه ساعة من النهار، سخن ذلك الماء سخونة كسخونة الموقد تحت النار، وكلما بقي فيه ذلك اشتدت سخونته حتى يصير إلى حال من الحرارة لا يمكن أن يُمَسّ، لأنه يشيط الأبدان، إذا أخرج ذلك الأصل منه وبقي وقتاً ما برد كما يبرد الماء إذا فقد النار. (ص: ٣٥٣).

ـ الشجرة اللطيفة (شجرة زيادة قوة الشهوة والباه):

وأنّ في بلاد رومية شجيرة لطيفة على شاطئ البحر هناك، ورقها مثل ورق الحمّص صغار صغار، وطولها مقدار ذراعين، يجمع من ورقها وأغصانها شيء فيدق ويعتصر ماؤه، وتجمد تلك العصارة، وتترك لتجف جيداً ثم يشرب منها وزن دانق ونصف بخمر عتيق، فإن شارب ذلك ينعظ إنعاظاً عظيماً ويجامع النساء ما أراد مجامعتهم، فلا يكل ولا يمل، وإنه لا يكاد يضعف ولا يضر به ذلك الإكثار من ذلك، إلا أن يكون نحيفاً قليل الدم، فإنه ينزل منه دم أحمر، فإذا رأى ذلك مستعمل هذا قطع الجماع بأن لا يأتيه، وإن أحب أن ينقطع عنه ذلك الإنعاظ فليقم في ماء بارد إلى نصف صدرة ساعة من الزمان، فإنّ تلك الشهوة تنصرف عنه. (ص: ٣٥٣).

ـ نبات لشفاء الحمى:

وإن في بلاد الروم بلدة يقال لها صفانطش، ينبت فيها نبات يرتفع من الأرض ذراعاً له ورق كورق السلق، طول الورقة منهن نحو ذراع، وليس لها ساق تقوم عليه بل تنبت الورقة منها على عود لها مقداره أربع أصابع، ويطول مثل ورق اللّفاح. إذا أخذ أصل هذا، وله أصل كبير مستدير إلى الطول، فقشر من قشوره وقطع وطبخ بماء وملح وأكله الذي بحمّ، أي حمّى كانت، أزالها إما بعد أكلة أو أكلتين أو ثلث. وإنه يشفي من حمى الدقّ خاصة بعد أكلات وطعمه فيه مرارة يسيرة يشوبها قبض يسير. قال ويتبخّر به المحموم بحمّى قال فإنها تنصرف عنه إذا أدمن هذا البخور دفعات. (ص: ٣٥٣ ـ ٣٥٤).

ـ حشيشة لشفاء البثورة والحصبة والحصف والدمامل:

وإن في بلادهم أيضاً حشيشاً يشبه الأفسنتين، إذا أخذ رطباً أو جافاً فطبخ بماء عذب طبخاً كثيراً حتى تخرج قوّته في الماء وخروجاً جيداً وطلى به على بدنه في الحمام به البثور التي لها روس حادة تشبه روس الإبر، توجع وتفرز وجعاً وغرزاناً شديداً، والذي به الحصبة والذي به الحصف والنار الفارسي والدماميل الصغار والنملة وما أشبه هذه البثور، أزالها وذهب بها، وإن صبّ الماء عليه صباً كان فعله أبلغ وأقرب شفاء. (ص: ٣٥٥).

ـ الشجرة المضيئة (شجرة القمر):

وإن في بلاد الباكيان شجرة تضيء بالليل كما يضي السراج، وإن الناس إذا سلكوا بقربها لم يحتاجوا إلى مصباح لكثرة انتشار الضوء منها، وأن ذلك الضوء ينتشر منها على مقدار كبرها وصغرها، فإن كانت كبيرة اتسع ضوؤها كثيراً، وإن صغرت كان الضوء قصيراً، سماها شجرة القمر.

وإن في بلاد الباكيان جزيرة في البحر مثل سرنديب وكَلَهَ والزبخ وما أشبهها من الجزاير الواسعة. وذكر أن هذه كلها وغيرها مما لم نذكره نحن هاهنا لا ينبت أحدها إلا في بلد زرع بعينه فإن بزرها أيضاً، إما لا تنبت البتة وإما أن ينبت ثم لا ينمى ولا يبقى وربما نمي وبقي لكنه لا يحمل حملة ولا تتم صورته على ما هو عليها في بلدة الذي ينبت فيه. (ص: ٣٥٥).

ـ شجرة الخفا:

واعلموا أن أدمى ذكر في جملة كتابة في هذا المعنى شجرة سماها شجرة الخفا، قال وأنها شجرة لا تظهر بالنهار لعين أحد، وإنما تظهر

بالليل ولا تظهر لأحد في أول الليل ساعتان، فإذا انفجر الصبح الأول خفيت أيضاً عن الناظر واللمس جميعاً، وإن هذا خصوص لها وهو أعجب خواصها وأولها. وعدد فيها من العجايب أفعالاً لها عظيمة ظريفة نافعة وضارة. وهو الصادق المصدوق في جميع ما قاله في حال شجرة الخفا وغيرها. (ص: ٣٥٧).

حكاية خادمة الزهرة:

العجوز خادمة الزهرة:

إذ كان ليلة نيسان فلا يبيت أحد من الناس رجل ولا امرأة ولا صبي، إلا وتحت رأسه ثلث كسر من خبز وأربع تمرات وسبع زبيبات وصريرة فيها ملح، فإن العجوز المسماة خادمة الزهرة تجيء في تلك الليلة فتطوف على جميع الناس، تجس أجوافهم وتفتش تحت مخادهم، فمن وجدت بطنه فارغاً وليس تحت رأسه تلك الكسر والتمر والزبيب ضيّقت رزقه تلك السنة ودعت الزهرة عليه وسألتها أن تمرضه إلى العام المقبل. فجميع أهل إقليم بابل يستعملون هذا، ولا يقصرون فيه، فلا أدري من أي شيء أعجب من هذا: من قولهم إن للزهرة خادمة عجوز أو من قولهم إن هذه العجوز تطوف تلك الليلة على جميع الناس أو من قولهم ضيقت رزقه تلك السنة؟. فلِمَ صارت هذه العجوز تملك تضييق أرزاق الناس أو سعتها؟ وهذه العجوز من أين جاءتنا وما هي؟ وهذه الأعجوبات كلها في أتباع إيشيثا لأنهم الأكثر والجمهور في إقليم بابل والجزيرة والشام وفيما قرب من إقليم بابل وجاوره من البلدان. فقد ظهرت شريعته على جميع الشرائع، وأظنها ستبقى هكذا على الدهر فاشِيَةً في جميع أجيال النبط وستبقى كما قلت أبداً. (ص: ٥٤١).

عجائب وغرائب التوليدات في الإنسان والحيوان:

ـ تكوين إنسان:

وكان توليدهم الحيوانات مثل توليدهم للمنابت، حتى إن عنكبوثا الساحر كوّن إنساناً ووصف في كتابه في التوليد كيف كونه وما الذي عمل حتى تم له كون ذلك الإنسان. إلا أنه اعترف أن الذي كونه لم يكن إنساناً تام النوع ولا كان يتكلم ويعقل. بل خرج مستوي الصورة تامها في أعضايه كلها، إلا أنه كالحاير الدهش لا ينطق ولا يعقل. وذلك أن تكون الحيوانات وخاصة الإنسان من بينها أصعب كثيراً من تكوين المنابت، لما يحتاج المكون لذلك أن يزداد في الأعمال التي لنا إدراك بعضها، وأكثرها لا ندركه، فلذلك عجزنا عن تكوين الحيوانات وخاصة الإنسان، فلم يمكنّا منها ما أمكننا في المنابت. (ص: ١٣١٨).

وعنكبوثا إنما أخذ تكوين الإنسان من كتاب أسرار الشمس الذي ذكر فيه أسقولوبيا، رسول الشمس، كيف كون الشمس الإنسان الكوني الذي هو غير المولود على العادة الجارية. وقد قرأنا هذا الكتاب ووقفنا منه على ذلك، إلا أننا نعجز عن عمل مثله ولم يعجز عنكبوثا عن ذلك، لما فيه من فضل الحذق بالأعمال الطلسمية والسحرية، لأن طريق التكوينات في المهنة مثل طريق عمل الطلسمات والسحر سواء. فمن اقتدر على عمل الطلسمات سهل عليه عمل التوليدات والتكوينات كلها، فتم له تكوين إنسان على ما وصف من أنه لم يكن يعقل ولا يتكلم ولا يغتذي، بل ذكر أنه احتال في بقايه مدة سنة، فإنه أوصل إلى

جسمه ما كان يقيمه سنة، فبقي بذلك. وهذا أيضاً مما نعجز نحن عنه وتم لعنكبوثا عمله، لفضل حكمته واقتداره على ما نعجز عنه، وهو الحيلة في تبقية ذلك الإنسان المكوَّن سنة. (ص: ١٣١٨).

إلا أنه أفادنا في ذلك الإنسان من خواص فيه ظريفة يعملها وتتكون منه لم يذكرها رسول الشمس في كتاب أسرار الشمس، وظرايف عجيبة ليس هذا موضع ذكرها. (ص: ١٣١٨).

ـ تكوين شاة:

وذكر أيضاً أنه كوّن شاة من المعزى وأنها خرجت بيضاء كلها وأن الحال فيها كما كانت الحال في الإنسان في أنها لم تكن تصوّت ولا تصيح ولا تأكل ولا تشرب. بل تري عينيها وتفتحها وقتاً وتغلقها وقتاً. وهكذا في الإنسان في باب تغميض العين وفتحها. (ص: ١٣١٨).

ـ طموح صبياثا الساحر في تكوين إنسان ومنع الملك له:

وقد رام بعده صبياثا تكوين إنسان ليعمل به تلك الخاصية التي فيه، فمنعه الملك في زمانه من ذلك وقال: «الناس الّي تعمل لهم طلسمات يتنفعون بها أحوج من أن تفني مدة زمانك فيما لا يعود نفعه عليهم كنفع الطلسمات لهم». فامتنع واشتغل بما أمره به الملك. وأنا أظن أن منع الملك له من ذلك لم يكن إلا على طريق السياسة والنظر لكافة الناس. لأن هذا الإنسان المكوّن وغيره من الحيوان قد يعمل بها أعمالاً مهوّسة للناس مدهشة لهم، فربما وقع فيهم من ذلك فتنة. فاحتال الملك لمنع صبياثا من ذلك العمل لذلك. (ص: ١٣١٨ ـ ١٣١٩).

عجائب وغرائب التوليدات في المنابت:

يقول صاحب الفلاحة النبطية في تكوين المنابت:

ـ ريادة أدمى (آدم) في تكوين المنابت:

ثم رجعنا إلى تكوين المنابت المتكونة فيها أعمال ظريفة من نحو أعمال الحيوانات المكوَّنة، إلا أنها ليست مثلها ولا دونها بقليل إلا بكثير. (ص: ١٣١٩).

وهو أن التكوين للنبات في جميع أنواعه إنما هو بدفن أشياء في الأرض تكون عنها أشياء نابتة. وقد كان ينبوشاد صرف همته إلى هذا المعنى، فأفادنا وعلَّمنا منه أشياء هي أكثر مما ذكره أدمى في كتاب أسرار القمر، وإن كان كتاب أدمى هو الأصل، وأنه أول من افتتح هذا للناس وهداهم إليه، وإلا فما وقع هذا فيما نعلم قبل آدم لأحد من البشر ولا اهتدى إليه مفكر بفكره ولا مستنبط باستنباطه، ففتح آدم هذا الباب في تكوين المنابت، وكان رسول الشمس من قبله فتح للناس تكوين وتوليد الحيوانات، فعمل ذلك قوم فتم لهم. وأعني بذلك التوليدين جميعاً، والحيوانات والنبات. ولا تظنون أن أحداً من الذين يدعون الحكم والفطن اهتدوا إلى شيء من هذا قط ولا خطر لهم على بال. (ص: ١٣١٩).

ـ ريادة النبط الكسدانيين في توليد المنابت:

وليس هذا وحده بل جميع أعمال الطلسمات والتنبّت من الشجرية وغير ذلك وما في أيدي الأمم منه، فإن كان في أيدي بعضهم فإنما هو

ما أخذوه عنا وتعلموه منا، إلا القبط، فإنهم قد شاركونا في يسير من عمل الطلسمات والسحر، ليس مثل أعمالنا بل كأنها تشبه من وجه ولا تشبه من آخر. (ص: ١٣١٩).

وهذه التكوينات للمنابت قد قدمنا القول إنها تشبّه بعمل الطبيعة، وإن كان آدم قد فتح هذا الباب وأورى طريقه، فإنه قال إنه يشبه منكم بعمل الطبيعة. وهكذا يلزم في تكوين الحيوانات مثل تكوين النبات، وإنما هو كعمل الطبيعة. وهذا فقد قدمنا من شرحه ما يغنينا عن الإعادة، لكن لابد منها، وهو قولنا إنّ ما نعمله من هذه التكوينات ليس هو اختراعاً بل هو نصبه لشيء تعمل الطبيعة فيه وتركيب منا لذلك، وأنه ليس لنا فيه من الصنع غير التركيب والنصبة فقط. فلمّا وقف قدماء النبط على علة نبات ما ينبت لنفسه وأراهم آدم منه طرفاً انفتح لمن بعده فيه ضروب من الأعمال فافتنّوا في ذلك ضروباً من الفنون. وذاك أن آدم أمرنا أن ندفن أطراف قرون الكباش مع ورق السلق، على ما وصف، ونسقيه الماء فينبت منه الهليون. فلنبحث عن هذا التكوين الواحد ويكون باقيها قياساً عليه، فيكون مثله. (ص: ١٣١٩ ـ ١٣٢٠).

انقلابات تكوينية (استحالة الحيوان إلى نبات والنبات إلى حيوان):

سنورد هنا بعض العبارات عن الاستحالات والانقلابات التكوينية الدالة، كما وردت في كتاب الفلاحة النبطية:

إن الأشياء كلها ينقلب بعضها إلى بعض ويستحيل كل جنس منها إلى الجنس الآخر، فينقلب الحيوان إلى نبات، كما يستحيل النبات إلى

حيوان، وتنقلب المعدنية إلى النبات كما يكون من النبات معدنية. وإن الأجناس الثلثة في قوتها أن يستحيل بعضها إلى بعض، لكن تختلف في الاستحالة من طريق المدة، إن بعضها يكون ذلك منه في مدة أقرب وبعضها يكون في مدة أبعد. ويحكم عليها في الجملة أنها تستحيل بعضها إلى بعض، فهذا علمناه آدم من تكوين وتوليد... (ص: ١٣٢).

إن انتقال شخص إلى شخص من نوعه أقرب من استحالة شخص إلى شخص ليس من نوعه. وأما التقارب فإن استحالة النبات إلى حيوان والحيوان إلى نبات أسهل وأقرب من استحالة المعدني إلى الحيوان والحيوان إلى المعدني. هذا على طريق الاستحالة المعروفة بالعادة الجارية فأما الاستحالة التي هي غير هذه، فإن لها صفة أخرى وحكم آخر. وهذه التي حكمها غير حكم تلك هي الاستحالة من عنصر إلى عنصر في الأجسام المركبة، لا في العناصر. (ص: ١٣٢١).

والدليل على أن أن الأشياء كلها، أن ينتقل بعضها إلى بعض، أعني في الأجسام المركبة، أن أصولها التي هي العناصر تنتقل وتستحيل بعضها إلى بعض. فقد ينبغي أن تكون أولادها الكاينة عنها مثلها في استحالة بعضها إلى بعض. ودليل آخر أن الطبايع الأربع هي المدبرة للجميع والمحيلة والمغيرة، وهي في الأجناس الثلثة سواء، فإن الحرارة التي في الحيوان وأشخاصه هي الحرارة التي في النبات وأشخاصه، وهي الحرارة التي في المعدنية وأشخاصه، وكذلك البرودة والرطوبة واليبس كذلك. فإذا كان هذا هكذا فلها أن تنقلب بعضها إلى بعض[1]. (ص: ١٣٢١).

---

(١) راجع كتاب الفلاحة النبطية، ج٢، ١٣٢١ وما بعدها حول هذا الموضوع.

حكايات وخرافات عن التكوينات:

يورد كتاب الفلاحة النبطية خرافات وحكايات من مخلوقات غريبة شاهدها الناس والبحارة في أماكن مختلفة تشير إلى تكوينات من الطبيعة على خلاف ما جرت عليه العادة من توالد طبيعي بل يتكون على غير سبيل التناسل والتوالد قد ذكرنا بعضها:

وقد علمنا أن من يدفع تكوين إنسان إنما هو لأنه لم يشاهد إنساناً كان على غير سبيل التوالد بين الذكر والأنثى. فإن في هذه الأقاليم والبلدان التي على وجه الأرض أشياء هي أناس وغيرهم من الحيوان يتكون على غير سبيل التناسل والتوالد قد ذكرنا بعضها. (ص: ١٣٢٣).

فهذا البحر المسمى بحر الهند يظهر في مواضع منه بناحية سرنديب في الربيع يد تبدو وخارجة من الماء حتى يراها الناس ويتأملونها. وقد ذكر لنا بعض المخلصين ممن شاهد ذلك مراراً في سنين أنه كان يرى تلك اليد ظاهرة في كل سنة لون، فدل ذلك على أنها ليست يداً واحدة لشخص واحد، تظهر في كل عام، بل هي لأشخاص مختلفة. (ص: ١٣٥٣).

وفي هذا كلام كثير ودلايل على تكون ناس في ذلك البحر في كل سنة. وفي البحر سمك على صورة الرجال والنساء. وما يرى من صور النساء أكثر. فإن الصيادين يخبرون أنه يقع في شباكهم في جملة السمك الذي يصيدونه نساء على صورة الناس، وجوههم وحواجبهم وأعينهم، وأن بعضهم في قدّ الناس وبعضهم ألطف، فأما الذكور من هذا السمك الذين هم على صورة الرجال، فلهم لحى، وبعضهم بلا لحى إذا كانت أسنانهم صغار كأسنان الصبيان والفتيان، والرجل الملتحي منهم يسمى طبيب البحر، وهذا شيء مشهور، وهم أحياء يحسون ويتحركون. (ص١٣٢٣).

وفي ناحية المشرق بين عينين من أعيان الصين، على أحد جنبي الجبل، نهر جار، وهذا أحد الأعيان، ومن الجانب الآخر، كالبحيرة الصغيرة فيها ماء واقف وإنه يسمع في تلك البحيرة في الربيع صياح ناس وضجيج كضجيجهم سواء، وصراخ ينفذ من ذلك الضجيج كصراخ الناس سواء، يسمعون بعقبه جلبة وضجة كجلبة الناس وضجتهم، حتى لا يشك السامع ذلك أنه ضجيج ناس وصياحهم. وإن في ذلك الجبل حجارة مختلطة بطين أحمر خلوقي ناعم جداً وإنه يتدحرج من ذلك الجبل من ذلك التراب الخلوقي فدرة بعد فدرة.

فمتى فلق إنسان تلك الغدر الطين أو انفلقت لنفسها ظهر في شقي تلك الغدرة صورتي إنسانين بجميع أعضاء الناس لا تخالف ولا تنقص. وأنه إذا توسط الربيع خرج من ذلك الجبل أناس لهم لحم وعظام وشعر وأيدي وأرجل وعيون، تامّي الصور، إلا أنهم لا يتحركون ولايتكلمون ولا يحسون، كأنهم موتى يقعون عن جنبتي ذلك الجبل، ووقوعهم إلى ناحية البحيرة التي ماوها واقف أكثر، فإنه يظهر من تلك البحيرة في آخر الربيع روس ناس وأذرعتهم وسوقهم كأنها مقطعة ملقاة هناك يراها الناس. وربما أخذ بعضها الآخذ فيجدها، إذا جسها كأنها أعضاء الناس سوآ، عظام ولحم وعصب وعروق وكلما نشاهده في أبدان الناس، إلا أن هذه الأعضاء كأعضاء الموتى. (ص: ١٢٢٣ ـ ١٣٢٤).

وإن قوماً من تلك البلاد يأخذون من تراب ذلك الجبل فيعفنونه في موضع ندي مغموم، فيتكوّن منه إنسان تام الصورة كساير الناس، وهو مع ذلك حي متحرك، إلا أنه لا يبقى بعد تحركه حياً إلا يوم وأكثر قليلاً وأقل قليلاً، ثم يطفى سريعاً في لحظة. وفي هذا دلالة على أن الناس قد يكونون بالتناسل المعروف المعهود وقد يتكونون على غير التناسل بعمل

الطبيعة في مواضع من الأرض توجب ذلك. وأن تلك المواضع كأرحام النساء لتكوين الولد. فإن للطبيعة طبخ ورفق في تكوين الولد، وأن للطبيعة طبخ ورفق في تكوين ما تكوّنه وتحديد في أفعالها وتدقيق، متى تمكنت من مادة موافقة لكون شيء كوّنت منه ذلك الشيء، إن كان في جسد حيوان، أناس وغير أناس من ساير الحيوان، كما يتكون نبات من غير برز ولا زرع زارع ولا إفلاح فلاح. (ص: ١٣٢٤).

وفي كل هذا دلالة على كون إنسان وغير إنسان من الحيوانات الكبار والصغار، لا على طريق التناسل بل على الطريق الآخر الذي قدمنا ذكره، وهو بالاستحالة والانقلاب من شيء إلى شيء آخر بعيد منه أو قريب منه. ودليل على أنه قد يتكون في ذلك البحر الذي يرى فيه الذراع وفيها الكف إنسان في كل سنة، في ذلك الوقت، فيظهر منه ذلك. وأنَّ كون الحيوانات الكبار مثل كون الصغار التي تتكون بتعفين بعض الأشياء، فتنقلب فتصير[1]. (ص: ١٣٢٤ ـ ١٣٢٥).

خرافات وطقوس زراعية حول تراكيب الأشجار بعضها ببعض:

إنّ قصد الناس في هذه التراكيب هو أن يكسب المُركَّب من المُركَّب عليه إما طعماً ليس هو فيه أو رايحة كذلك أولونا كذلك أو حسن شكل وصورة، فتكون غريبة في ذلك النوع أو مخالفة من بعض المخالفات تكون

---

(١) يراجع موضوع التوليدات والتكوينات: كتاب الفلاحة النبطية، ج٢، ص١٣٢٤ وما بعدها. للمزيد والاطلاع.

فيها فايدة للناس. وهذه الأحوال المقصودة في التركيب التي يريدها الناس به قد تتم وتكون بهذا العمل الذي نَصِفه ويعمله الناس بهذه الأغصان المنزوعة المركَّبة على ما يجب أن تُركَّب عليه. (ص، ١٢٨٨).

فمتى أردتم تركيب شجرة على شجرة لتكسبوا المركَّب شيئاً مما ذكرنا، فتحتاجون أن تأخذوا غصناً من أحد الشجر فتركبونه على بدن شجرة أخرى. وفي هذا العمل خاصية ظريفة، وهو من أعمال أصحاب الطلسمات. (ص: ١٢٨٨).

ـ طقس خرافي للتركيب (مضاجعة جارية حسناء):

قالوا من عزم على ذلك فليعمد إلى جارية يختارها بارعة الجمال، فيأخذ بيدها ويقيمها على أصل الشجرة التي قد عزم أن يركب الغصن عليها، ثم يكسح الغصن كما يكسح الناس الغصن الذين يريدون تركيبه ثم يأتي به إلى الشجرة التي يريد التركيب عليها، والجارية قايمة مع أصل الشجرة. فيشق في الشجرة للغصن ثم يكشف ثياب الجارية عنها ويكشف ثيابه ثم يضع الغصن في موضعه وهو يجامع الجارية من قيام، ويركب الغصن في وقت جماع، مع الجماع، سواء على تلك الشجرة، ويجتهد أن يكون إنزاله مع الفراغ من تركيب الغصن في الشجرة، ويتنحى عن الجارية بعد التركيب للغصن. فإن حملت تلك الجارية اكتسبت تلك الشجرة وذلك الغصن جميع رايحتها وطعمها، وإن لم تحمل الجارية فإن اكتساب الغصن من الشجرة يكون يسيراً. (ص: ١٢٨٨).

مثال ذلك أن إنساناً أراد تركيب كمّثرى على شجرة أترج ليخرج الكمثرى في لون الأترج وريحه، فليعمل ما قلنا. ولتكن الجارية غير مغصوبة على نفسها، بل طايعة غير مكرهة. ويفعل ذلك الأكّار مع

زوجته التي تزوجها على السنّة المعهودة لا غير ذلك، ويكون جِماعُه لها كالعادة الجارية ولا يخالف في شيء. (ص: ١٢٨٩).

ـ طقس تركيبي آخر (طقس مداعبة الجارية الحسناء ومضاجعتها):

فهذه لاكتساب الرايحة واللون. وكذلك اكتساب الطعم مع الرايحة أو الطعم وحده، فهو هكذا. لكن فيه مخالفات في صغاير من الأعمال يكون عنها خواص ظريفة. مثال ذلك إنسان أراد تركيب تفاح على رمانة حلوة ليخرج طعم التفاح حلو كحلاوة الرمان. فليحضر الجارية إلى جانب الشجرة التي يريد التركيب عليها ويداعبها حتى تضحك ويبوسها ويقرصها، ويدفع الغصن إليها لتركبه هي بيدها، فإذا وضعت الغصن في موضعه، فليحسر ثيابها من خلف، ووجهها هي إلى الشجرة تعمل التركيب، ويجامعها من خلف ويأمرها أن تباطي في تمام عملها، وهو الغرس للغصن، إلى أن يفرغ من جماعها من خلف. ويجتهد أن يكون فراغهما جميعاً من عملهما في وقت واحد، ثم يترك الشجرة لا يقربها أحد إلى الوقت، فإنها تحمل تفاحاً حلواً كثير الماء جداً. فإن حملت الجارية كان القول في المركّب كالقول الأول الذي قدمناه. (ص: ١٢٨٩).

ـ طقس تركيبي آخر:

فأما من أراد تركيب شجرة على شجرة لإقلاب الشكل والصورة من صغر إلى كبر ومن كبر إلى صغر، إلا أن الفايدة أن يجعل الصغير كبيراً ولا يجعل الكبير صغيراً. مثال ذلك غصن من شجرة نبق يركب على شجرة تفاح حلو لتحمل نبقاً في قد التفاح وحلاوته. وليس هذا عام في

كل الشجر، أعني أن يركب ذو نوى على غير ذي نوى، فيقبل التركيب. فإن في هذا علماً وكلاماً فيه طول ليس هذا موضعه. لكن النبق قد يأخذ كبر القد من التفاح الحلو. فمن أراد ذلك فليعمد إلى جارية فيقيمها مع أصل التفاحة، ثم يكسح الغصن أو إن كان الغصن مكسوحاً فبسلام، وليكن الغصن المكسوح ممتلياً طويلاً، ثم يأخذه بيده اليمنى ويأخذ ذكره باليسرى، ويضع الغصن في موضع مغرسه ويضع ذكره في فرج الجارية ويجامعها، ويقوم الغصن مع ابتدايه بإدخال ذكره في الفرج، ولا يدع مس الغصن وتقويمه وهو يجامع حتى يفرغ منهما معاً في وقت واحد، فإن ذلك يحمل نبقاً كباراً قريباً من قد التفاح، ويكون بالأكثر بلا نوى حلواً لذيذاً كباراً. (ص: ١٢٨٩ ـ ١٢٩٠).

وهذا من أعجب الخواص. وينبغي أن تقيسوا على هذا وتفرعوا عليه فروعاً كثيرة ولا تفنى وتعملون فيه كنحو ما وصفنا، فإنكم ترون ما تحبون. (ص: ١٢٩٠).

منامات زراعية:

ـ رؤيا عجوز طويلة بيضاء في النوم

وقد كانت امرأة من بعض نساء أكرتي بطيزناباذ، في ضيعتي، الكرم الذي لي بها، جآت إلى مدينة بابل فأخبرتني أنها رأت في النوم كأن امرأة، زعمت طويلة بيضاء عجوز، تقول لها: «امضي إلى قوثامي فقولي له: (عالج الكرم إذا سقم وانقطعت ثمرته بماء الفجل المعتصر منه، حبه في أصولها ورُشَّ عليها منه، أعني من مايه، فإنه يشفيها». فتقدمتُ إليها أن ترجع إلى طيزناباذ وتخبر رئيس أكرتي (فلاحي) بذلك وتقول له عني، أن اعمَلْ هذا بكروم كان قد نالها هنا السقم هناك، ثم

غفلت فلم أذكر هذا. وكان هذا الأكّار الذي في تلك الضيعة رجلاً محصلاً جيد العقل، فلم يلتفت إلى منام المرأة ولم يعالج ما سقم من كرومي، وكانت ثلثة قد نالها السقم، بل عالجها باستيصالها البتة، كما وصف صغريث، وكسحها ثلاثتها وطمها حتى نبتت، فكان من أمرها ما كان. فلما صرت إلى الضيعة بعد زمان، سألته عن الكروم السقيمة وعن منام المرأة، فجعل يهزأ بالمرأة ومنامها وقال: «عالجتها بما ذكره صغريث، لأنه أبلغ ما تعالج به هذه السقيمة، ولم أر علاجها بغيره، وقد نبتت فروعاً جياداً».

فحمدته وجزيته خيراً.

وهذه الوجوه من العلاجات كلها صالحة، فجربوا منها ما قرب متناوله. وقد أخبرناكم بما علمناه منها فأنجع. وهذا المنام الذي رأته المرأة فيه نظر. وذلك أن الفجل عدوّ من أعداء الكروم، فإذا زرع فيها بينها أمرضها. والمرأة رأت أن ماءه إذا اعتصر كان شفا من سقم الكرم. والقياس يوجب أن هذا باطل، لكني إنما قلت لها، لما أخبرتني بالمنام، أن تمضي إلى أكّاري فتخبره بذلك، هو شيء كان مني على طريق المشورة. للأكّار وابتلاء عقله. فكان الأكّار عاقلاً فلم يلتفت إلى هذا المنام ولم يصدقه، بل عمل في علاج سقم الكروم بما قد عرفه وخبره وجرت له العادة بتجربته. (ص: ١٠٤٦ ـ ١٠٤٧).

تدوير المنابت:

ـ ما العلة في تدوير المنابت والأشجار وغيرها:

إنا نرى الغالب بل العام في صور المنابت كلها الشكل المدور، فأوراق المنابت أكثرها مدور صحيح التدوير، وما ليس بمدور فالغالب

عليه في المنظر أنه إلى التدوير. وسوق الأشجار الكبار والمنابت الصغار مدورة، وكذلك شكل أغصانها وثمارها وبزورها وأزهارها وغير ذلك من الطالعات منها، إما مدورة بالحقيقة أو الغالب عليها التدوير، وعروقها، غلاظها ورقاقها، مدورة، وجملة صور الأشجار والمنابت مدورة. فنسأل أنفسنا ما العلة في ذلك. فنجيب بأن صغريثاً له، في علة هذا الموجبة له، قول، ولغيره قول، لكنني أبدأ بقول صغريث لشهرته بالتقديم عند الكسدانيين في علم المنابت كلها، كبارها وصغارها، وإن كنت أرى أن أدمى يتقدم الخلق كلهم جميعاً في علم علل جميع الأشياء كلها على العموم. فلأجل أن ليس كل النبط يرون في أدمى رأيي فيه، تركت رأيي واتبعتهم في رأيهم، وخاصة الكسدانيين منهم، فإنهم يرون تقديم صغريث على جميع الناس جملة في حكمه على المنابت بما يحكم عليها، فيسلمون ذلك له تسليماً. فأما أنا فلا أسلم لأحد شيئاً دون أن تقوم عندي الدلالة على صحة ما يقوم في عقلي التسليم من التعصب والهوى والاستحسان. (ص: ٧٠٣).

ـ حكاية صغريث وقوله في العلة في استدارة جميع الطالعات من المنابت:

يقول صاحب الفلاحة النبطية حول ذلك: ونرجع إلى حكاية قول صغريث في العلة في استدارة جميع الطالعات من المنابت، قال: العلة في ذلك أن جميع الحيوان والنبات والمعدنية هي أولاد العناصر الأربعة، والعناصر الأربعة كأولاد الكواكب بعد النيِّرَين أو مع النيِّرَين. فإن بين القولين فرقاً، أعني بين قولي «أولاد» وبين قولي «كأولاد»، وأعني أيضاً الفرق بين معنى «بَعد» أو «مع»، وهذا ظاهر لا احتاج إلى الإطناب فيه، وما تعتقد طايفتنا فيه ويتحزبون من أجله أحزاباً، وكذلك

قد يفترقون مختلفين بين قولهم «أولاد» وبين قولهم «كأولاد»، إلا أن الخلاف بينهم في هذا قريب، والخلاف بينهم في القول في باب الكواكب بعد النيِّرَين متقارب كثير الفنون، لأنه أصل من أصول الدين عظيم. فإذا كنت هاهنا غير مقدر لهذين المعنيين، فيلزمني أن أخبر بالعلة في التدوير في النبات فقط فأقول: (ص: ٧٠٤).

العلة في التدوير:

ـ إن الآلهة اختارت الظهور لإحساسنا بالأشكال الكريّ المدورة:

العلة في ذلك أن الآلهة الكرام، الذين هم النَيِّرَان والكواكب كلها بعدهما لا معهما، اختارت الظهور لإحساسنا بالأشكال الكرّية، وهي المدورة، فلمَّا كان ظهور الآلهة الفاعلة لكل الأشياء بالشكل المدوَّر، فكان هذا الشكل هو المرضي عندهم له، وجب أن يكون هو المرضي عندهم لما صنعوه، وذاك أن اختيارهم الظهور بهذا الشكل لم يكن إلا عن حكمة بالغة، كما أنه ليس يفعلون شيئاً إلا عن حكمة بالغة، ولم يعلمونا جميع الأشياء فنعلم العلة في اختيارهم لأنفسهم التدور الكري، بل علمونا ما شاؤوا أن نعلمه، وتركوا شيئاً كثيراً، فصرنا عالمين بما اختاروا لنا وغير عالمين بما طووه عنا. وهذا أيضاً منهم عن حكمة بالغة ونظر منهم لنا ورحمة، لأنّا لو أحطنا بكل شيء علماً لكان ذلك مضراً بنا ضرراً عظيماً كثيراً. وأيضاً فإنه غير ممكن أن تعلم عقولنا مع صغرها كل شيء وتحيط به علماً. فلما وجب في الحكمة ولم يكن فيها أيضاً غير ذلك، كنا نعلم بعض الأشياء ولا نعلم بعضاً. وكان ظهور الآلهة لإحساسنا بالشكل الكرّي مما لا نعلم لم اختارته لأنفسها، بل نعلم أنها اختارته لحكمة بالغة وصواب بيِّن، لعلمنا أن هذا أحد لأفعال التي تشبه

غيرها من أفعال الآلهة الحكيمة العليمة. فإن هذا هكذا، فإنها اختارت أيضاً أن تجعل الغالب على ما في هذا العالم السفلي الشكل المدور. وليس معنى قولي «الغالب» أني أشير أن في الأشكال غيره، بل أقول أن شكل كل شيء في العالم مدور على العموم وأن قولنا مطاوَل ومربَّع ومثلَّث ومثمَّن وغير ذلك من جميع الأشكال كلها والصور جميعاً مدورة كرية، بالغالب عليها وبالحقيقة جميعاً. وهذا أيضاً مما لست أحتاج إلى الإطناب فيه وإقامة الحجة عليه لأمرين، وأحدهما شهرته عند الكسدانيين، والثاني أني متى أخذت فيه لَزِمَني تقصيه إلى آخرة، لأن فيه ما تعلمون من الخلاف اليسير القليل، وإذا فعلت ذلك خرجت عن الكلام في علة التدوير، لم كان ولِمَ وجب، إلى الكلام في الصور والأشكال، فيصير في ذلك خروج عما قصدته هاهنا. فلذلك تركته. فقد ظهر الآن ما العلة في أن كانت جميع المكوَّنة في العالم السفلي مدوَّرة الصورة والأشكال من جملة كلامنا، وبطن وخفي عنا العلة الأولى في ذلك، لأن الآلهة الكرام أخفته عنا باستحقاق منا لذلك ونظر رحمة. (ص: ٧٠٤ ـ ٧٠٥).

ـ احتجاج قوثامي على صغريث بأنه لم يذكر فضل أدمى في هذا العمل مع معرفته بأن له السبق والريادة، وهو العارف والمؤمن والمصدق بعلمه، فقد وضع أدمى كتاب في علل كل الأشياء، بما أوصى إليه وعلمته آلهنا القمر، وأجمع الكسدانيون على علمه وريادته في ذلك.

قال قوثامي: فهذا الفصل هو كلام صغريث في علة تدوير جميع المنابت. ولي هاهنا قول، وهو مبني على سبيل التعجب من صغريث لا على سبيل معارضته ولا على إنكارٍ عليه ولا شك في قوله، لكن لا عتب عليّ في تعجبي من شيء ما ظهر لي، وتعجّبي هو أن صغريثاً عالم محل أدمى من إلهنا القمر، وفضل عنايته به، وأنه رسوله إلى

جميع أبناء البشر، وأنه أوحى إليه من العلوم ما لم يوحه إلى أحد فيما نعلم من البشر. ومع علمه بذلك فهو مؤمن به مصدق له، أعني أدمى في دعواه. وقد قرأ ما أخبر به أدمى من علة التدوير في النبات من كتاب أدمى الكبير الذي وضعه في العلل، فأخبر بعلة كل شيء وما أقام على ذلك من الحجة الشاهدة، فلم يذكره صغريث في هذا الفصل من كلامه على مثل ما تكلم عليه أدمى. (ص: ٧٠٥ ـ ٧٠٦).

وقد اجتمع الكسدانيون منذ عهد أدمى إلى زماننا هذا أن أخباره عما أخبر به إنما هو تعليم القمر له، وصغريث يؤمن بهذا ويصدق أدمى في تعاليمه كلها، فقد كان الواجب عليه، لما ذكر علة التدوير في النبات، أن يحكي عن أدمى ما قال فيه لابنه أشيثا أن يجعل علة ذلك الأولى هو ظهور الآلهة لحواسنا في الشكل الكروي. فأما وقد أمسك عن الحكاية عن أدمى في هذا المعنى، فلم يمر به البتة. أهو على طريق الخلاف عليه، أم على طريق الغفلة عنه، مع اعتقاده أن جميع علومه إنما هي من تعليم القمر له، وإن كان قد حكى في أقاويله عن الماضين في الزمان قبله (ص: ٧٠٦).

فإن أدمى قد حكى عن سيد البشر دواناي أشياء كثيرة هي موجودة في كتبه ودالة على رضى أدمى بآراء دواناي وأوضاعه. وقد حكى عن شامات النهري أيضاً في كتبه حكايات عدة وارتضى مذهبه وصوب رأيه في ترك المصابيح بين الكروم بالليل، ...، (ص: ٧٠٦).

معجزات آدم (أدمى) الباهرة للعقول:

فإذا كان أدمى في عظم محله وكبر موضعه وكثرة إعظام الناس له وكثير عناية إلهنا القمر به وسعة تعليمه إياه وتفضيله له على الناس

وجعله رسولاً إلى الناس كلهم وإعانته على تطواف البلدان والأقاليم من المشرق إلى المغرب وإعطايه إياه تلك المعجزات الباهرة للعقول، لم يستنكف أن يحكي عمّن كان قبله ما علم أنه قد أصاب فيه، ولم يستكبر عن مدح دواناي، إذ ذكره ومدح جاحوسي الشاعر وتفضيله لم في نظم الشعر، فأنت، ياصغريث، لِمَ لَمْ تَحْكِ عن أدمى قوله في علة استدارة أجزاء المنابت كلها ولم تذكره البتة، كأنك لم تسمع به ولم يبلغك؟، ما رضيت لك بهذا ولا أستحسنه منك. (ص: ٧٠٦ ـ ٧٠٧).

رأي أدمى في علة غلبة الاستدارة على أعضاء المنابت:

والذي ذكره أدمى في علة غلبة الاستدارة على أعضاء المنابت هو أن المائية والهوائية فيه أكثر من العنصرين الآخرين، قال: فلما قلّت فيه الأجزاء الأرضية وغلبتها الأجزاء الهوائية والمائية فغلب عليه العنصران الرطبان للعنصرين اليابسين، استدار ورقة وثمره وسوقه وأغصانه وأكثر بزوره وحبوبه، فإن جميع هذه إما طالعة مدورة أو الغالب عليها التدوير، كما أنّا متى نقطنا نقطة ماء وقعت على ما تقع عليه مدورة. وكل رطب سيّال هذه حاله ما لم يكن فيه فضل يجري منه فيستطيل، فإنه إن كان مقداره فضل طلب الجريان بطبعه فجرى فاستطال، وإن لم يكن في كميته فضل وكان يسير المقدار وقع مدوراً. والتدوير في كل مدور كان عن العناصر، إنما هو لغلبة الرطوبة عليه، وغلبة الرطوبة إنما هي غلبة الركنين اللذين هما الماء والهواء. فإن جميع النبات هو من الماء والهواء وليس فيه من الأرضية إلا بمقدار ما يمسكه ويعقد رطوبته، وذلك يكون بأجزاء لطيفة من الأرض تخالط الماء والهواء، ليس يلحقه

من النارية إلا بمقدار ما يصلحه ويجففه ويشده ويمسكه ويحييه، فيتم كونه على هذه الصفة[1]. (ص: ٧٠٧).

شجر البرّ:

عجائبه، غرائبه، فوائده، أنواعه:

فقد ذكر ينبوشاد الحكيم الصنديد أنه قد ينبت في البر بعقب نزول السيل العظيم على الجبال والحجارة وعلى السهل والتراب ضروباً من النبات الطيّب الريح خاصة، مثل الذي سمته العرب القعو، وأسماه الكسدانيون، اتّباعاً لآدم (في تسميته) *القعوانا*، وأنّه ينبت منها أيضاً الذي سمّته العرب الضيران، وأسماه آدم *الحماحمى*[2]، والذي أسمته العرب الحوجم وأسماه آدم *الشباثا*، وينبت *العجرياثا*. وهذه كلها طيبة الريح، ورأيناها أكثر ما ينبت بعقب السيل المفرط الشديد الحما.

قال قوثامى: وإنّما طابت (روايح أكثر) ما ينبته السيل في البر لأجل غلبة الحرارة عليه، وقد كنّا أخبرنا فيما مضى من هذا الكتاب، في باب ذكر السيل، العلّة في حما السيل وشدّة حرارته. ثمّ رجع كلام ينبوشاد، قال:

والنريائى فيما ينعقد بصله في البر بعد نزول السيل - قال أبو بكر

---

(١) ويذكر في هذا الباب من كتاب الفلاحة النبطية: علل كثير حول الأشكال التي تتخذها النباتات والمنابت والأشجار مثلاً: علة الاستطالة وصعود إلى الأعلى، تفرق الورق وتشعب الأغصان وكذلك علة بعض المنابت وأغصانها في اتخذها شكل مربعة... الخ، يراجع: ج١، ص٧٠٧... وما بعدها.

(٢) التسويد لتوضيح بعض أسحار النباتات والشجر الواردة في النص الأصل.

أحمد بن وحشية: *النريائى* هو الذي سمّاه الفرس *النرجس* وسمّاه العرب العبهر. وهذا قد قاله قوثامى، إلا أنه لم يذكر تسمية الفرس له، وإنمّا حكى تسمية العرب إيّاه *العبهر*، وإنمّا يذكر قوثامى تسمية شجر البر ومنابته الصغار على ما سمتّه العرب، لأن البراري أكثرها مساكن العرب. فلمّا رأى قوثامى في نبات البر ما لم يعرفه أكثر الأمم وأن العرب تعرفه وقد سمته جعل تسمية نبات البر بلغة العرب كما سمّوه. قال أبو بكر: ثم رجع الكلام إلى ينبوشاد حكاية قوثامى عنه. قال ينبوشاد: (ص: ١١٣٧).

(وللهند نباتات) لا تنبت في البر إلا بعقب سيل عظيم، فإن أمده بعد السيل مطر طال وانتشر فصار شجراً كباراً وحمل حملاً نبيلاً حتى تطيب رايحة الصحارى التي ينبت فيها والجبال التي يكون عليها، لأنه ينبت في السهل والجبل. فما ينبت (في الجبل) وعلى الحجارة كان قصيراً جعداً، وماينبت في السهل كان طويلاً منبسطاً والنابت منه (ماهو) أذكى ريحاً وأحدّ وأشدّ وأغلظ خشباً وأبقى على الزمان. وهذا من الشجر لا من صغار النبات. ـ قال ابن وحشية: هذا هو الآس.

قال ينبوشاد: وقد ينبت في الرمال المفردة عن مخالطة الطين والتراب وكون الحجارة فيها منابت، إلا أنها لطاف كلها غير كبار، إلا خمسة أشجار لا تنبت إلا في الرمل أو في الأرض الرملة، أما ما ينبت في الرمل المفرد على مخالطة التراب فشجرة تسمّى *الأرطياثا*، ترتفع كارتفاع شجرة الخطمي، وأخرى تسمّى *الأنطياثا*، ترتفع أقل من ارتفاع الخطمي قليلاً، وشجرة ثالثة تسمى الأهياهى، ترتفع كارتفاع شجرة الخروع، إذا كان شتاء مخصباً كثير الأمطار، وترتفع أقل إذا كان شتاء قليل الأمطار.

وأما ما ينبت من الشجر في الأرض المختلطة (من رمل) وطين وتراب، كشجرة لطيفة تسمى ***الأعصايا***، وشجرة أخرى (لطيفة أيضاً) ضعيفة يقال لها ***الموصاصى***، هي مثل ***الأعصايا*** في الضعف، إلا أنها تطول أكثر، وعليها لحا دقاق كالخيوط يركب أغصانها، يعمل منها حبال، إلا أنها ضعاف لا قوة لها، وأما ***الأمطياثا*** الخارج من الرمل المحض فإنه أغلظ هذه التي ذكرناها خشباً. فإذا انسلخ الصيف ودخل تشرين طلع (على خشبها) صمغ لايجف جفافاً شديداً، يسحق منه، بل هو مثل ***المصطكى***، إلا أنه لا طعم له يتبين. وقد يمضغه بعض ساكني البر، يقولون إنه يطيب النكهة وينفع الأسنان. وأما ***الأرطايثا*** فإنه ينور نواراً أغبر، ثم ينتشر ولا يعقد مكانه إلا شيء لطيف جداً يتبخر به أهل اليمن، يقولون إنه يطرد ضرر العين المصيبة من الناس بعضهم لبعض. وقد يقولون في شجرة ***الأهياهى*** أنها أن أخذ انسان من خشبها فجرده من ورقه وتبخر به دفع عنه الجدري (أو أصلح الجدري) وكذلك زعموا انه ينفع الجرب منفعة بليغة، يشفي منه إذا أديم التبخر به. (ص:١١٣٨).

ويزعم أهل اليمن إنه إن اقتلع إنسان منه أصل فروعه وعروقه وعلّقه على باب بيت أو باب دار، أنه يصرف عن ذلك البيت وتلك الدار سحراً، إن كان فيها قد دفن، وإن لم يكن ثمّ اتفّق أن يدفن هناك بعد تعليق هذا الأصل أو قبله، أبطل هذا الأصل ذلك السحر، وكذلك زعموا أن من أوقد من حطب هذه الشجرة وقوداً دايماً، سبعة أيام، أنّه يصرف ضرّر السحر عن المسحور. وهذه حكايات حكيت لنا عن العرب لا نعرف حقيقتها. وقد يجوز أن تكون حقاً كما قالوا.

وقد ينبت في الأرض المختلطة الرخوة شجرة صغيرة يقال لها

الرحامياهى، لها عروق تمتد منها بالقرب من وجه الأرض، ولا تغوص في جوف الأرض كما تغوص العروق. وتلك العروق بيض شديدة البياض، لبعضها بصيص، وهي طيبة الطعم إن أكلها آكل بعد سلقها بالماء العذب مرتين.

وقد يزعم أهل اليمن أن هذه العروق إذا جففت ثم سحقت وخلطت بالخبز، وأكل أو بالفتيت وشربه النساء، فإنهن يسمَنّ شديداً وتزيد أبدانهن وتصح ويشتهين كثرة الأكل، وكذلك يعمل مع الرجال ان اكلوه.

وينبت فيما استرخى من الأرض أيضاً وكان مختلطاً برمل شجيرة مدورة الورق لطاف جداً كأنها أظفار الصبيان، تسميها النبط *علفتاثا* ويسميها قوم آخر *مسيا*، لها خضرة في أغصانها وورقها لا تفارقها تلك الخضرة وإن قلعت من منبتها وجففت ويبست.

وقد قدمنا القول إن كلّما يتخذه الناس في البساتين والضياع والمزارع، ففي البر مثله. إلا أن آدم وحكماء بعده قالوا إنّا ننسب إلى البر كل شجرة ذات أشواك فنقول إنها برية. وإذ هذا هكذا فلنبتدي بعدد شجر *البر* ذوات الشوك، ثم نتبعه بغيره مما ينسب إلى البر.

فمن (شجر البر) شجرة *السدر* التي تحمل نبقا، المدورة الورق. وقد تعظم وتنتشر حتى تجاوز حد شجر البر كله، وهي شجرة فيها قبض ظاهر، في ورقها وثمرتها، ولها مع ذلك القبض رطوبة علكة لعابية، وفيها غوص وتنقية وجلاء ودفع، (وقال آدم) في كلامه عليها: شجرة السدر شجرة *أولياي* وهي مباركة. فمن بركتها أن منافعها أكثر من مضارها، وفيها ظل ظليل وطيب ريح، إذا هبت عليها الرياح المختلفة،

(يعني الحارة بعد الباردة، والباردة بعد الحارة) وهي شجرة طويلة العمر صابرة على كثرة العطش وعدم الماء، الزمان الطويل، ولولا أن شجرة آدم المنسوبة إليه معلومة مشهورة لقلنا إن السدرة شجرة آدم، لما أطال في مدحها.

ومن الشجر البرية *الغرقدايا*، ورقها أصغر من ورق الزيتون كثيراً، وهو على صورته، وهي ذات شوك ضعيف. ومنها شجرة الصالا، وهي متشوكة، ورقها كورق العوسج. ومنها شجرة الشامث، ذات شوك، وهي تكبر وتنتشر وتنبت في الصخور والتراب وعلى الجبال، فيها (زعارة ومرارة) ويقال إنَّ ورقها إنْ دق وضمدت به السرة أخرج من الجوف الديدان وحب القرع. ومنها شجرة *الغضاهى*، لها شوك كثير وورق كبار قليل حايل اللون عن الخضرة، ومنها شجرة السلمايا، ذات شوك ضعيف، وهي قليلة المرارة توافق القلب، إذا ضمد بها الصدر مع دهن الورد، ويقال إنها إذا ضمد بورقها مدقوقاً البواسير أضمرته، وإن دام على البواسير جففه.

ومن شجر البر البكر وأمر الكبر ظريف لأنه يعظم في البر أكثر مما ينتشر في البساتين، لأن القشف يوافقه وتكون ثمرته أكثر ويكون أشدُّ مرارة من النابت على شطوط السواقي وأكثر حدّة، ومن البرية ذوات الشوك *السعدانا*، وهي ذات ورق بين المدور والمطاول، لطاف قليل الرطوبة، شوكها قصار، تقول العرب إنها تضعّف، وربما جفّت وهلكت من تتابع البرق والرعد عليها. ومنها شجرة *الجرجارا*، وهذه بين المنبسطة على الأرض والقايمة على ساق، وهي ضعيفة النبات، إلا أنها تنبسط كثيراً، ولها لون ليس بخضرة مشبعة، ومما هي بين المنبسطة والقايمة على ساق الملاخا، لها شوك وورق صغار إلى التدوير ما هو،

وشوكها ضعيف، تثمر ثمرة، إذا اشتد الحر جفت ثمرتها وتناثرت منها كلها. يقولون إنّها تقلع الأوساخ من أبدان الناس إذا تدلكوا بورقها يابساً مطحوناً، (وهذا على) أنّ فيها أدنى لزوجة، ولا قبض فيها.

ومنها شجرة الشفار تحمل ورداً أحمر، وهي لطيفة غير كبيرة، ورقها مثل ورق *الكاكنج* (لها رايحة) كريهة قليلاً، وأما الماشية كلها فتعاف أكلها لكراهة ريحها، وتقول العرب أهل أطراف إقليم بابل مما يلي البر إن وردها أحمر، إذا جفف وسحق وذر على الخمر قلبه خلاً وحامضاً في يوم واحد أو يومين، إلا أنهم يزعمون أن ذلك الخل يحدث فيه كراهة في ريحه. ويقولون أيضاً إن ورقها ووردها إذا دق غضاً وضمد به العظم الكسير جبره وشدّه وأصلحه وذلك إذا خلط مع الطين وضمد بهما جميعاً.

ومن ذوات الشوك البرية، وتنبت في الجبال أكثر من نباتها في السهل، *الطحماى*، وهي شجرة جعدة لا تطول كثيراً، بل بمقدار قامة الصبي وخشبها في صلابه وأدنى مرارة، وهي زعموا تنفع الطحال العليل إذا ضمد بها رطبة مدقوقة، ومن البرية ذوات الشوك، الإسلنجاي. (وهذه أيضاً) أكثر نباتها على الصخور والجبال، ولها عروق تشق الحجارة وتدخل فيها، وليس لها نور ولا ثمرة، وهي مما لاطعم له من النبات. ومن البرية ذوات الشوك، مما ينبت على الحجارة أيضاً، *الهراساي*، وهذه شجرة صغيرة تحمل حباً لطافا *كالشهدانج*، بلا ورد يتقدمه طعم شديد المرارة زعر جداً، يقولون إنه يقتل الغنم متى أكلته، ومن ذوات الشوك البرية *الكرفلاحى*، شوكها كثير منتسج عليها، ورقها يضرب إلى الصفرة، ليس لها نور ولاثمرة ولابزر.

ومن شجر البر المتشوك شجرة *إبراهيم*، ذات شوك كبار شديد،

بعظم أغصانها وطولها وتذهب في الهواء طولاً، وتحمل ورداً أصفر طيب الريح، ولا تكاد إذا اتخذت في البساتين أن تبقى كبقايها في البر. وقد قال صغريث فيها إنها شجرة تحب الشقا والقشف والوحدة وتوافقها الوحشة، وربما جففوا من وردها الأصفر شيئاً وطحنوه، وخلطوه بالطيب. وبأقاصي بلاد اليمن مما يلي بلاد السودان يتخذون من ورده لخلخة يطيبون بها النساء مع الزعفران وغيره من الأفاويه والأدهان الطيبة الرايحة.

ومن الشجر الكبار المتشوكة النابتة في البر *الثغراوا*، الواحدة منها ثغراوة، شوكها أضعف من شوك شجر *إبراهيم*، ومن البرية ذوات الشوك شجرة يقال لها *البيصبا*، لها شوك قصار، وهي في نفسها جعدة قصيرة، ومنها شجرة تسمى *الجاجاج*، شوكها غلاظ قصار قوي، وهي قليلة الورق، ورقها متفرق فيها، وهي شجرة زعرة فيها مشابه من البيصبا، وتنبت أبداً قريباً منها.

ومن شجر البر ذي الشوك *السماسماني*، وهي شجرة تكبر وتطول (جداً في الهواء) أكثر من تلك. وهي شجرة فيها مرارة وفي خشبها قوة، وربما شقق فعمل منه الرحال والمحامل والأكف وغير ذلك مما يستعمل في الأسفار، وربما عمل من خشبها أبواب البيوت، إلا أن من طبع خشبها أن لا ينخر ولا يتأكل ولا يهلك كما يصيب الخشب، بل يبقى على حالة واحدة دهراً طويلاً وزماناً كثيراً.

ومن الشجر الكبار المتشوك شوكاً صغاراً ضعيفاً *المنسراي*، وقد تعظم وتنتشر كثيراً، ورقها شبيه بورق الآس، اللطاف منه. وتحمل حباً في أطراف أغصانها الصغار، أصغر من *الشاهدانج*، طعمه مر عفص

كريه جداً، لأنه يغثي. وتزعم العرب أن حبه هذا إذا طبخ بالخل، حتى تخرج قوة الحب في الخل، وأخذ ذلك الخل فرش في البيوت، أنه يقتل الفار برايحته. وإذا عجن بشيء منه بدقيق وألقي للفار فأكلته قتلهن بعد يوم ونحو ذلك، وأن العصافير متى لقطوا من حبه شيئاً قتلهم (بعد يوم) ونحو ذلك.

ومنها شجرة *القاقا*، وهي كبيرة تعلو علواً كثيراً، وفي خشبها تماسك وصلابة، يصلح أن يتخذ منها مثل ما يتخذ من أشباهه. ومنها شجرة *العلنداثا* كبيرة تذهب في السماء، ورقها يشبه ورق السرو البري، وهي سليمة من القبض، إلا أن فيها مرارة كمرارة الصبر. والعرب يسمونها *الظالمة*، لأنها تلتف بما يقرب منها من الشجر فتهلكه ولا تدعه ينمى ولا يعلو، وكأنها تقتل ما قرب منها من المنابت كلها بكراهة ريحها وردي طبعها. ومن هذه شجرة العرفا لها شوك قليل متفرق فيها، وعلى أطراف ورقها شوك لطاف ضعيف، وهي قابضة إلى المرارة.

ومن الشجر الكبار البرية التي لاشوك فيها، شجرة *الصبراوى*، وهي شجرة تعلو وليس في شجر البراري أعظم علواً منها، وقد تنبت كثيراً على الصخور والجبال، تحمل جوزاً ليس في داخله شيء يتعلق به، يسمى *جوز الجبال*، ولها شجرة تشبهها في العلو واللون والورق والنبات، تنور نوراً أبيض ولا يعقد مكانه شيء. وهذه الشجرة تسميها العرب *الوحشية*، لأنها لا تنبت إلا في البر القفر الذي لا ماء فيه ولا سالك له لوعره وسماجته وخشونته.

ومن شجر البر الكبار، إلا أنها دون تلك في الكبر، شجرة يقال لها *المظ*، يكون ورقها على شكل ورق الرمان، إلا أنه اصغر منه كثيراً،

وليس ورقها أخضر (صحيح الخضرة) بل يضرب إلى صفرة يحمل ورداً كورد الرمان ويعقد رماناً لطافاً يابساً لا ماء فيه يسمى رمان البر، ولها شجرة تشبهها سواء، (إلا أنها) أصغر منها، تنور ولا تعقد، تسمى أخت رمان البر، ورقها مثل ورق تلك.

ومن شجر البر الكبار شجرة *السراوى*، لها شوك، وهي تمتد وتكبر. وأيضاً شجرة *الزنفقوا*، لها خشب يعمل منه ما يعمل من الخشب، لأن فيه صلابة وصبر. وله رايحة (تريد أن) تكون طيبة، ومنها *العشرقت* شجرة لا شوك لها، يقال لها الأراك، وربما عظمت وربما خرجت لطيفة وربما متوسطة بينهما، إلا أنها على صورة الشجر، لها قبض شديد غير كريه، تشد الأسنان وتطيب النكهة وتحلّل الرطوبة عن اللّهوات، إذا دلّكت الأسنان بقضبها (الدقاق اللطاف) وكثيراً ما ينبت إلى قربها شجرة لطيفة تسمى *الكباثا*، وهذه تكون لطيفة وأكبر منها، بحسب المواضع والبقاع، تشبه الأراك في الطبع واللون والفعل، إلا أن الأراك أبلغ وأنفذ فعلاً منها، ولهذه *الكباثا* حب ينعقد لا في أغصانها كلها، لكن في روس بعضها كأنه حب الكزبرة، إذا أخذه أحد فسحقه ووزن منه خمسة دراهم واستعملها مع مثلها سكر وجرع عليها ماء عذباً، فإن هذه تسهل طبعه مجالس عدة بحسب مزاج الإنسان والزمان الذي قد أخذ فيه ذلك وما يصادف في جسمه من غلبة الأخلاط.

ومنها شجرة يقال لها الأسحل، تكبر وتنتشر، ورقها لطاف، وهي قابضة شديدة القبض، وعروقها سوداء، إذا أحرقت عروقها وجعل رمادها في أصول الشجر والكرم نفعها ذلك.

ومن الشجر البرية الكثيرة النبات شجرة *المرخى*، وهي صلبة الخشب ولها أخت (من الشجر تشبهها) إلا أنها الطف منها، تسمى

العقارا، صلبة الخشب مثلها، ومن خشب هاتين الشجرتين تنقدح النار، إذا ضربت إحدى خشبيتهما بالأخرى أوِرَت النار شراراً ينبعث منها، ويفعل ذلك رطباً كان خشبهما أو يابساً.

ومن شجر البر الذي يعظم ويكبر الاناث، وهويشبه *الأثل*، وشجر الأثل أيضاً مما ينبت في البر، إلا أنه لا يكاد ينبت إلا بقرب (مجتمع ماء من) الأمطار وعلى حافات الغدران. (وهاتان الشجرتان) تعظمان وتكبران كثيراً وتنتشران حتى تظلّان ظلاً ثخيناً متكاتفاً، ولا تحمل هاتان الشجرتان إلا شيئاً لا ينتفع به ولا يتحصل، وتحمل هذا الحمل الذي لاينتفع به إذا عتقت.

ومن شجر البرّ *الطرفا والغرب*، (وهاتان الشجرتان) تعظمان وتمتدان في الهواء، وهما مشهورتان لا تخرجان إلا بقرب المياه وبحيث يجتمع (ماء كثير) وربما نبتت في موضع لا (ماء فيه). فما نبت منها بقرب المياه كان أكبر وأعظم انتشاراً مما ينبت في المواضع اليابسة، وليس تصلح الطرفا والغرب إلا لوقود النار، لأن حطبهما يكبر، وخاصة *الغرب*، فإن خشبه يغلظ غلظاً كثيراً، وقد يظهر (دايماً) على (خشب الغرب) ملح أبيض بقيق ويجمد، فيجمعه قوم فيجتمع منه الشيء الكثير، يسمى ملح الغرب، يستعمل حيث تستعمل البواريق والأملاح. وأكثر ما يظهر هذا البورق في فضول خشب الغرب وفضول أغصانه، ملتصقاً بالفضول، فمن هناك يجمع، وليس له ذوب كغيره.

ومن شجر البر التين البري، وهذه الشجرة تعظم أيضاً متى نبتت بقرب الماء، لأنها تنبت بحيث يجتمع الماء وبحيث لا يجتمع. وهي شجرة تحمل (في السنة) مرتين. مرة في آخر الربيع ومرة في آخر الصيف وحملها حاد حار شديد الحرارة أكثر من حدة وحرارة التين

البستاني كثيراً. حتى إن لبنها يشيط الجلد ويحرقه. وإذا طلي على موضع قد حلق عنه الشعر أقرَعَ الموضعَ ولم يكد ينبت فيه شعر. وإذا أحرقت هذه الشجرة وجمع رمادها قام للشجر كله والكروم والنخل مقام الأزبال الحارة المصلحة. ولا ينبغي أن يكثر الناس من أكل ثمرتها. فإنه يعقب ضرراً وسقماً وحمى متطاولة من شدة حدّته وحرارته. وربما كان حملها أحمر. وهذا هو الأكثر، وربما كان أصفر مشبع الصفرة. وإذا أكل آكل من حمل التين البري سبعة أو عشرة بعد التملي من الطعام أسهله مجلسين وثلثة ونحو ذلك، فإن أكثر من أكله لم يسهله. وقد تكون هذه الثمرة حلوة يشوب حلاوتها مرارة قليلاً، وفيها لدغ للمعدة، إذا حصلت فيها شديد، وبذلك اللدغ يسهل.

ومن شجر البر العشر، وهي شجرة عظيمة الورق، لبنها كلبن *الخز*، تحمل حملاً كثيراً عظيماً ويظهر على ورقها شيء يجمع حلو الطعم يسمى سكّر العشر، وليس لها ثمرة تؤكل بل حملها شيء على هيئة الأزقاق فارغ لا ينتفع به أحد، ومنها الأرطباخى، شجرة تعظم لها ورق كورق الأثل، وهي من نحو الأثل، تصلح لوقود النار، لأن لها (حطب كثير) ولاحمل لها.(ص: ١١٤٤).

ومن خشب البر شجرة *الخلاف*، ورقها كورق الزيتون وأعرض منه وأكبر، وهي شجرة باردة الطبع مرّة شديدة المرارة لا حمل لها، وإنما ينتفع الناس بخشبها فقط، والبستانية منها أقوى برداً وأشد تبريداً، ومنها شجرة *الشباشب*، تنبت في البر وتتخذ في البساتين. ولها ثمرة تؤكل طيبة (مثل النبق له نوى)، وهو لزج شديد اللزوجة علك الرطوبة، تسميه الفرس *السبستان*، وهذه الشجرة لزجة كلّها، أغصانها وورقها وأصلها وثمرتها، يوجد فيها لزوجة ظاهرة، وهي شجرة باردة مبردة،

والبَرية منها أعلك رطوبة وأشد لزوجة وأضعف تبريداً وأقل حملاً من البستانية، وقد تكبر وتعظم كثيراً وربما سال من البَرية منها صمغ يجمد عليها، حلو رخو لا يندق إذا دق، يلين الصدر والحلق تليناً بليغاً.(ص: ١١٤٥).

ومنها شجرة *القانا*، تطول في الهواء كثيراً، ليس لها انتشار عرضاً بل طولاً فقط، ورقها كالخوص وخشبها صلب، إلا أنه فيه (تصوف، أي) يشبه الصوف، وليس لها قبض. وقد يُعمَل من خشبها قسيّ ونشّاب وحراب. ومنها النبع، وينبت كثيراً على الحجارة والصخر وعلى الجبال، لأن خشبه شديد صلب. ومنها اليشما، شجرة صلبة (الخشب شديدة ربما عمل منها مثلما يعمل) من شجرة القانا، إلا أن (خشب) القانا أصلب من خشب اليشما وأقوى منه.

ومنها شجرة *الشوحط*. هذه الشجرة تكبر ويعظم خشبها وتغلظ أغصانها وتمتد طولاً وعرضاً ولها خشب صلب يشقق فيعمل منه الألواح والرحال وما يستعمل في الأسفار، ويعمل منه أيضاً الصناديق وغير ذلك مما أشبهه. ولا حمل لها.

ومن أضداد تلك (التي قدمنا ذكرها) مما يضادها في صلابة الخشب شجرة *الغريف*، خشبها مسترخ ضعيف ينقصف بسرعة ومن أدنى غمز يغمز عليه. وفيه لين، إذا ضرب بحديدة انغمست الحديدة فيه، (وإذا قصف بالغمز عليه باليد، انقصفت بأدنى غمزة) وليس يصلح إلا للحطب والوقود. ومنها الحماطا لها خشب خوّار فيه ضعف، وما ينبت منه في قفار أو على حجر أو على الجبال كان صلباً شديداً متفاوتاً عن طبع (النابت منه في السهل)، وما ينبت منه في الرمل كان أخور وأضعف واشد تخلخلاً، وليس يصلح إلا حطباً يوقد.(ص: ١١٤٦).

ومنها *شجرة البالباى*، وهذه شجرة ظريفة ورقها كورق الزيتون، إلا أنه ألطف منه، وخشبها ظاهره أسود وباطنه أحمر، وهو خشب ضعيف إلا أنه إذا ضرب من خشبه شيء على شيء سمع منه طنين كطنين أصلب ما يكون من الخشب. وهي شجرة تعيش بالرياح الحارة والسمايم والركود والجنوب والسيول الحادة، وتنبت في الأراضي الصلبة، وربما على الصخور. وأكثر نباتها على أرض يخالطها حصاً، وفيها شدّة وصلابة، ومنها شجرة ذات حطب كثير تسمى الحثيلا، خشبها خوّار ضعيف، لا يصلح إلا لوقود النار، ولها لا (ورق صغار في أغصان دقاق مثل ورق الأثل، ويطلع فيها) ورد صغار لطاف القدر جداً، أبيض إلى الصفرة، ثم ينتشر عنها ولاينعقد مكانه شيء، وليس يطلع هذا الورد فيها في كل سنة بل كل سنتين ثلثة، وليس لوردها هذا الذي وصفناه ريح البتة.

ومنها شجرة يقال لها *العتمايا*، ورقها كورق الزيتون وأصغر منه، يضرب مع خضرته إلى صفرة كمدة، ليس لها نور ولا ورد، بل تعقد في أطراف شماريخها حملاً كالزيتون، مرّ زعر شديد المرارة والزعارة، إنْ أكل آكل منه شيئاً أخذ بحلقه أخذاً شديداً. وربما سمّاه بعض الناس من النبط *زيتوناً برياً*، وأما أهل اليمن من العرب فإنهم يسمّونه زيتون *الكلبة*، وليس تكاد شجرته تهلك ولا تبطل بل تبقى على مدى الزمان، وهو عزيز قليل النبات، وقد قال *كاماش النهري* إن هذه الشجرة أصل الزيتون المتخذ في البلدان، جلب من البر واتخذه الناس وأفلحوه، فكان منه ما نشاهده من الزيتون في الأقاليم التي ينشوا فيها الزيتون.

ومن شجر البر شجرة تسمى (*الحرما*) هي صلبة أيضاً، لكن لا

انتشار لها ولا طول، وخشبها جيد لونه يضرب إلى السواد، ولا يكاد إذا قطع وبقي أن ينخر ولا يفسد ولا يتغير، وفي قطعه صعوبة وشدة لأنه لا يكاد يعمل فيه إلا حديد ماض حاد جداً، ومنها الصرماى، خشب صلب شديد، ونبات هذه الشجرة عزيز، وإذا نبتت نبت منها ثلثة وأربعة في موضع واحد، وأقل ما تنبت اثنان في مكان واحد، وهي صلبة الخشب، ليس كصلابة ما قدمناه ذكره من شجر البر الصلب الخشب، بل دون ذلك كثيراً، إلا أنها ليست خوّارة ضعيفة. (ص: ١١٤٧).

ومنها *الطلح*، شجرة تشبه الأصل الذي يحمل الموز، ورقه كورقه وعوده كعوده، إلا أنه لا يحمل في البر شيئاً، على ما قال ينبوشاد، فأمّا غيره فإنّه يحمل كقنو الموز، (فيه موز) صغار، مرّة الطعم، فسّماه الموز البري.

ومن (شجر البرّ) ذوات الشوك *السمراي*، (وهو شجر له) حطب يوقد كثيراً، وقد ينبت منه الشيء الكثير جداً، ويجف بسرعة، وهو مشهور عند سكان البراري، ومن ذوات الشوك الكثير العرفطا، شجرة محتطبة توقد، (لها حطب) كثير، لأن جفافها سريع، ومثلها شجر *السيالى* ذات (حطب كثير وشوك) ومثل هذه *الشبهايا*، شجرة كبيرة تعظم، ذات شوك وحطب كثير، يحتطبها المسافرون يوقدونها، وربما جرد بعض أغصانها فعمل منها عصي جياد، يأخذها قوم بأيديهم، لأن خشبها فيه صلابة، ومرارة. ومن ذوات الشوك، (العظيم المنتسج شجرة الشكيرا، وهي تشبه *العضاه*. ومن ذوات الشوك الكثير *الكنهبلا* وهي شجرة ذات شوك وحطب كثير تجف بسرعة وتطرح حطباً كثيراً، لأنها

سريعة النشو والتفريع، لها ورق إلى التدوير فيه أعجوبة، لأن في موضع واحد منها ورق بعضه صغار وبعضه كبار عظيم الكبر بالإضافة إلى تلك الصغار، ولا يزال ورقها ينتشر ثم ينبت، (ثم ينتشر ثم ينبت) دايماً طول السنة، وفيها ورقة بعد ورقة كبيرة جداً. وليس هذه التي قلنا إنها ذات شوك مثل تلك المتقدمة التي قلنا إنها متشوكة، بل هذه لون وتلك لون، لا (هذه تشبه تلك) ولا تلك تشبهها. (ص:١١٤٨).

ومن ذوات الشوك شجرة *العوسج*، وهو أنواع كله (متشوك منتسج) الشوك، له ورد ألوان بعضه أبيض وبعض أحمر، وله ثمرة تلتقط وتجمع وتطبخ، ويتخذ منها مأكول، وربما صنع منها في صباغ بلا طبخ، وتطيّب بالأبازير وتؤكل، ويفعل ذلك كثيراً أهل الجزيرة وبعض اهل الشام، وقد (يأكله هكذا كثير) من *العرب*، وربما خرج فيه إذا عتق وهرم حب أحمر في قدر الحمص، (شديد الحمرة طيّب) الطعم جيداً، يؤكل ويستطاب، تسميه العرب المصع.

ومن شجر البرّ غير ذوات الأشواك شجرة تسمى *لحية الشيخ ولحية التيس*، حملها هو المشبه بلحية الشيخ، متى يشم كالريحان، ولا يؤكل، ثم يسقط عنها ولاينعقد مكانه شيء ينتفع به، وقد تدخل هذه الشجرة في كثير من الأدوية، لأن فيها قبضاً وتقوية، إذا ضمد بها موضع من البدن أو أيّ شيء احتيج فيه إلى تقوية، فتكون بليغة الفعل في ذلك. ومن ذلك أيضاً شجرة تسميها العرب *البسباسة*، في ورقها تشقيق وليس تعظم ولا تكبر كعِظَم وكبر شجرة لحية الشيخ، بل تكون أقل انتشاراً، وفيها قبض، لكنه دون قبض لحية التيس، وقد تستعمل في أشباه من الأدوية، وربما خلط شيء منها بشيء من العطر الذي يتخذه النساء لأنها طيبة الريح.(ص:١١٤٩).

ومنها شجرة تسمى *الكحلاء* تحمل شيئاً لا ينتفع به ولا يصلح لشيء، وهي (شجرة ورقها) يضرب إلى السواد، وفي خشبها زرقة، وهي شجرة تصبر على القشف والتفرد وتنبت في البراري الغير مسلوكة. وليس تذهب في الهواء إلا بمقدار قامة الرجل أو أكثر قليلاً، ومنها شجرة تسمى الحوا، لها ورق مطاول أخضر شديد الخضرة، لاتحمل شيئاً البتة ولاتنور نوراً، وليس تكاد تنسلخ حمرتها ولا ينحسر ورقها إلا في برد شديد ومن تتابع السيول عليها. ومنها شجرة تسمى *الغركايا*، لها ورق ناقص الخضرة وثمرة بيضاء، يأكلها، الرعاة مع اللبن، وليست طيبة بل كريهة عند أكثر الناس. ومنها شجر المرار، وهذه شجرة سمراء، وهي أصناف منها صنف يشبه ورقه ورق الرطبة وصنف يشبه ورقه ورق الآس وصنف يشبه ورقه ورق *الحندقوقى* وصنف رابع، وكلها لها قوة حارّة يابسة ومنها صنفان يظهر عليهما شوك، أحدهما قليل والآخر كثير، وقد يسمّى الكثير الشوك بلغتنا *سمرنايا*، ولها صمغ يدمع من خشبها ومن فصول أغصانها ويجف، فإذا جمع يدخن به، واستعمل ذلك العرب مخلوطاً ببعض الطيب والأدهان. (ص: ١١٤٩).

ومن شجر البر غير ذوات الشوك شجرة *التنومى*، ورقها كورق الشاهدانج، وتسميها العرب *شاهدانج البر*، وهو شديد الحرارة جداً، وزعموا أن أهل *اليمن* يستعملونه في (الدخن ويقولون إنه يطرد ضرر العين المصيبة للناس بعضها لبعض) ويستعمله السحرة في شيء من أعمالهم، ومنها شجرة الدبيان بلغة العرب وتسميها طايفتنا الدبيانيا، وهي شجرة تشبه شهدانج البر، إلا أن هذه لا تحمل شيئاً، بل تنور نوراً أزرق لطافاً، ثم ينتثر (ولايعقد شيئاً)، وتقول العرب إن هذا النور إذا

لقط من هذه الشجرة وجمع وترك حتى يجف إنه يدخل في أشياء من (طيب النساء)، وتتوهم النساء إذا استعملنه مع الطيب أنه يعطف قلوب أزواجهن عليهن، فهن يستعملنه لذلك، فسكان البوادي من العرب يجلبونه إلى البلدان فيبعونه فيشترى منهم بسرعة ونفاق جيد لرغبة النساء فيه. ولهاتين الشجرتين (شجرة تشبههما تسمى *الضيمرانا*، لها ورق أكثر قليلاً ولا طايل فيها).. (ص: ١١٥٠).

من شجر (البر غير) ذوات الشوك شجيرة لطيفة يقال لها *الحبنة*، ترتفع من الأرض بمقدار ذراع، وشكلها (في جملتها) مدور، لأن أغصانها تنتشر على استواء في الطول، فتصير في جملتها مدورة، وهي قابضة تدخل في أشياء من الأدوية، والعرب يأخذون من ورقها بعد جفافه فيسحقونه ويدهنون البثر الصغار ويذرون هذا فوق الدهن فيبري ذلك البثر، ويعالجون به علل السفل مثل (البواسير والنواصير) والتوتة والشقوق وما أشبه ذلك، فيشفي منها بقوة. ومن شجر البر اللطاف شجرة الخطمي، وهي *خطمي البر* تورد ورداً أبيض وأحمر، وهي مثل الخطمي البستاني في كل شيء، إلا أنها ألطف وأصغر من البستاني، ومنها شجر الحنّا، وهي الطف من البستاني، وهي كالبستانية في كل أحوالها وأيضاً شجرة لطيفة، وربما كانت في بعض المواضع كثيرة منتشرة تسمى القراضا، ورقها مستدير كأنه مقدَّر على التدوير، ليس يعرف فيه فائدة، ومن هذه الأشجار اللطاف شجرة (*تسمى البروقا*) تحمل حباً لطافاً أسود في غلف وتسميها العرب (*فلفل البر*) إلا أنه ليس (له مثل) قوة الفلفل المجلوب من بلاده، ومنها شجرة تحمل حباً كالخردل يسمونها *خردل البر*، وتسمى الشجرة الحرشا. ومن هذه شجرة لطيفة تحمل ورداً أصفر كالبهار، وهي بهار البر، تسمى شجرة

العرار، ولها حدّة شديدة وحرارة كثيرة، وهي تدخل في بعض الأدوية، وقد ينبت في بعض البراري في السهل وفيما يقرب من المياه نبات صغير يسمى *العرار*، له رايحة طيبة، تشمه العرب كالريحان ويستطيبونه، وهو طيب الريح، إلا أنه يسخن الدماغ ويضر بالقلب. (ص: ١١٥١).

ومن شجر البر الأبهل البري، وهو أقوى من النابت في البساتين وأسخن وأشد حرارة وكراهة رايحة، حتى أن هذا البري لايكاد يستطيع أحد الدنو منه لنتن ريحه. وشجرته تذهب عرضاً أكثر مما تذهب طولاً. ومن الشجر البرية ذوات الصموغ *شجرة المقل*، لها صمغ أسود يدمع منها تجمعه العرب ويجلبونه إلى الشام فيبيعونه بها، وهو إذا خلط بالطيب الذي يتبخر به كان طيباً، وهو حار حاد مسخن محلّل مصدّع للراس.

هذه الأشجار أكثرها ينبت في الجبال وعلى الحجارة وفي الأرض الصلبة من أراضي البر، وأما ماينبت في الأرض السلسلة القليلة الصلابة فنبات يسمى *القيصوم*، طيب الريح، ونبات يشبهه يسمى *الجثجاثا*، ريحه مثل رايحة القيصوم وكأنه ضرب من الشيح. *والشيح* أيضاً يصير شجراً صغاراً، وهو طيب الريح، ونبات صغير يسمى النقد، واحدته نقدانة. ونبات صغير يشبهه يسمى الأفانيا طيب الريح، (ليس كطيب) ريح الشيح والقيصوم، ومما هو طيب الريح جداً من نبات البر، وهو ينبت في الجبل والسهل ولاينبت في الرمل شجرة الصراوى، عَطِرة طيب الريح، وهي شجرة لطيفة، لكنها على هيئة الشجر، ومن النبات اللطيف الطيب الريح جداً شجيرة ترتفع نحو ذراع، وربما نصف ذراع، تسميها العرب *السمستق*، وتسميها الفرس *المرزنجوش*، وتسميها

الجرامقة طابايا، ويسميها الكردانيون حولاث، وتسميها طايفة من العرب العبهر. وهي حادة الريح في الطيب، أحد رايحة من الصراوى والشيح، وقد تدخل في أنواع من الطيب، ويطيب بورقها وبزرها أشياء من اللحمان والشحوم، فتزيل عنها النتن والتغيير. ولهذا النبات في إزالة الأسنان والعفونات كلها فعل قوي، وربما دق قوم بزرها وورقها وذرّوه على موضع من البدن فيه قرحة قد أروحت وتغيرت إلى كراهة شديدة فيزيلها. وهو يقابل كل عفن مقابلة جيدة ويضاده مضادة شديدة، وفيه طرد للريح الغليظة اللاّحجة)، قوي، إذا استُفَّ من (بزره أو من ورقه)، أو منهما جميعاً، وقد يتخذ في البساتين يزرع (*بزره زرعاً*) فيفلح فيها، إلا أن البري طيب ريحاً وأحدّ وأقوى فعلاً من البستاني وألطف نباتاً.

وقد ذكرنا قبيل هذا الموضع من المنابت البرية الطيبة الريح أشياء عدّة، فلنضف هذه إلى تلك.

ومن الشجر البري الذي يحمل حملاً يستخرج منه دهن ويلقى في الدهن من ورق الحولاث الذي قدّمنا ذكره، فيطيب ريحه جداً، ويلقى به أنواع من الطيب فيصير طيباً جداً. شجرة الخروع، ورقها كبار كورق التين وتحمل حباً في قشور غلف، فيعصر ذلك الحب فيخرج منه دهن الخروع. وهي شجرة تتخذ في بساتين كثيراً، إلا أن البرية منها أغزر مادّة وأقوى فعلاً وأقبل للرايحة الطيبة، فلذلك تكون أعطر، ولها شجرة تشبهها وكثيراً ما تنبت بقربها في البر، تسميها الكسدانيون *عاشق الخروع*، وتسميها العرب *العرفج*، ليس لها حمل بل تنبت وتكبر ثم تجف بعد سنة أو سنتين.

ومن نبات البر، مما هو شجرة لطيفة ظريفة المنظر، شجرة تسميها

العرب *العجلة*، ويسميها أهل بلاد طيزنابذ *الشروي*، وفيها للعرب خرافات طوال عجيبة لا أدري ما هي، (إلا أنهم) يقولون إن النساء يسحرون بها أزواجهن، وإنها تعمل في الحب والبغض والتفريق بين اثنين والتسليط على الأعضاء والأبدان بأعمال يزعمون أنه إذا عمل بها شيء ما وكان قصد العامل المحبة حبّبت، وإذا عمل بها شيئاً آخر قصد فيه البغض بغّضت، وهكذا في سائر ما وصفناه، ويقولون إن في بعض أصولها، مما هم بين غور الأرض وظاهرها، خشبة مدورة كهيئة *الخرزة*، وإن تلك تنتزع من مكانها وتؤخذ مفردة مما هي ملتصقة به. قالوا وهي تنفرد فيكون منظرها كهيئة الجوزة الصغيرة، إلا أنها ليس تخرج إلا مما قد عتق من هذه الشجرة. فيزعمون أن الإنسان إذا علّقها في حلقه أو على عضده الايمن حبّبه ذلك إلى الناس وقضوا حوايجه وقبلوه أحسن قبول، ويصح جسمه، ويذكرون في هذه الخرزة عجايب لأن العرب تسميها *خرزة الجاه*، وبعضهم يسميها *خرزة العجلة*، ويذكرون فيها عجايب من الخواص (وأشياء كثيرة) ظريفة ليس هذا موضع ذكرها.

ومن شجر البر الكبار ثلثة أشجار متشابهة (الورق متشابهة) القّد (في الكبر) متشابهة الطبع، العرعر والطبّاق والشبت. هذه قابضة شديدة القبض، وهي تدخل في بعض العلاجات.

ومن الأشجار اللطاف الطيبة الريح شجرة *الطبانيا*، تحمل ورداً أبيض، هو ياسمين (البر) وربما أصفر مشبع الصفرة، وشجيرة تسمى الرتم طيبة الريح، وشجيرة تسمى *الشوع* وتسميها *الفرس البان*، وتسميها الكسدانيون *البانا*، تحمل حباً طيب الريح، يستخرج منه دهن طيب،

ويدخل في أنواع العطر، والنساء يملن إليه جداً ويزعمن أن رجالهن إذا شمّوا منهن رايحة دهن البان أحبوهن واشتهوهن. وقد يعمل دهن البان على ضروب وألوان (تنسب كلها) إلى أنها دهن البان، ويقع فيها إما دهن قد اعتصر من حب البان، وإما أن يدق حب البان ويطبخ بالزيت والشيرج، فيجي منه دهن طيب، وربما ألقي مع حب البان (أشياء من الطيب فيخرج أطيب وأبلغ من حب البان وحده، إلا أن النبات المسمى الرتم له لبن فيه سمية، فينبغي أن يُحذر لبنه وهو كما هو، إلا أنه (طيب الريح) من نحو ريح الآس. (وقد يشبه) الرتم شجرة صغيرة تسميها العرب *الصاب* لها ريح كريهة، ولها لبن إذا وقع على أبدان الناس شيّطها. وهو يمرض إذا ألصق ورقه بالسرة، وإذا أمسكه إنسان بيده وقتاً طويلاً أمرض وكسّل وكسّر البدن، فهو مخدّر، وطعمه شديد المرارة. (ص: ١١٥٤).

من نبات البر *الينبوت*، وقد يسمى *الشوك*، إلا أن هذا نبات لطيف لاشوك فيه، له ورق كبار مدحرج الجوانب، طعمه مر شديد المرارة وليس له حمل. ومن شجر البر الحمحم شجرة خشبها إلى الحمرة وورقها كورق الريحان الكبار الورق وطولها كمقدار قامة الإنسان، وربما مثل نصف قامة الإنسان، لا فايدة فيها، ومن الشجر *القراش*، وله شجر تشبهه تسمى *القراشما*، هاتان شجرتان متشابهتان يخرج لهما علايق كعلايق الكرم، إذا تعلقت بشجرة تقرب منها استولت عليها فطحنتها وغيرت نضارتها. ويزيد نشوها بين الشجرتين إذا تشبثت بغيرها، ويتغيّر (ذلك الغير) ويضوي حتى يجف ويبطل.

ومنها شجرة *الأسحل*، وهي شجرة في نحو قامة الإنسان تخرج

أغصانها (من أصلها ذاهبة إلى فوق)، وفي طبعها يسير من قبض. والعرب يقطعون من أصلها مساويك يستاكون بها، يقولون إنها أفضل المساويك كلها، ومنها شجرة *البشام* لطيفة ظريفة، تقول العرب إنهم يسمعون في البر منها صوتاً كأنه إنسان بكاء خفيفاً بصوت ضعيف. وهي شجرة حادة الريح كريهة حارة مسخنة شديدة المرارة تسميها العرب أخت *شجرة الحبة الخضراء* لشبهها بها.

ومن منابت البر *الربل*، وهو ضروب وألوان كلها قابضة برد. ويخضر ورقه في وجه الشتاء والبرد كله، فإذا انتصف الربيع اصفر ورقه وتغيّر، فلا يزال كذلك حتى يجد ريح البرد، فترجع الخضرة عليه. وربما ألقى ورقه عنه ثم يخلف مكانه ورق أخضر شديد الخضرة كلون الآس. ومنها الحلّب (شجرة تعظم لانور لها ولا حمل ولها شجرة تشبهها يسمونها) *الحمحمي*، وشجرة *الحماطا* وشجرة *العميران*، هاتان أختان لا حمل لهما ولا نور ولا منفعة، إلا أنها حطب يوقد، وشجرة الحماطى والشرى حطب يوقد لا حمل لهما. وشجرة تسمى *النقداى* تطول ولا عرض لها، وخشبها صلب. وشجرة تسمى الربّة مجتمعة كثيرة الأفنان والأغصان، تمر عرضاً أكثر مما تمر طولاً، وهي حطب يوقَد خشبها، ولها شبيه يسمى *الحمداني* تنبت بقربها، تحت كل واحدة منها صاحبتها فإذا التقى الغصنان منهما تعانقا كالمتحابين في الناس. وشجرة تسمى *الربّة الصفرا*، مجتمعة تحمل حباً أصفر وخشبها أصفر. وهي الربّة الصغيرة، لأن تلك أعرض وأكثر أغصاناً، ولونها غير لون هذه. (ص: ١١٥٥).

ومن (النبات الصغار) مما ليس بشجر، الشريان والبشام، هاتان

نباتان متشابهان قريبا الطعم، لأنهما ربما أُكلا، وليس هذا النبات مثل *البشام* الذي قدّمنا ذكره، لكن هذا في صغره يشبه ذاك في كبره في القدّ والصورة واللون.

ومما ينبت في الجبال خاصة *الثغام*، نبات أبيض شديد البياض، لا خضرة فيه، ويقال إنه إذا طبخ بالماء العذب وصُبّ على الشعر الأسود بيّضه لمن أراد أن يُسرع إليه الشيب وبياض الشعر.

ونبات تسميه العرب الحمّاض الجبلي، له ثمرة بيضاء في وسطها نكتة حمراء (متكونة مليحة) حمرة مشبعة في وسط بياض شديد، ونبات صغير في قدّ النعنع وعلى هيئة ورقه وأصغر كثيراً، تسميه العرب *القسور*، تستعمله السحرة في أعمالهم في الفرقة والتباعد بين اثنين، ويقولون هو نبات مشوم، إنْ زُرع في دار خرّبها وإن اتخذ في بستان فكذلك، والناس يتجنبون نقله من البر إلى الحضر لشؤمه، وهو مع ذلك نبات حسن الخضرة مليح الورق مدّور، ريحه كريح النعنع ولا طعم له مع ذلك. ويقولون أنه إذا جعل تحت ثياب إنسان قد أطال الجلوس في موضع واستثقله جلساؤه، إنه يقوم من ذلك المكان بسرعة.

وقد قال ينبوشاد إن حُوِّل هذا النبات كما تُحَوَّلُ ساير الأشياء المحوّلةِ غُرس، فغُرس كما تغرس ونبت في موضع غرس فيه، حمل جوازاً صغاراً فيه شيء كنسج العنكبوت، فإن جمع ذلك وأصلح كما يصلح القطن وغزل ونسج كان منه ثوب عجيب في الحسن والبصيص والنقاء وبُعد الاتساخ، قال إلا أن الناس يتشاءمون به وبعمله فيمتنعون منه لذلك ولايحوّلونه ولا يفلحونه، بل يهجرونه.

ومن نبات البر *العكرش*، ينبت في السباخ المالحة، وله اخ يسمى

الحرشف البري، مشوك ولا يهرم كما تهرم المنابت، وأيضاً فمن المنابت البرية المشهورة *الشرشر والقتاد*، هما علف الجمال، يقولون إنها تسمن عليها وتصح أبدانها وتقوى، يجمعها النساء والصبيان، ويخلطان مع غيرهما مما تعتلقه الإبل، وتلقمه الابل فتأكله فتصح عليه وتسمن. وأيضاً من الشجر البرية، ما له مشابه في المنابت الصغار، شجرة تسمى *الأثاب*، ورقها كأنه الخوص، وقال ينبوشاد: وأخبرني الثقة أنها تنبت في بلد السودان فتعظم وتعلو في الهواء وتحمل مثل حمل النخل حملاً غير حلو ولا طيب، لكن السودان، لقشف بلادهم وعدمهم الطيبات (يأكلون ثمرة هذا ويستطيبونه)، وهي ثمرة فيها قبض وتجفيف، وهي إلى الأدوية أقرب منها إلى الأغذية، فهي تزيد السودان يبساً إلى يبسهم. ولها نبات يشبهها له ورق كالخوض، إلا أنه أقصر من ورق الأثاب، يسمى *الألاي*، لاتحمل شيئاً، وهو والأثاب باقيان بقاء طويلاً، وهما مما تنبت لنفسه، وكذلك جميع ما عددنا فيما مضى منذ أخذنا في منابت البر، هي تنبت لنفسها كلها، بلا زراع ولا واضع. فمنها ما ينبت بعقب السيول العظيمة (ومنها بعقب) الأمطار، ومنها بالنداوات ومنها على الغدران ومجتمع المياه من الأمطار، ومنها ما ينبت في الموضع القشف القفر اليابس الذي لا ماء فيه ولا أدنى نداوة، كما ترى بصل العنصل إذا نبت في موضع نديّ خرج صغاراً، وإذا نبت في موضع قشف يابس بعيد من كل ندى خرج كباراً نبيلاً رياناً، فدلنا ذلك على ان بصل الغار، وهو العنصل، يحب اليبس والجفاف، والقشف. كذلك أيضاً في المنابت ما يجي جيداً في اليبس والجفاف، وذلك يسير قليل فيه جداً، وإلا فجمهوره ينبت على النداوة ويسقى المآ، ومنها ما يحب النبات في الرمل، إلا أن هذا ضعيف أبداً ضئيل أكثره بل كله لا

يثمر ولا يحمل حملاً. وقد نرى منها ما ينبت في السباخ المالحة وفي الملح. ومنها ما ينبت على الحجارة، فتثقب عرقه الحجر فينفذ فيه، ومنها ما لايوافقه إلا الأرض الطيبة السليمة، وعلى غير هذه الصفات، فإن صفاته كثيرة وطباعه مختلفة.

فأما البقول فإنها ليس تكاد تنبت إلا في أرض طيبة وفي تربة سليمة من الأعراض المفسدة، إلا الملوحة، فإنها في البراري كثيرة. وكثير من البقول توافقه الملوحة، فينبت في الأرض المالحة، إلا أنه يكون ضعيفاً رديّ الطعم، وقد ينبت في البراري بقول كثيرة، منها في الرمل خاصة أصناف كثيرة، يسمونها بقول البراري.

فمما ينبت في الرمل ***اللهفانا والحفرى وهندبا الرمل وشكير الهندبا والخولي والعمري وحجرة الرمل والثاني والحفلا والشوشقا وذو الورقة الواحدة والعرفطاثا وعلجانة الرمل***. ومن نبات الرمل غير البقول العرن والعصوي والأسلا، هذه الثلثة تنبت كنبات الأسل لا ورق لها، فإذا رعت البهائم تجتنب هذه الثلثة، إلا الحمير فإنها تحب أكلها، فإذا وجدتها لم تلتفت إلى غيرها وأمعنت في أكلها.

ومما ينبت في الرمل الذي في المكان القفر الغير مسلوك، نبات مطاول الورق قليلاً صغاراً مع ذلك، يرتفع من الأرض أربع أصابع إلى الشبر، يحمل ورداً في قدر ريحان البنفسج، وفي كل طاقة منه وردة من هذا تبرق إذا طلعت الكواكب وتلوح كالنار، وربما ألقى شعاعاً على ما يقرب منه، محاذي من جميع الجوانب، يسمى ***الشاعشاى***، وينبت في الرمل وغير الرمل نباتان يسمى أحدهما ***الغضور*** والآخر يسمى ***الصليان***، وهذان أيضاً مما تحب الحمير، وجميع ذوات الحوافر إذا رعته سمنت

عليه وصلحت. وأكثر ما ينبت في الرمل ليس يقوم على ساق بل ينبسط على محه الأرض انبساطاً قليلاً، لأن أكثر ما ينبت فيه من المنابت اللطاف التي هي غير شجر، صغار جداً، فمنها ما ينبسط على وجه الأرض ومنها ما يكون له أصل فيتفرع عن ذلك الأصل قضبان تمتد منه إلى فوق، ومنه ما يقوم على ساق، وذلك قليل، وكل نبات الرمل قليل العروق دقيقه، مع قلته ضعيف، لأن الرمل لا يمكنه من التعريق جيداً، وذلك أنه في الحصى والحجارة الذي بينهما تراب أمكن وأقوى وأجود. (ص: ١١٥٨).

ومن بقول الرمل السطّاح، وهو يبتدي فينبت أولاً سطاحة واحدة، فإذا فرغت علت مقدار أربع أصابع طلع حولها سطاح كثير، وهو مز الطعم طيب فيه أدنى لزوجة، قال ينبوشاد إنه ربما انبسط ثانياً مقدار ميل بعضه متصل ببعض.

ومن نبات الرمل مما ليس هو بقل يؤكل، الكراث والسكب والقرنوة، هذه الثلثة خضر الورق تنبسط على وجه الرمل، وأكثرها انبساطاً الكراث، له ورق مثل ورق الكبر وألطف منه وطعمه مر، وقد يأخذه قوم من العرب فيطبخونه ثلث مرار، يغيرون عنه الماء، فيطيب طعمه وتذهب عنه المرارة، فيلقون عليه خلاً ومرياً وزيتاً ويأكلونه كما تؤكل هذه الأشياء بالصباغات ويقولون إنه حينئذ يصير لا طعم له، أعني بعد السلق والطبخ، فإذا وقع في الخل طيّبه ذلك مع الزيت والأبازير، فانساغ أكله لآكليه.

ومما ينبت (من البقل) في غير الرمل بل في الأرض الترابية السهلة، الصبغاء بقلة طويلة الورق حملها أبيض بعد ورد (أبيض تخرجه) وبقلة

تسمى *الحضاريا*، طيبة يشوب طعمها ملوحة يسيرة، تأكلها العرب مع اللبن ويستطيبونها، ومنها أيضاً (مما تنبت) في غير الرمل الحلّب والطويلة والساحاريا. هذه الثلثة فيها ملوحة تشوبها مرارة يسيرة، تؤكل مع اللبن منها *الزنمة والقفة والواكواع*، هذه الثلثة بقول تنبت في السهل، أحدهما أكثر من الاثنين، وهو الوكواع، ورقها مثل *ورق الجرجير*، فيه تشريف وفي طعمها حرافة، وكذلك *الزنمة والقفة* فيهما حرافة هي دون حرافة الواكواع، وكلها طيبة تؤكل مع اللحم والشواء، ويأكلونها مع الثريد المثرود في ماء التمر الهندي ومع المُحمَّضات. وتكثر العرب أكلها، وخاصة مذحج، فإنهم يميلون إلى أكلها كثيراً. ومن المنابت البرية في غير الرمل *السرحا*، ونبات يشبهه يسمى *مرخا*، والغنم تحب هاتين الحشيشتين، إذا وجدتهما لم ترع غيرهما.

ومن البقول بقلة يقال لها *الثرى*، ولها لبن ليس بحاد ولا كثير بل مثل لبن لبخس، وهي باردة وفيها تغرية وإصلاح للجوف المتجرد، ومن البقول أيضاً *الشكاعيا*، بقلة ورقها مثل ورق الحرف، فيها حرافة شديدة وليست طيبة، إلا أنها مما يأكله الأعراب مع اللبن والخبز، ومنها *الريادي*، نبات يحمل نوراً أبيض ويعقد مكانه حباً صغاراً مثل الخردل أبيض لاطعم له، وهي حشيشة تبقى أكثر من سنة وسنتين وتموت ثم تعيش، وربما أكلها بعض الأعراب، يشبهون طعمها بطعم *الأيهقانا*، وليست مثله سواء، لكنها دون طعمه كثيراً.

ومن البقول الزعبر أخو *الزغبر والمرو البري*، هذا يؤكل ويتعالج به العرب ويفضلونه على كثير من الأدوية. ومما هو من الأدوية الشبرق والشرا، وهو يشبه الحنظل، والحنظل والهوايا تتعالج بها العرب لأوجاعهم ويستشفون بها فيحمدونها.

ومن منابت البر أيضاً *الحلفا والبردى*، (والحفا الكريم). قال تقول العرب: «لهو أكرم من حفا معول»، ومما تنبت لنفسه في البر وبين الناس وفي بساتينهم والإجام القصب، وهو أصناف وألوان فيها كلها سمية وضرر، إذا باشرت الأبدان، فأما إذا استعملت للسقوف والأخصاص ووقود النار فإنها نافعة للناس بذلك، ومن النبات الذي له لبن يحرق *الشبرم والزنم والصاب والحرفى والأسل*، هذه أدوية تستعملها العرب، يأخذون منها المقدار اليسير يابسة أو رطبة، فتسهلهم المجالس الكثيرة، فينتفعون بذلك. فمن أفرط عليه الإسهال من بعضها فإنه يقوم في الماء إلى صدره ساعة، فإنّ الإسهال ينقطع عنه، فإنْ عاوده فليعد إلى الماء فإنه ينقطع عنه.

ومن منابت البر *الصبر* وهو من الأدوية، والناس نقلوه من البر إلى البساتين، وإلا فهو نبات بري عربي خالص، أصله أنْ ينبت لنفسه في البراري وينبت في جزيرة تجاور طرفاً من أطراف اليمن يقال لها أسقوطره يُجلب الصبر منها إلى جميع البلدان وإلى إقليم بابل، تجلبه العرب فيبيعونه مع الثمر المسمى *الصبار والرقع اليماني*، وهذه شجرة فيها سم قاتل، أعني الرقع، إلا أن بعض الناس يستشفي بها، فيأخذ منها قدر مثقال فيقيمه قياماً وقتاً عظيماً ويخرج الأخلاط كلها، إلا أن في شربها خطراً عظيماً، والعرب يستشفون بها ويفخرون بنباتها في بلدانهم كما يفخرون بشجرة الصبار، وإنّ حملها يقمع الصفرا والدم قمعاً قوياً ويغني عن كثير من العلاجات من الصفرا الهايجة والدم الهايج. قال: ينبوشاد: وحِمْيَر يسمّون ثمر الصبار «المخلص من الموت» وهو المعروف بالتمر الهندي وأجود ما استعمل وأنفعه أن يطبخ كل رطل منه بثلثه أرطال ماء حتى يبقى من الماء رطل وشيء، ثم

بصفى ويشرب هذا الماء بعد برودة، فإنه قوي في تسكين ثائرة الدم والصفرا جميعاً، بليغ في تطفية حرارتها ويصفو مع ذلك الدم من كدره وعكره حتى يجتمع عكره لاصقاً بالعروق، وقد زعم الأطباء أن العروق الغير ضاربة طبقتان، فالعكر إذا نفاه شيء عن الدم فإنه يلصق بالطبقة التي تلي الدم، فقال الأطباء إنّ الإنسان إذا أدمن أخْذَ الصبر أخرج ذلك العكر عن عروقه بإدمانه أخْذَه. ففخر العرب أنّ لهم نباتين، *(الصبار والصبر)* يخلصان من الأسقام وإسراع الموت، لأن الموت لا بد منه لكل حي، إذ كان الموت قايماً في الأبدان بالطبع، والحياة عَرضٌ داخلٌ عليه، فإذا زال ذلك العَرَض بقي الموت الطبيعي مكانه، إلا أن ما أزال الأسقام دافع لتعجيل الموت، ففيه فايدة عظيمة جليلة كبيرة، فالعرب يفخرون بهذا ومنا تلقنوه وعنا أخذوه.

قال قوثامى: هذا قول ينبوشاد في الصبر والصبار ومنفعتهما وهو كما قال: إلا أن قوله في العرب إنهم أخذوا منافع ذلك منهم وتلقنوه عنهم ليس هو كما قال عندي، ولا أرد عليه قوله ولا أكذبه إلا أنه يبعد في نفسي أن يكون شيء، (مخرجه في) بلادهم ويجربوه كثيراً ويستعملونه، نقول نحن انهم تعلموا منافعه منا، فنحن إلى أن نكون تعلمنا ذلك منهم وأخذناه عنهم أحرى وأولى، ولا يظن بي ظان: انه ذهب على رأي ينبوشاد (في العرب) لأنه يرى (أنها أمة) تولاها الزهرة، وليس لمن تولاها الزهرة علم ولا حكمة ولا فكر ولا استباط لشيء. ونحن مع هذا قد نشاهد لهم ذكاء وفطنة حادة وبديهة حسنة، ولهم من علم السحر قطعة كبيرة، وإن كان السحر كله لأهل بابل من النبط الكردانيين، فإن لأهل اليمن سحراً بليغاً، حتى أن اليونانيين بلغنا عنهم

أنهم يضربون بهذا المثل، فيقولون للذي يبالغون في صفته بالفطنة، «أنت أفطن من سحرة اليمن» ولهم أيضاً في الّرقى علم جمّ، وإن لم يكن مثل رقى الكردانيين، فهي رقى حسنة بليغة صحيحة، ولهم قيافة الأثر، وهو دليل على فرط فطنتهم وبليغ ذكايهم، وإن كان للهند قيافة حسنة، على فرط فطنتهم وبليغ ذكايهم، فإن العرب قيافتهم أحدّ، لأن فطنتهم لما يشاهدونه تقع مع مشاهدتهم له (بلا فصل) وليس قيافة الهند هكذا بل يحكمون على ما يحكمون عليه بعد توقف وفكر. فَلِمَ تبخَسُ العرب مالَهم؟

ولعل ينبوشاد قد وقف وعلم في زمانه الذي كان فيه أن العرب تعلموا من الكردانيين ما قال إنهم أخذوه عنهم، لأني لا أستجيز تكذيب ينبوشاد، ولا مثلهُ يُظنُّ به الكذب، وعهد ينبوشاد إلى زماننا هذا دهر قد مضى طويل، والأمور تتغير وتنتقل في الناس من حال إلى حال ومن شيء إلى شيء خلافه، فلعله لم يكن للعرب على عهد ينبوشاد ما نشاهده نحن الآن فيهم من الذكا وسرعة الفطنة والعلم بالسحر والرقى والقيافة. وقد كان ينبوشاد في طول سياحته في البراري ومأواه القفار، يلقى العرب كثيراً فعرف من أمورهم ما لانعرفه نحن، حتى يقال إنه كان فصيحاً في اللغتين بليغ المعرفة بهما، الكردانية والعربية، وذلك لكثرة مخالطته العرب وطول ملاقاته لهم، فلعمري (إنه بأمرهم) أعرف منا، وقد يجوز أن يكون فيهم من كان يسايله عن أشياء من علومه فيجيبه فيستفيده من ينبوشاد ويأخذه عنه. ولعل ذلك قد كان حقاً لا محالة، فحكم عليهم بما كان شاهده منهم، قال قوثامى: رجعنا إلى الحكاية عن ينبوشاد تمام كلامه في منابت البر.

قال ينبوشاد: فهذه الثلة أشجار أصلها من اليمن، *الصبار والرقع*

والصبر، (فإن الرقع شجرة كبيرة، إلا أنها دون شجرة الصبار، والرقع والصبر نابتان) في البر، أما الرقع والصبر فكثير وأما الصبار فما أقل ما رأيته في البر، حتى أني يمكنني أن أعد مقدار ما رأيته منها، فأقول إنه في طول عمري مرتين، على تحصيل في الذكر مني لذلك، وقد يجوز أن يكون لها مواضع من البر يكثر نباتها فيها لم نبلغ نحن إليها، فإنّا لم نشاهد البراري كلها، بل إنما شاهدنا منها قليلاً يسيراً، وأظنها تنبت في البراري التي فيما بين بلاد اليمن وبلاد السودان. فإن القياس يوجب ذلك، بل هو لا محالة كذلك.

ومن شجر *البر الغضا*، شجرة صلبة الخشب توقد فيشتعل خشبها اشتعالاً حسناً، ويتلوها شجرة أصغر منها، بل هذه صغيرة جداً بالقياس إلى الغضا، يسمونها *الرمث*، قوية الخشب صلبة، وهاتان أقوى من خشبي الطرفا والأثل.

قال قوشامى: ومن شجر البر الكبار الذي لا يصلح إلا للحطب وإيقاد النار *الأخرشاهى*، له جمر قوي في قوة الغضا وقريب منه، ومنها أيضاً *الكلبا*، ويقال في المثل (كذا وكذا) مثل نار الكلبا، من شدة لهيب نارها وكثرة اشتعاله، تلتهب سريعاً مثل القصب، وناره أعظم وأكثر من نار الحطب، ومنها الجبّار الفرد، ومعنى الفرد أن هذه الشجرة ما رأوها قط، زعموا إلا وحدها في البر، وفي المكان الذي تنبت فيه (لاينبت بقربها) صغيرة ولا كبيرة، فسموها لذلك الجبار الفرد. وهي مما لايصلح إلا للوقود، ويحتطب منها حطبها كثيراً ويقولون إن خشبها يشتعل رطباً ويابساً، ومنها شجرة كقامة الصبي تسمى *القروقاش*، تصلح للحطب، لا ثمرة لها، وكذلك ما قبلها من الأشجار التي عددناها، لا

ثمرة لها إلا الطّرفا، فإن لها ثمرة لطيفة، لها قبض يشوبه حموضة وهو من أدوية الطحال والمعدة، والسرو فإنه يحمل حملاً كهيئة الجوز، (مدوراً قابضاً) تُصبغ به الثياب، يعمل به الصبّاغون فيصبغ طاروني.

وفي البر أشجار ومنابت غريبة، بعضها قد أوقع العرب عليه اسماً وبعضها قد سمّاه الكسدانيون وبعض الفرس، قد عددنا منها ما شاهدناه وجربنا بعض ما قيل فيه فوجدناه صحيحاً. وقد رأينا أكثر ما تتخذه الناس في بساتينهم من الأشجار والبقول والرياحين وغير ذلك من المنابت تنبت في البراري والمفاوز، حتى الكرم والنخل. وإنما قلنا على جميع المنابت (جملة، فقد) استغنينا عن التفصيل بهذه الجملة. وقد ينبت في البراري أكثر مما ذكرنا وعدّدنا لأن ذِكره وتعديده يطول، وفيما ذكرنا كفاية وإقناع[1].

---

(١) ينظر كتاب الفلاحة النبطية، ج٢، ص١١٣٦ ـ ١١٦٣ (بخصوص هذه المادة).

المحتويات

هذا الكتاب ٩
بيان الشجرة ١٧
بيان أدمى حول الأشجار وأصولها ٢٠
نرجسية شجرة: قصيدة إلى شجرة الزيتون (شجرة زحل) ٢٣
النخلة (أخت آدم) ٢٧
الحنطة (خبز الحياة) ٣٨
شجرة الزيتون (شجرة كوكب زحل) ٤٦
الباذنجان (نبات زحل والقمر أو الخفاء والظهور) ٥٠
شجرة الخطمي (صنم عطارد) ٥٧
شجرة الغار (مكلمة الناطور) ٦١
شجرة الدردار (شجرة البق) ٦٣
شجرة الأرتج (الشجرة الطاهرة) ٦٤
شجرة الدفلى (الشجرة المباركة) ٦٥
شجرة الغبيراء (شجرة الجن والغلمة) ٦٥
شجرة إبراهيم (تسمى منجية إبراهيم) ٦٧
شجرة روخوشي (شجرة الأيمة) ٦٨
شجرة القسط: (شجرة بخور الآلهة) ٧١
شجرة رباكشانا (شجرة شافية العشق أو بغيضة الملك) ٧١

شجرة الكندر (دافع شر الوباء) ٧٤
شجرة الأبهل (شجرة الغول) ٧٦
شجرة هذرتايا (نبات ليلة الميلاد) ٧٨
الثوم (يسمى: ثوم الحية) ٨٠
الهندبا (تسخير البهائم) ٨١
البزهليا (نبات كوكب المشتري) ٨٢
البطيخ ٨٩
شجرة الرمان (شجرة الرمان والحية) ٩١
شجرة الشروي أو العجلة (خرزة الجاه) ٩١
الصبر والصبار (المخلص من الموت) ٩٢
شجرة الكروم (شجرة الكوكبان السعدان المشتري والزهرة) ٩٥
الكرمة الملعونة ٩٩
أنواع شجرة الكروم ١٠٠
أنواع من شجر الكروم ١٠٧
تأويل خرافة الأفعى ١١٠
عجائب الكرنب ومضادته للخمر ١١٥
بصل العنصل الحار (مخيف ومهلك الذئب) ١١٦
حشيشة الأسد (مؤذية النبات) ١١٧
البهار ١١٩
الخزام ١١٩
اللينوفر ١٢٠
شجرة الدّلب ١٢٢
الخيري (نبات الخيري والنساء) ١٢٤
حشيشة فقطاريا ١٢٥
بادرنكبو (بقلة الحسد) ١٢٦

الكوهيان (الصغدية) هدية ملوك الصغد لملوك بابل ١٢٧
يرقا قطرا (طاردة العقارب) ١٢٨
يرقا كرسا (بقلة السحرة) ١٢٨
البقلة اللينة (البقلة الحمقاء: قاطعة لشهوة النساء) ١٣٠
شجرة بريثا (الشجرة الطيبة) ١٣١
شجرة القراسيا (القراصيا) (الشجرة الكنعانية) ١٤٤
شجرة عوشنار (الشجرة القبيحة المنظر أو معينة السحرة) ١٤٥
شجرة اشتركوهى (معجبة الملك قيقالا وحكايته معها) ١٤٦
شجرة المرّ ١٤٧
شجرة اللاّذن (شجرة التحاسد بين الجرامقة والكسدانيين) ١٤٩
شجرة العنّاب (شجرة صنم القمر الشافية من الأمراض) ١٥٠
شجرة الرحامياهى (تزيد من سمنة النساء والرجال) ١٥٣
شجرة الاهياهي ١٥٤
شجرة موطرسييت ١٥٥
شجرة ميلقاصوا (الشجرة مليحة المنظر، جالبة الحمل السريع للمرأة) ١٥٦
شجرة القيقب (شجرة العمارة والبناء وقاتلة الفار والبق) ١٥٧
شجرة الشوحط ١٥٧
شجرة الأثاب (غذاء أهل السودان) ١٥٨
نبات القسور (نبات مشؤوم) ١٥٨
شجرة البندق (حكاية شجرة البندق والعقرب) ١٥٩
تمر السابري ١٦٠
شجرتا النقداى والحمداني (الشجرتان المتحابتان) ١٦٠
الكرنب والسلجم (أعاجيب ظريفة عنهما) ١٦١
الخروع (تعويج قرن أو عظم) ١٦١
حكايات وعجائب وظرائف آدم البابلي ١٦٣

آيات وبركات أدمى البابلي المبهرة في الفلاحة (العمران الزراعي) .. ١٦٤
صغريث شاعر الفلاحة يتحدث عن آدم البابلي ١٦٤
شجرة من ذهب ١٦٥
شجرة من حجر صلب ١٦٥
حشيشة لشفاء الزكام ١٦٥
شجرة لا تحرق ورقها النار ١٦٦
شجرة أغصانها تسعى كالحيات ١٦٦
حكايات أشجار ومنابت أخرى رآها آدم أثناء تطوافه في مشارق
الأرض ومغاربها ١٦٧
حكاية خادمة الزهرة ١٧١
عجائب وغرائب التوليدات في الإنسان والحيوان ١٧٢
عجائب وغرائب التوليدات في المنابت ١٧٤
انقلابات تكوينية (استحالة الحيوان إلى نبات والنبات إلى حيوان) .. ١٧٥
حكايات وخرافات عن التكوينات ١٧٧
خرافات وطقوس زراعية حول تراكيب الأشجار بعضها ببعض ١٧٩
منامات زراعية ١٨٢
تدوير المنابت ١٨٣
العلة في التدوير ١٨٥
معجزات آدم (أدمى) الباهرة للعقول ١٨٧
شجر البرّ ١٨٩